الفولكلور والفنون الشعبية

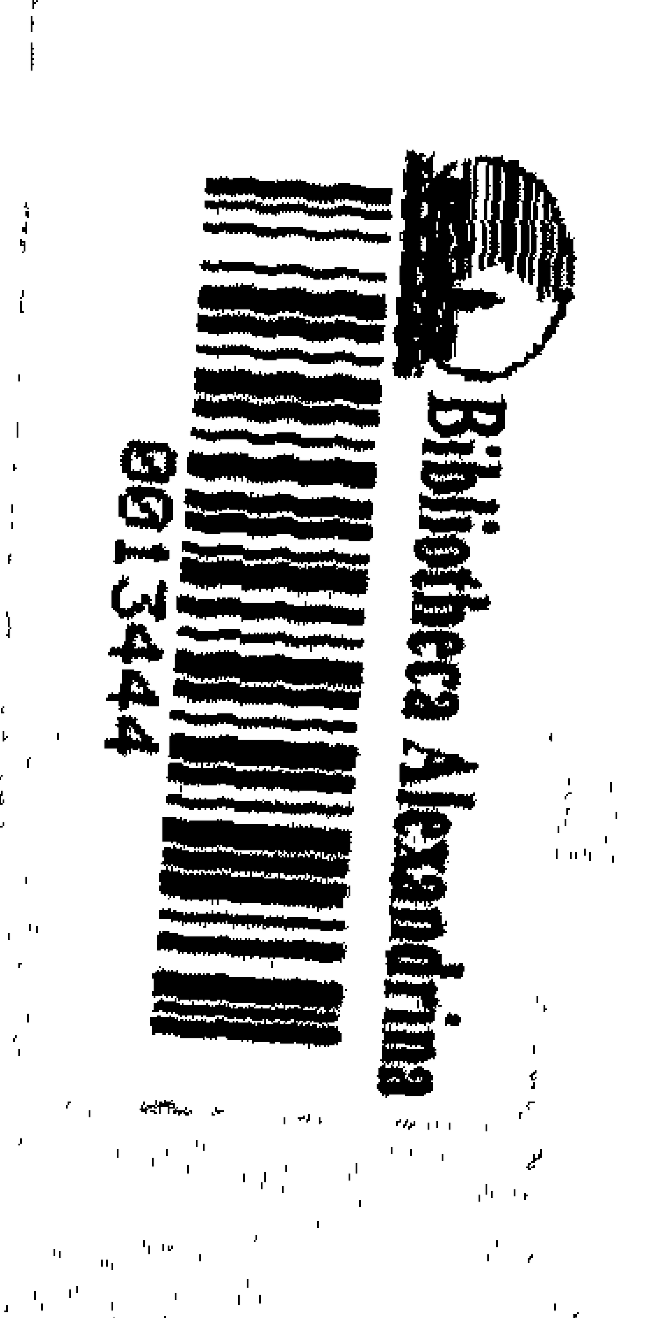
من منظور علم الاجتماع

دكتور

حسين عبد الحميد أحمد رشوان

دكتوراه فى علم الاجتماع
كبير مدرسى علم الاجتماع بمدرسة
مدير عام أستاذ جامعة الإسكندرية (سابقاً)

١٩٩٣



المكتب الجامعى الحديث
محطة الرمل - اسكندرية
ت / ٤٨٣١٥٢٧

الفولكلور والفنون الشعبية

من منظور علم الاجتماع

دكتور

حسين عبد الحميد أحمد رشوان

دكتوراه في علم الاجتماع

كبير مدرسي علم الاجتماع بدرجة

مدير عام أستاذ جامعة الإسكندرية (سابقاً)

١٩٩٣

المكتب الجامعي الحديث

محطة الرمل - اسكندرية

ت / ٤٨٣١٥٢٧

اهــداء وشــكر وتقـدير

اهداء الى استاذى الفاضل الاستاذ الدكتور / عبد الهادى الجوهرى مستشار مصر الثقافى فى اليمن .

وشـكر وتقدير لأخى وصـديقى الاستاذ / على فهمى اسماعيـل موجه أول الفلسفة بوزارة التربية والتعليم (سابقا) ، لمشاركته لى فى اختيار عنوان هذا الكتـاب .

دكتور / حسـين عبد الحميد أحمد رشوان

الاسكندرية فى سبتمبر ١٩٩٣ .

محتويات الكتاب

الموضوع — أرقام الصفحات

الموضوع	أرقام الصفحات

المقـــدمة

يعتبر علم الاجتماع من العلوم الاجتماعية الوثيقة الارتباط بموضوع الفولكلور والفنون الشعبية . وتبدو أهمية هذا الموضوع فى أنه يعد جمع واحياء المخلفات او بقايا القديم ، ووثقافة ما قبل التمدين كالاساطير والحكايات والاغانى والامثال ، والفنون الشعبية ، والازياء التقليديـة بدلا من تركها للنسيان .

ويستهدف هذا المؤلف تبيان مـدى ارتباط الفولكلـور والفنـون الشعبية بالمجتمع وما يشتمله من علاقات اجتماعية ، ومعايير خلقيـة كالعادات والاعراف والتقاليد والقيم ، وكذلك النظم الاجتماعية كالنظم الاسرية والدينية والاقتصادية .

وتناول المؤلف الاتجاهات النظرية فى دراسة الفولكلـور ، وهى الاتجاه الرومانسى ، والمدرسة الواقعيـة ، والمدرسـة الميثولوجيـة الاسطورية ، والاتجـاه التاريخى ، والجغـرافى ، والاثنولوجـى ، والسيكلوجى ، والاتجاه السسيولوجى .

واستخلص الباحث من هذه الاتجاهات فرضا مؤداه أن المعيـار السسيولوجى والعقل الجمعى والمشاعر الجمعيـة هى الخلفية التـى تقف وراء التراث الشعبى . ولتحقيق هذا الفرض استخدم البـاحث المنهج التاريخى والمقارن ، وتبين من الدراسة اختلاف الظروف التى تطلبت العناية بالفولكلور والتراث الشعبى فى أوربا فى كل بلـد عن الآخر . وأعطى ذلك فرصة لاستخدام المنهج المقارن . ويرى البعض أن الفولكلور نشأ كفرع للانثروبولوجيـا ، ثم استقـل كعلـم يدرس بالجامعات عام ١٨٨٨ ، ثم اعترفت الهيئات الرسمية الدولية به الى سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى .

واستخدم الباحث ٩١ مرجعا ، تنقسم الى مراجع عربية فى مجال الفولكلور ، أذكر منها ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ كتاب د. عبد

الحميد يونس • دفاع عن الفولكلور • الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ • وفى مجال الفنون الشعبية • رشدى صالح • الفنون الشعبية • دار القلم ، ١٩٦١ • وفى مجال المراجع الأجنبية (المترجمة) • كتاب سوكولوف / يورى •الفولكلور قضاياه وتاريخه • ترجمة حلمى شعراوى وعبد الحميد حواس ، ١٩٧١ • واستخدم الباحث عددا من مجلات التراث الشعبى ، والفنون الشعبية ، وعالم الفكر • وفى مجال المراجع الاجنبية

Ames, L. Kenneth, Beyond Necessity, Art in folk Tradition, The winterthur Museum, Distributed by W.W. Norton & Company, Inc., 1977.

وينقسم هذا المؤلف الى **ثمانية فصول** • استهدف **الفصل الأول** القاء الضوء على مفهوم مصطلح الفولكلور ، وتقسيماته ، ووظائفه ، وتاريخه • واستهدف **الفصل الثانى** تبيان الاتجاهات النظرية فى دراسة الفولكلور • **ويلقى الفصل الثالث** الضوء على الأدب الشعبى ، ومميزاته ، واقسامه ، وكذلك الشعر الشعبى حيث ينفعل الشاعر الشعبى بمجتمعه ويتاثر بما يحيط به • فيترجم عن عواطف جياشه متدفقة متلونة بما انفعل به ، وبما انطبع فى نفسه من احاسيس ومشاعر متباينة • ويتناول **الفصل الرابع** الأمثال الشعبية باعتبارها أحد الميادين لدراسة الفولكلور، وهى تتميز بأنها مرآة للشعوب ، فتعكس اتجاهاته واخلاقه وتقاليده وحياته الاجتماعية ، وتمتد لتشمل كافة مجالات الحياة •

اما **الفصل الخامس** فيتناول الحكايات الشعبية • ومنه تبين أنها قد تكون قصة خرافية ، او تاريخية ، او اجتماعية ، او الحكاية التى بها ابراز حكمة معينة ، أو حكاية دينية ، أو حكايات الابطال من الانبياء والحياة الاخرى ، أو سيرة شعبية • ويلقى **الفصل السادس** الضوء على السير الشعبية ، وسماتها ، ونماذج منها : كسيرة عنترة بن شداد ، والأميرة ذات الهمة ، والظاهر بيبرس •

وتناول **الفصل السابع** مفهوم الفنون الشعبية وخصائصه وتصنيفاته، وتطرق بعد ذلك الى الاغنية الشعبية ، والموسيقى الشعبية ، والرقص الشعبى ، والفنون التشكيلية الشعبية ، والالعـاب الشعبية ، والطب الشعبى ، أما **الفصل الثامن** والاخـير فيتناول المجتمـع والفولكلـور باعتبارهما عنصران مرتبطان فى مجـال الأسرة والطفـل والعقيـدة والاقتصـاد .

الفصـــل الاول

الفولكلـــــور

ماهـــو الفولكلـور ؟

يستهدف هذا الفصل القاء الضوء على مفهوم مصطلح الفولكلور Folklore ، وتقسيماته ووظائفه وتاريخه . وفى حقيقة الامر فـان هذا المصطلح شديد الغموض والعمومية حتى الآن ، وتعريفه ليس بالامـر السهل ، والذى يمكن ان نصل فيه الى القول الفاصل او التحديد الدقيق دفعة واحدة ، خاصة اذا ارتبط الامر بابداع الانسان فردا كان او جماعة.

ومن ثم فليس هناك اتفاق تام بين دارسى الفولكلور حول ما تعنيه هذه الكلمة . ويؤكد ذلك طومسون ، حيث عبر عن صعوبة وضع تعريف يتفق عليه جميع العلماء ، فيقول [1] :«على الرغم من ان كلمة فولكلور قد مضى عليها اكثر من قرن ، فليس هناك اتفاق تام على ما تعنيه هذه الفكرة» . وهكذا تعددت وجهات نظر العلماء ، واختلفت فيما يتعلق بهذا الموضوع .

ويتفق بعض علماء الفولكلور على ان مجال دراسة هذا العـلم يشمل الظواهر الثقافية التالية :

١ ـ الادب الشعبى .

٢ ـ العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية .

٣ـ فنون الرقص والموسيقى والغناء الشعبى .

٤ـ الثقافة المادية خصوصا الحرف والصناعات اليدوية Handicraft

---

١ ـ د. عبد الحميد يونس ، التراث الشعبى ص ٥ .

وعلى ذلك فان الحياة الشعبية Folk Life والثقافة الشعبية هما جناحا البيئة التى يعيش فيها الفولكور ، ذلك ان الظاهـرة الفولكلوية تستلزم وجود جماعة او جماعات شعبية لها ثقافتها الخاصة والتى يمكن ان تطلق عليها الثقافة الشعبية .

فالفولكلور مرآة للحياة الشعبية ، او تصوير الحياة الشعبية كمـا هى . فالاعمال الادبية والفنية الشعبية لاتنبت من العدم . فالفنـان والكاتب والشاعر يؤلفون ويصورون منتجاربهـم ومعرفتهـم ، ومـن انفعالاتهم الوجدانية .

أن الفولكلور صلة بين الفنان وعشيرته واسلافه ، ويمكن ان يظهر فى اى موضوع او جماعة او فرد ، وفى اى زمان ومكان - كما يقول مامى هارمون - Mamie Harmon . ومن ثم فهو يشمل كل المعلومـات والمهارات والمفاهيم التى يكتسبها الفرد بشكل حتمى نتيجة لتاثير البيئـة التى نشا فيها (١) .

امـا وليم جـون تومـز William Thoms الذى صاغ مصطلح الفولكلور لاول مرة عام ١٨٤٦ وكذلك جمعية الفولكلور الانجليزية التى تأسست عام ١٨٧٧ ، فقد عرفا الفولكلور بانه : العقائد المأثورة وقصص الخوارق والعادات الجارية بين العامة من الناس وكذلك ما انحدر عبر العصور من السلوك والعادات والتقاليد والمعتقدات الخرافية ، والاغانـى الروائية والامثلة الشعبية وغيرها . ويعنى ذلك أن تومز قد اعتبر ان الفولكلور هو الجانب من الثقافة الشعبية ، والذى يطـابق المأثورات الشعبية .

---

١ - انظر مصطفى مبارك مصطفى ، الفولكلور والتصـور العـلمى التخصصى . نقلا عن ندوة التخطيط لدراسة الثقافة المادية والفنون والحرف الشعبية ، مركز التراث الشعبى لدول الخليـج ٤/ ، ١٩٨٥ ص ١٢٥ .

وفى التقرير الاول لمجلس جمعية الفولكلور الانجليزى تم وصف الفولكلور بأنه : يمكن ان يطلق على مايشتمله جميع ثقافة الشعب التى لاتدخل فى نطاق الدين الرسمى ، ولا التاريخ . ولكن تنمو دائما بصورة ذاتية . وعلى هذا فان ما فى الحضارة من الموروثات الفولكلورية الباقية، وكذلك مظاهر الفولكلور لدى القبائل انهمجية ، كلاهما ينتمى الى التاريخ البدائى للنوع الانسانى .

وعند جمع وطبع هذه (المخلفات او الذخائر) الخاصة بعصر من العصور من مثل هذين المصدرين المختلفين اختلافا كبيرا ، فان الجمعية ستاخذ على عاتقها تقديم ماتدعو الحاجة اليه من المقارنات والتفسيرات التى تخدم عالم الانثروبولوجيا بشكل واضح .

ولقد كان نتيجة للمناقشات المتصلة بين علماء الفولكلور وغيرهم من المشتغلين بالدراسات الانسانية أن أصبحت لدينا طائفة كبيرة من التعريفات المختلفة . وفيما يلى بعض هذه التعريفات :

الفولكلور هو بقايا القديم وثقافة ما قبل التمدين أو هو الموروثات الثقافية فى بيئة المدنية الحديثة . فقد إعتبر هادون ١٩٢٠ أن الفولكلور هو دراسة الموروثات الثقافية كافعال وممارسات وما توارث شفهيا ، ومعتقدات لدى العنصر المتخلف فى مجتمع أكثر تحضرا . وقال هادون ان الفولكلور ببساطة هو معارف العامة من الناس ، والعامة The Folk بهذا المعنى هم العنصر المتخلف فى مجتمع اكثر تحضرا (١) .

وعرف بوتر Ch. f. Potter الفولكلور بأنه « حفريات حية تأبى أن تموت » . ويشرح وجهة نظره بقوله : « ان الفولكلور

---

١ - فوزى العنتيل . الفولكلور - ماهو - دراسات فى التراث الشعبى ص ٢٥ .

هو الرواسب العلمية والثقافية المتأخرة للتجربة الانسانية ، والتى تكونت على مر العصور . اما باليس J. Balys وآرثو تايلور A. Tylor فيريان ان الفولكلور هو الجانب المأثور من الثقافة الشعبية .

ويفضل بعض الباحثين العرب استخدام اصطلاح التراث الشعبى بدلا من كلمة فولكلور . ومعنى كلمة تراث فى الثقافة العربية ما ورثـه الخلف عن السلف من آثار علمية وفنية وأدبية قيمة ، وهو بشكل عام عناصر الثقافة التى تنتقل من جيل الى آخر ، وأى شىء انتقل من شخص الى آخر ، وحفظ اما عن طريق الذاكرة او بالممارسة اكثر مما حفظ عن طريق السجل المدون . وهو قوام الحياة الشعبية والحصيلة الكاملـة لثقافة الشعب ، على اختلاف أجياله وبيئاته ، ومراحل تعليمه النظامى وغير النظامى .

فقط ربط هو سكوفيتز بين التراث والثقافة وجعلها مرادفا لها فى قوله : « ان التراث مرادف للثقافة ، وانه شكل ثقافى يتناقل اجتماعيـا ويصمد عبر الزمن » كذلك يذهب جوجن Goggen الى انه أسـلوب متميز من اساليب الحياة ، كما ينعكس فى مختلف جوانب الثقافـة ، وربما يمتد خلال فترة زمنية معينة (١) .

وهناك قلة من العلماء اعتبر الفولكلور الثقافة التى انتقلت مشافهة بشكل عام « التراث الشفوى » ، أو ما يطلق عليـه اسـم « الادب الشعبى » الذى ينتشر شفويا . وهنا يمكن القول أن الذى يميز الفولكلور عن بقية الوان الثقافة فى المجتمع الحديث هو ترجيح العناصر المنقـولة على العناصر المكتسبة بالتعلم .

وهناك من العلماء من يضيق مجال الفولكلور تضييقا شديدا .

---

١ ـ د . احمد على مرسى . مقدمة فى الفولكلور ص ص ٨٣ ـ ٨٤ .

فها هو لومـالا R. Luomala جعله ينحصر فى الحكايات الشعبية ٠ ومن الواضح ان الكثيرين من علماء الفولكلور يوسعون ميدان الدراسـة بحيث يتضمن الادب الشعبى والمعتقـدات ، والموسيقى ، والرقص ، والعادات الشعبية ، وغيرها من العناصر ٠

ويستخدم البعض مصطلح « الفنون الشعبية » بما يقابل الفولكلور ، والذى لايمكن أن يندرج تحته موضوعات مثل : الممارسات ، والمعتقدات ، والطب الشعبى ، والعادات ، وما الى ذلك ٠

وجملة القول فان كلمة « فولكلور «Folklore » مصطلح علمى عالمى ، وتعبير يستخدم فى اللغات الاوربية ، ثم العربية وهى مشتقـة من كلمتين ٠ فولك بمعنى الشعب أو الصنف من الناس ٠ وهى منحدرة عن العربية من كلمة « الفلق » بفتحتين ، ومعناها « الخلق كله » ـ أى المخلوقات بعامة ٠

تخصصت الكلمة بعد ذلك فى الاوربيات بمنعى المخلوقات البشرية ، مثلما كانت كلمة « الخلق » تعنى المخلوقات بعامة ، ثم تخصصت فى العربية بالبشرية ، وبالشعب والعامة ، والطائفة من الناس ، وما الى ذلك من معانى الجماعات البشرية ٠ أما كلمة « لور «Lore فتعنى التعليم أو التعلم أو المعرفة أو الحكمة ([1]) ٠

وعليه فان الترجمة الحرفية للكلمة تعنى (المعرفة الشعبية أو حكمة الشعب) ٠ وتنطوى الحكم الشعبية على قواعد خلقية واجتماعية اجبارية ملزمة ٠ ففى اغانينا حزن وقدرية مسرفة ، والحب المقترن بالعذاب ، والامتهان ، والشكوى من الحبيب الذى هجر ٠

وفى السحر والتطبيب والخرافات نلمس آدابا دينية سحريةالىجانب

---

١ ـ أنظر عبد الحق فاضل ٠ حول تعريف الفولكلور نقلا عن مجـلة التراث الشعبى ، العدد التاسع ، ١٩٧٨ ، ص ٥

الدين الرسمى . وفى الرقص والتصوير رموز جنسية وغير جنسية ، عدوانية وغير عدوانية . وفى قصص الاطفال يكثر ذكر « ام الغـول » واكبر الظن انها زوجة الاب . وكذلك « الشاطر حسن » الذى ينقذ الطفل او الطفلة من شرها واذاها ، وفى النكات والفكاهات تعبير رمزى عن عدوان دفين ([١]) .

وسرعان ما تبنى الباحثون فى مختلف بلدان العالم هذا الاصطلاح وتردد فى المانيا وايطاليا وفرنسا وروسيا . ومن ثم اصبح اصطلاحا عالميا. اما المجمع اللغوى المصرى فقد عرفه بانه (المأثـورات الشعبية او التراث الشعبى) .

وكلمة (الشعبى) قد يكون المقصود بها الفلاحين وسكان الريف. ففى فولكلور بعض الجماعات كالفلاحين او الصيادين - مثـلا - اكثر شيوعا من غيره ، نظرا لطبيعة هذه الجماعات ، والبيئات التى يعيش فيها ، ونمط حياتها .

غير ان هذا المعنى لم يلق قبولا عاما ذلك ان الصفات التى تميز الناس موجودة عند كل سكان المدينة ، وعند سكان الريف على السواء ، ولان الفولكلور كما يعيش فى القرية يعيش فى المدينة .

وهكذا اصبحت كلمة « الشعبى » مرتبطة بالافراد الذين يتألف منهم الشعب ، فكثيرا مايكون المقصود بها العامة من الناس ، او الطبقات غير المتعلمة او الدنيا فى المجتمعات المتحضرة ، او ذلك الجـزء من السكان الذى استمسك بالتقاليد والعادات . وذلك فى مثل قولك : الاحياء الشعبية ، والطبقة الشعبية ، والشعر الشعبى ([٢]) .

---

١ - انظر د. احمد عزت راجح ، اصول علم النفس ص ٥٠٠ .

٢ - انظر د. فاطمة حسين المصرى . الشخصية المصرية من خـلال الفولكلور المصرى . ص ١٨ .

وقد حدد ريدفيلد Redfield خصائص مايسمى بالمجتمع الشعبى . فقال انه مجتمع صغير ، منعزل ، امى ، متجانس ، يؤلف بينه احساس قوى بالتضامن الجماعى . كما يتصف ببساطة التكنولوجيا، والنشاط الانتاجى والاستغلال الاقتصادى المشترك ، والسلوك التقليدى المنمط ، والافعال التلقائية ، والعادات الشعبية ، والتنظيم القائم على علاقات القرابة ، والايمان الخارق بالقوى الخارقة للطبيعة ، فى الوقت الذى نرى فيه عكس هذه الصفات فى مجتمع المدينة ، او المجتمع المتحضر .

اما فى العرف السياسى فان كلمة الشعب تعنى الامة بمجموع طبقاتها . كذلك فان الاساطير والحكايات الشعبية أو العامية ـ لايختص بها العامة من الناس ، بل يحكيها الخاصة ايضا ويتداولونها ، حتى ما كان شعبى المنشأ فيها ، فانه ينتقل الى قصور الخاصة عن طريق الخدم والحواضن الاتى يتربى اولاد الخاصة على أيديهن ، وغالبا على اثدائهن ايضا ، ويلازمنهم اكثر من ملازمة امهاتهم وآبائهم لهم فى بعض الاحوال .

وكثيرا ما انتقلت حكايات شعبية ، والفاظ شعبية (عامية) ، واغانى شعبية ،واكلات شعبية فقيرة عن هذا الطريق الى قصور الامراء والخلفاء. ولايغيب عن البال أن الازياء التقليدية التى يرتديها الرجال والنساء فى المهرجانات ليست كلها من لبوس العامة ، ولاسيما الحرير والموشى فيها والمذهب والمقصب ، فيكفى أن تكون تقليدية قد انقرض استعمالها أو كاد ، لتعتبر من التراث الشعبى .

والطابع المميز للتراث الشعبى كمعرفة علمية هو انه اولا وبالذات معرفة ديموقراطية لجميع فئات الشعب لا حكرا ولا وقفا على طبقة

خاصة ، او تجربة خاصة ، او معرفة خاصة ، بل هو لابد من ان يصبح حقا مشاعا لسائر الثقافات وانواع المعارف كلها ، والطبقات ، وسائر المعتقدات ([1]) .

وتتصف عناصر الفولكلور والتراث الشعبى بأنها قد ارتضيت ، واكتسبت دوامها لا عن طريق المعرفة التجريبية ، ولا بالحقائق المؤيدة علميا ، ولا بالقانون الوضعى ، ولا بالتاريخ الموثق ، ولا بالسجل المدون ، والذى هو شرط ضرورى لاى واحدة من تلك التى ذكرت ، ولكن ارتضيت ، واستمرت ببساطة عن طريق العادة Habit ، والتراث

ويظهر قصور مصطلح التراث الشعبى ، لانه من كلمتين ، ولو انه صحيح من حيث المعنى . كذلك من الصعب أن نضيف «التراث الشعبى» الى العراق - مثلا - فنضطر الى استعارة الكلمة الفرنجية هنا أيضا فى قولنا : « فولكلور العراق » ، ولايقال تراث شعب العراق ([2]) .

ومع ذلك لم يعد الفولكلور مجرد رواسب متحجرة تخلفت عن الماضى ، بل هو قادر على البقاء والتطور ، محتفظا بأصالته ومرونته ، يسقط العناصر التى لم تعد صالحة ، ويعدل فى العناصر التى لاتزال تحتفظ بقدرتها على الحياة ، ويضيف عناصر جديدة ، ومن ثم فهو لايمكن أن يكون عائقا من عوائق التقدم .

تقسيمات الفولكلور :

تعددت تقسيمات العلماء للفولكلور ، واختلفت طبقا لوجهة نظر كل منهم . ويمكن حصرها فى النقاط الآتية :

---

١ - انظر نمر حسن حجاب . التراث الشعبى - علم وحياة . نقلا عن مجلة التراث الشعبى ، العدد الثالث ، ١٩٩١ ص ١٧ .

٢ - عبد الحق عبد الفاضل . تعريف اسم الفولكلور - نقلا عن مجلة التراث الشعبى ، العدد السابع ، ١٩٧٧ ، ص ٦ .

١ — الوحدات العمرانية (القرية والمدينة) والكفر ... الخ .

٢ — المبانى والمساكن والبيت ، وأجزاؤه ، وزينته ، والاثاث ، والادوات المنزلية والاوانى والادوات .

٣ — الثقافة المادية ، وثقافة ما قبل التمدين ، وبقايا القديم ، وكذلك الثقافة التى انتقلت مشافهة بشكل عام (التراث الشفوى) .

٤ — الحياة الاقتصادية ، وأدوات العمل الزراعى ، وتربية الماشية وأسواق الفلاحين .

٥ — الغـذاء .

٦ — الأزيـــاء .

٧ — العادات والتقاليد الشعبية .

٨ — المعتقدات الخرافية والخزعبلات .

٩ — الادب الشعبى .

١٠ — الحكايات الشعبية .

١٠ — الفنون الشعبية .

١١ — الاحتفالات والمهرجانات الشعبية .

١٢ — التمثيل .

١٣ — الرقص .

١٤ — الأغنية الشعبية .

١٥ — الموسيقى وآلاتها .

١٦ — الالعاب الرياضية .

١٧ — الحرف الشعبية .

١٨ - المعارف ·

١٩ - اللغة والتراث اللغوى ·

٢٠ - الأمثال الشعبية ·

٢١ - القانون ·

٢٢ - الطابع القومى (١) ·

وظائف الفولكلور :

الوظيفة الاولى : وهى المحتوى الاجتماعى للفولكلور وموقعه فى الحياة اليومية للناس · ونجد ذلك واضحا عندما نحدد العلاقة بين الفولكلور والثقافة ، والتى تثير بعض الاسئلة عن مكان وزمان العناصر الفولكلورية التى يتم الحديث عنها وعن هؤلاء الذين يتكلمون ويتحدثون ويمارسون هذه العناصر وهل هى مملوكة ملكية خاصة لراو واحد ؟ وممن يتكون الاتباع ؟ وماهى الطبيعة الدرامية التى يستخدمها الراوى؟ ومدى اشتراك الجماعة فى الضحك والتمثيل والرقص ؟

الوظيفة الثانية :

المدى الذى يقوم به الفولكلور فى تثبيت الثقافة ، وفى الحفاظ على الشعائر والنظم · فهى تحفظ عليك قديمك · وهى لاتقول لك : من فات قديمة تاه · ولكنها تقول : ابق على تقاليد آبائك واجدادك · وهى تذكرك بتلك التقاليد - مجرد الذكرى ، وتحفظ لك الاساطير ، مجرد الحفظ ، وتدرس لك مصادر هذه وتلك ، وتردها الى اصولها ، لتقيم حاضرك على عمد قوية من الذكرى ، وانفعالاتك على سند من القومية ·

---

١ - انظر فرانسيس لى أتلى · تعريف الفولكلور - نقلا عن الفولكلور الامريكى (٢٥ باحث من المتخصصين ، من محاضرات الندوة باذاعة (صوت امريكا) ص ٣٣ ·

الوظيفـــة الثالثة :

دور الفولكلور التعليمى ، وخصوصا فى المجتمعـات غير المتعلمة والتى تنتشر فيها الامية ، وقلة عدد المتعلمين . وقد اثبتت الدراسـات الانثروبولوجية أن المعلومات التى تحويها عناصر الفولكلور المختلفـة ينظر اليها باحترام وتقديس . وقد ينظر اليها البعض باعتبارها حقيقة تاريخية .

فعندما أدرك أن انبصل الاخضر فى شم النسيم عادة انحدرت الـى من اغوار تاريخية سحيقة ، اشعر بأننى ابن موصل لهذا التاريخ . وهذا يشبه من بعض الوجوه شعورى وانا واقف بمعبد ابو الهول ، وأمـام بوابة السلطان حسن ، أو مسجد قايتباى ، او بصحن الجامع الازهـر الشريف ، احس بذلك الماضى العريق وصلته بالحاضر ، وبآمال المستقبل وبهذا المعنى فان الفولكلور اتمام لرسالة المتحف التاريخى ،لان الفولكلور تاريخ غير مكتوب ، وانما هو حى فى نفسى .

الوظيفـة الرابعـة :

وهى وظيفة التكامل فى المجتمع ، والوصول الى مرحلة التضامن الاجتماعى . وهذه الوظيفة نجدها واضحة فى كتابات رادكليف براون عن الاندمان ، وفى كثير من الكتابات الانثروبولوجية الاخرى .

ويخلص باسكوم الى أن الفولكلور بعناصره المختلفة يلعـب دورا هاما ، فهو ميكانزم هام فى الوصول الى الاستقرار الثقـافى والثبات التلقائى ، وانه يزرع العادات ، ويضع المعايير الخلقيـة للضمائر ، ويكافىء الكبار عندما يتوافق سلوكهم مع قيم المجتمع ، ويعاقبهم عندما ينحرفون عن هذه القيم ، ويمدهم بالمستويات العقلية والمنطقية فيواجهوا المشكلات الخاصة بالنظم الاجتماعية (١) .

---

١ - انظر د. حسين فوزى . عهد . نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد الاول ، ١٩٥٩ ص ١٥ .

تــاريخ الفولكــلور :

كانت كتب ودراسات القدماء تتخذ أسماء مختلفة لم يكن من بينها كلمة « فولكلور » • فقد وصف لنا المؤرخون القدماء حياة الاغريق والرومان والفراعنة والعرب ، وحدثونا عن العادات والمعتقدات والخرافات والاساطير ، وفنون التعبير ، وغير ذلك من مأثورات الاقدمين • كما جمع بعض الكتاب ورجال الدين والادباء مجموعات من الاقوال الشعبية تحت باب النوادر أو باب الامثال والاغانى •

وكان الحديث عن التقاليد والمعتقدات الدارجة والفنون الشعبية يأتى ضمن كتب اللغة والادب والتقاويم وكتب التاريخ ، وكانت مجموعات النماذج الشعبية تأتى على هامش العلوم المعترف بها •

وقد اختلفت الظروف التى تطلبت العناية بالتراث الشعبى فى أوربا فى كل بلد عن الآخر • ففى المانيا قامت محاولات فى مقدمتها كتاب « جرمانيا Germania لتاسيتوس Tacitus • وقد ظل هذا الكتاب مجهولا حتى نشر فى القرن الخامس عشر • وكان له تأثير ضخم على اتجاه الفولكلور الالمانى الى الوصف والتاريخ •

وفى القرن الثامن عشر اهتم المثقفون فى المانيا وعلى رأسهم الاخوان « جريم » ـ « ولهلم » و « جالكوب » ، والذين كثيرا ما أشير الى انهما « والدا الفولكلور » وان لم يطلقوا عليه هذا الاسم ، اهتما بجمع التراث الشعبى الالمانى الاصيل بعد ان خشيا من ان تؤدى موجه الامبريالية الى تغيير معالم الشعب الالمانى وخصائصه •

ومن ثم فقد بدأ الاخوان « جريم » بجمع مادة التراث الشعبى الالمانى الذى ينتمى الى عصر ماقبل انتشار المسيحية ، ذلك انهما كانا يعدان الدين المسيحى دخيلا على تراثهم الحضارى ، اما التراث الذى عاش قبل هذا العصر فهو جرمانى اصيل •

وقد صرح الاخوان «جريم» بأن حب الوطن هو الذى يحدوهما الى ان يقفا على « ماثورات الشعب » ويضيفان : نحن لم نعد نعتقد ان جميع الحكايات الفولكلورية الاوربية هبطت الينا من مصدر مشترك سحيق فى الزمن ، والمصدر الهند واوربى ، مثلما انحدرت الينا معظم اللغات الهندواوربية . ولم نعد نعتقد ايضا ان الحكايات الفولكلورية عموما انها هى حطام اسطورة دينية قديمة . ولكننا نقبل الفكرة الثالثة القائلة ان الكثير - وليس كل - الحكايات الفولكلورية فى مناطق مختلفة ، تشبه احداها الاخرى ، لانها نبتت من أعراف اجتماعية ، ومواقف ثقافية متشابهة .

واقترح الاخوان « جريم » الفكرة القائلة ان الحكايات والاغانى ترحل عبر الحدود ، وعبر الثقافات ، وعبر الحدود اللغوية . وان هذا يفسر نشأة الحكايات لدى اقوام او شعوب بينهم فواصل واسعة .

ويرجح العلماء ان كلمة « فولكلور » ترجمة للكلمة الالمانية « فولكسكنده » ، والتى كانت موجودة منذ عام ١٨٠٦ أو نحو ذلك التاريخ . اما قبل ذلك فكان الفولكلور معروفا بشكل غامض بالمصطلح القديم الاثار الشعبية القديمة Popular Antiquities

وفى فنلنده بدأ الوعى بالتراث الشعبى فى ظروف تاريخية خاصة فقد خضعت فنلنده للحكم السويدى فترة زمنية معينة . وقد شاءت السويد ان تقضى على معالم الشعب الفنلندى بان شرعت فى احراق كل تراثه على ان التراث الشعبى الفنلندى لم يكن يعيش على صفحات الورق ، وبين ثنايا الكتب فحسب ، بل كان يعيش بصفة اساسية فى صدور ابناء الشعب الفنلندى .

وفى عام ١٨٠٩ تخلصت فنلنده من الاحتلال السويدى لتعانى فترة احتلال اخرى من قبل روسيا ، وان كانت قد احتفظت باستقلالها

الداخلى . وعندئذ عمل الشعب الفنلندى علـى استرداد شخصيته عـن طريق احياء لغته واحياء تراثه .

وفى عام ١٩٣٥ قدم « الياس لونروط » للشعب الفنلندى ملحمتـه الخالدة ، كاليفـالا وتحكى المراجع عن الظـروف التى هياهـا لونروط لنفسه لتمثل الروح الجماعى فى تاليه هذه الملحمة ، فقد ظل يطوف بأنحاء فنلنده ، ويعيش مع أفراد الشعب الذين يحفظون تراثهم البطولى حفظا متقنا ، حتى استطاع ان يجمع الشعر البطولى ، والشعر الغنائى

وقد ارتبط تاريخ الفولكلور من الناحية الابداعية بالاثرى وليم جون تومز . فهو الذى ابتدع اصطلاحا جامعا مانعا ، فصاغ كلمة «فولكلور» ووجه رسالة الى مجلة « ذى اثينيوم » The Athenaeum ودعـا الى استخدام كلمة فولكلور للدلالة على الاثار الشعبية القديمة او حكمـة الشعب . ونشرت الصحيفة هذه الرسالة فى الثانى والعشرين من اغسطس عام ١٨٤٦ .

ومن جهة اخرى ، يعد تومز المؤسس الحقيقى لجمعيـة الفولكلور الانجليزية التى تاسست عام ١٨٧٧ وفى السنوات التالية هاجرت الكلمـة الى أوربا ، وترددت فى المانيا وايطاليا وفرنسا وروسيا .

ونشير هنا الى حقيقة مؤداها ان الفولكلور لم ينشأ كعلم مستقل ، وانما نشأ كفرع من الانثروبولوجيا . ففى خلال الفترة من ١٨٨٤ – ١٨٨٦ نجد الفرد نت Alfred Nutt تعرف الفولكلـور بأنـه : انثروبولوجيا تتعلق بالانسان البدائى واستخدم كلمة بدائى Primitive فى أوسع معانيها . كذلك فعل هارت لاند Hart Land ، فقد رأى فى الفولكلور انثروبولوجيا تعالج الظواهـر النفسـية للانسـان غـير المتحضر » [١] .

---

١ – أنظر فوزى العنتيل . مقدمة فى تاريخ الفولكلور نقلا عن مجلـة الفنون الشعبية ، الدور الاول ، ١٩٦٥ ، ص ٥٦ .

الا ان كلمة بدائى قد اثارت نقاشا طويلا فقد اعترض آندرو لانج And rcw Lang علـى استخـدام ماكس مـوللر Max Muller لها . وقال بأن أكثر الاجناس تخلفا كانت لها حضارة راقية فى الماضى . كذلك فان هذا الماضى الذى خلفوه وراءهم ليس من اليسير احصاؤه ، وان عاداتهم المعقدة ليست حصيلة أعوام او قرون ، بل ربما كانـت حصاد عصور لاتعد . وعلى هذا فان عالم الانثروبولوجى لايصح له ان يسميهم بدائيين ، بل يستطيع فقط ان يصفهم بأنهم متخلفون .

وقد ساعد على استقلال علم الفولكلور اعتراف الجامعات به كعلم مستقل عام ١٨٨٨ ، حيث بادرت جامعات هيلنسكى بوضع هذا العلم فى برامجها ، ثم تبعتها جامعات السويد والنرويج والدانمارك والمانيا وبلجيكا والنمسا ويوغوسلافيا ورومانيا وروسيا وكندا والولايات المتحدة الامريكية وغيرها .

كما اعترفت الهيئات الرسمية الدولية بهذا العلم الى سنوات ماقبل الحرب العالمية الاولى حين تاسست عصبة الامم ، وسعى لديها علمـاء الفولكلور أن تعترف بجهودهم ، وتؤمن بان دراسة التراث الشعـبى تكشف عن العناصر المشتركة فى حياة الامم .

وفى عام ١٩٢٧ نجح هؤلاء العلماء فى عقـد اول مؤتمـر دولى للفنون الشعبية تحت رعاية «المعهد الدولى للتعاون الثقافى» ونجحوا كذلك فى انشاء اللجنة الدولية للفنون والتقاليد الشعبية » . وبعد الحرب العالمية الثانية انضمت هذه اللجنة الى المجلس الدولى للفلسفة والعلـوم الانسانية التابع للامم المتحدة .

كذلك اتيحت الفرص للباحثين من جميع البلاد للتعبير عن وجهات نظرهم فى المجلات والدوريات المتخصصة فى الفولكلور والتراث الشعبى

والتى صدر فى وفرة بالغة فى كل انحاء أوربا [١] .

وخلال القرن العشرين ، تطور مفهوم مصطلح « فولكلور » فى أوربا والولايات المتحدة الامريكية ، وفى معظم بلدان العالم الاخرى ، بحيث صار يشمل الفنون القولية بجميع أشكالها ، والموسيقى ، والرقص والمعتقدات ، والعادات ، والتقاليد ، والمعرفة ، والافكار ، والعواطف، والسلوك ، وما يدخل فى صنع المنتجات المادية الشعبية وتزيينها واستعمالها [٢] .

---

١ ـ انظر : د. نبيلة ابراهيم . الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ص ١٣ .

٢ ـ عبد اللطيف البرغوتى . الفولكلور والتراث الشعبى نقلا عن مجلة عالم الفكر ، المجلة السابع عشر ، العدد الاول ، ١٩٨٦ ص ٩٣ .

الفصــــل الثــانى

الاتجــاهـــات النظرية فى دراســـة الفولكلور

يستهدف هذا الفصل تبيان الاتجاهات النظرية فى دراسة الفولكلور

الاتجــاه الرومانسى :

أول اتجاه نشأ فى هذه الدراسات الفولكلورية هــو مانسميه الآن بالمدرسة الرومانسية • ومن سماتها المهمة ، الحنين الجياش الى رواد الماضى ، وبساطة أسلوب الحياة القديمة ، كما يبدو فى حياة اهل الريف الانفعالى العاطفى الجياش لفكرة الوطنية •

ويعتبر الاخوان يعقوب لود فينج جريم Jocob Ludwing Karl Grimm

وويلهيلـــم كــارل جـــريم Wilheilm Karl Grimm مؤسسا المدرسة الرومانسية ، والاسطورية أيضا •• ولقد كان الاخوان يعقــوب (١٧٨٥ ــ ١٨٦٣) ، وويلهيلم (١٧٨٦ ــ ١٨٥٩) عالمى لغة وعالمى أساطير وحكايات شعبية •

وكانت أهم فكرة تلح عليهما ان يكشفا عن عراقة الثقافة الالمانية وجمالها ، وأن يبرهنا بالادلة والشواهد والاستنتاجات على ان هذه الثقافة انما تعود الى اقدم الاصول الحضارية المعروفة ، وانها تمتــاز باضطرادها وتفردها •

ويعتبر كتابهما المهم فى حكايات الاطفال والبيوت الذى صدر جزؤه الاول عام ١٨١٢ ، وجزؤه الثانى عام ١٨١٥ ، والذى ترجم الى اللغة الانجليزية بعنوان « حكايات منزلية » سنة ١٨٨٤ ــ يعتبر هذا الكتاب احد الاسس الرئيسية للمدرسة الرومانسية فى تاريخ الفولكلور • ذلك أنه قدم مجموعة كبيرة ومهمة من نماذج الحكايات الشعبية الالمانية التــى تلقى الاخوان جريم العديد منها من أفواه رواتها •

وقد صيغ صياغة أدبية مبنية على بديع اللغة الالمانية ومتأثرة بالموهبة الاوربية الكبيرة التى توفرت للاخوين جريم (١) .

المدرسة الواقعية / نظرية الاستعارة / المدرسة الشرقية :

كان للتحول العام الذى حدث فى أواسط القرن التاسع عشر من الاتجاهات الرومانسية انى أساليب التفكير الواقعى اثره على الدراسات الفولكلورية . وكان من نتائج التقدم الصناعى والتجارى فى أوربا ، بالاضافة الى تقدم علم الاستشراق فى ذلك الوقت الكشف عن كثير من الظواهر فى الشرق فى ميدان اللغة والدين والادب المشابهة لنظائرها فى الحياة الشعبية الاوربية .

وقد سار على نهج هذه المدرسة الباحث الالمانى المستشرق تيودور بنفى T. Benfey وكان بنفى (١٨٠٩ - ١٨١٨) أستاذا للسنسكريتية ، وعالم اللغة المقارن فىجامعة جويتنجين .ووهب نفسه للدراسات اللغوية السنسكريتية والشرقية والميثولوجيا .

وفى عام ١٨٥٩اعلن نظريته الشهيرة القائلة بالاصل الهندى لحكايات الجان وارتحالها الى أوربا ، ونشر مجموعة الحكايات الهندية « بنتشا تنترا » الكتب الخمسة المؤلفة فى القرن الثالث بعد الميلاد .

وقرر بنفى بأن الهند القديمة هى موطن الحكايات الشعبية ، ذلك ان التشابة بين الحكايات السنسكريتية ، والحكايات الاوربية ، وحكايات الشعوب غير الاوربية لايرجع الى قرابة الشعوب ، وانما يرجع الى الصلات التاريخية الحضارية بينها - أى عن طريق الاستعارة . ومن هنا كانت تسمى نظريته باسم « نظرية الاستعارة » .

---

١ - احمد رشدى . مدارس الفولكلور - نقلا عن مجلة الفنون الشعبية، العدد ٢٠ ، ١٩٨٧ ، ص ص ١٣ - ١٥ .

ومن الهند رحلت الحكايات الاسطورية بالشكل الشفاهى أو المكتوب الى فارس والجزيرة العربية وفلسطين ، ومن هناك عبر البحر المتوسط ذلك الطريق التجارى الكبير ، ومنه الى الغرب الى اوربا . وقد لعبت الشعوب المتاجرة كالعرب واليهود دورا كبيرا فى الحكايات الاسطورية من الشرق الى الغرب .

وفى اسبانيا ترجم العرب والعبريون هذه الحكايات الاسطورية الى اللغة اللاتينية ، اللغة الاوربية فى العصور الوسطى ، والتى استخدمت كاساس للترجمة الى اللغات القومية (كالفرنسية والايطالية والالمانية والبولندية) (١) .

وقد وجدت نظرية بنفى عديدا من الاتباع فى كل الاقطار . ومن بين اتباع هذه المدرسة جاستون بارى G. Paris ، وهوت G. Huet ، وكوسكان E. Cosquin (١٨٤١ – ١٩٢١) الفرنسيين . وكلوستون W.A. Colouston الاسكتلندى (١٨٤٣ – ١٨٩٦) .

وقد اصدر كوسكان كتابه « الحكايات الشعبية فى اللورين » عام ١٨٨٧ ، ومن رأيه ان الهند هى اضخم مصدر للحكايات الشعبية . لكنه خالف بنفى فى تقدير دور المغول فى انتشار الحكايات الى اوربا . واعترف كذلك بدور الحكايات الفرعونية ، والتى هى اقدم عهدا من حكايات الهند .

المدرسة الميثولوجية / الاسطورية

من اشهر الاتجاهات النظرية الكلاسيكية تلك التى عرفت باسم المدرسة الميثولوجية . ويقول الكزاندر كراب : ان كلمة Myth مأخوذة من Mythos الاغريقية ، ومعناها الكلمة أو الكلام .

---

١ – يورى سوكولوف . الفولكلور – قضاياه وتاريخه ص ٩١ .

والاسطورة حكاية شارحة etiological ، وهى ماخوذة من كلمة aitia الاغريقية ومعناها السبب .

وتحاول أن تفسر اسباب او علل سائر الظاهرات الطبيعية التى يشرحها العلم الآن . وبما ان القوى المسببة لهذه الظاهرات آلهة كانت أوجانا ، فان الاساطير ترتبط بهذه القوى الخفية ، وجماع الاساطير يؤلف نظاما اسطوريا .

هذا ولم ترى هذه المدرسة فى التراث الا عامل الارث فقط ودون اعتبار لانتشاره من مكان الى مكان آخر . او من شعب الى شعب آخر. وظل هذا الاتجاه سائدا الى أن جاء بنفى بنظريته التى تؤكد الاصل الهندى للحكايات الشعبية الاوربية ،وبمعنى انها نشات فى الهند القديمة، ثم ذاعت فى جميع انحاء العالم .

وكانت الميثولوجيا او دراسة الاساطير تحتل المركز الرئيسى فى تفسير الاخوين جريم Grimm - للفولكلور او الادب الشعبى . وكان مؤلف جاكوب جريم الذى خصصه لتنظيم وشرح الاساطير الالمانية الى حد ما السبب الرئيسى الذى جعل مفهوم جريم العلمى فى الادب الشعبى يعرف باسم النظرية الميثولوجية ، أو المدرسة الميثولوجية ، وهو الاسم الذى ثبت فى تاريخ علم الفولكلور .

وقام «كون» ١٨١٢ - ١٨٨١ بدراسة الاساطير الآرية دراسة مقارنة ، وعنى بشرح أسطورة « بروميثوس » فى كتابه « اصل النار وشراب الآلهة » (١٨٧٣) فى ضوء العلاقات اللغوية بين اسم « بروميثوس » ، ومايعنيه فى السنسكريتية . ويميل كون فى منهجه الى ارجاع اصل معظم الاساطير الى تأليه عناصر الطبيعة : العواطف ، والرعد ، والبرق ، والريح ، والسحب .

وحاول تلميذه « شفارتز » تطوير نظرية العواصف بأن يرد

الموضوع الرئيسى الذى تتضمنه الاساطير الى العواصف الرعدية • وربط شفارتز بين عدد من الاساطير ، وبين الصراع القديم بين النور والظلام فى تفكير البدائيين •

وعنى ماكس موللر (١٨٢٣ - ١٩٠٠) ، والذى قضى معظم حياته فى انجلترا ، بمسالة نشاة الاساطير وتكوينها وفسر ذلك بظاهرة سماها « اعتلال اللغة » • وتتلخص فى أن الانسان البدائى ، وبخاصة اسلاف الآريين قد عبروا عن افكارهم بكلمات حسية المعنى ، بسبب العجز عن التفكير المجرد •

واستنتج موللر من ذلك أن اللغة البدائية الحسية تتكون من الكتابات كما انها تتضمن وفرة وافرة من المترادفات المتشابه ، تظهر فى اسماء متعددة للدلالة على مسمى واحد ، كما تستخدم ايضا نفس هذه الاسماء فى الدلالة على مسميات أخرى كثيرة •

ومن رايه ايضا ان مرور الزمن ينتج بالضرورة اضطرابا فى نفس الافكار فيؤدى الى اعتلال اللغة • ويترتب على ذلك حدوث تصورات خيالية للظواهر الطبيعية اى الاساطير • وهذا التصور فى معانى الكلمات فى اللغة اعتبره عوامل فى تكوين الاساطير ([1]) •

فاذا ما افترضنا ان بعضهم قال فى زمن خلق الاساطير : ان المتوهج يتبع « المحترق » ، من أجل ان يعبر عن فكرة أن الشمس تتبع الفجر • ولنفترض اكثر من ذلك : أنه وقد اتضح أن كلمة المتوهج وهى الاصل الآرى الكلمة اليونانية Helioz بمعنى الشمس ، وأن كلمة المحترق هى الاصل الآرى للكلمة السنسكريتية Ahana بمعنى الفجر • ولنفترض ايضا ان الكلمة المطابقة Helioz اختلطت بأبوللو

---

١ - فوزى العنتيل • بين الفولكلور والثقافة الشعبية ص ٥٤ •

ذلك الاله الذى يشترك فى ملامحه العامة مع الشمس . كما تفترض ان كلمة المحترق قد انتقلت من كلمة مثل Ahana او Dahana الى كلمة Daphe . ويمكننا ان نزعم بعد ذلك ان شجرة مشهورة تحمل اسم « دافن » لانها تحترق بسهولة .

وهكذا يجد اليونان فى لغتهم التعبير التالى « ابوللو يتبع الدافن » ، واذا ما راوا ان ابوللو كلمة مذكرة ، وان دافن كلمة مؤنثة ، فانهم يستنتجون بنفس الطريقة ان ابوللو الالة الصغير يجب ويتبع دافن عروس البحر الجميل العفيفة ، وان دافن - هربا ممن يتبعها تحول نفسها ، او هى قد تحولت بالفعل الى شجرة تحمل نفس الاسم .

ويؤخذ على المدرسة الميثولوجية انها زعمت انحدار التراث الشعبى من اصل قديم واحد ، كما انها يصب منهجها على الدراسات اللغوية ، وعلى تتبع اوجه الشبه بين الكلمات الاوربية والآرية .

الاتجـــاه التـــاريخى :

يعتبر الاتجاه التاريخى اقدم اتجاه لدراسة الفولكلور وهو يقوم على محاولة الكشف عن اصول التراث الشعبى بمراحله التاريخية المختلفة ، وذلك باعتبار ان الفولكلور علم تاريخى ، يهدف الى استكمال الصورة الثقافية والحضارية لماضى شعب من الشعوب .

ويستند الاتجاه التاريخى فى دراسة الفولكلور الى ان الفولكلور علم تاريخى لانه يلقى الضوء على ماضى الانسان ، والى ان الظواهر الثقافية الشعبية يمكن ان تظل بمعالمها اللفظية او المادية على حالها ، بينما تضفى عليها الثقافة مدلولا جديدا او تخلع عليها وظيفة مغايرة ، فهذا جزء من التحولات التاريخية التى تطرأ على التراث الشعبى ، والتى تكشف عن الطبيعة الديناميكية لشخصية شعب من الشعوب . الا ان فهم هذه الدلالات الجديدة للعناصر القديمة لايتسنى دون الرجوع الى السياق التاريخى لتلك الثقافة . كذلك فهو يعمل على تحقيق هذا الهدف

لا بالتامل النظرى واستدلال المنطق الصورى ، ولكن بالاعتماد على الملاحظة الواقعية والاستقراء العلمى •

ويهدف الاتجاه التاريخى فى دراسة التراث الشعبى الى الكشف عن المنشأ التاريخى لمختلف التراث الشعبى وصولا الى فهم التطور الذى طرأ على كل عنصر من تلك العناصر سواء اكان حكاية أو عادة معينة او معتقدا ، أو قطعة من قطع الزى الشعبى •

ولا شك أن الاحتكاك الثقافى يعد قوة دافعة للتطور فمن خلال التقاء العناصر الثقافية الوطنية بعناصر أجنبية تتولد الافكار الجديدة والصور المبتكرة وتتقدم الحضارة •

وترجع الجهود الاولى فى نطاق المدرسة التاريخية الى جهود العلماء الالمان والروس • ففى المانيا جذب هذا المنهج الذى يسميه ريتشارد دورسون اعادة البناء التاريخى Historical Reconstruction Approach الاخوين جريم Grimm ، وخصوصا جاكوب جريم الذى حاول فى مؤلفه الموسوعى • الميثولوجيا التيوتونية Teutonic Mythology اعادة بناء مجتمع الالهة الجرمانية ، الذى انكمش فى العصر الحاضر وأصبح اشباحا وعفاريت بالية فى الخيال الشعبى •

كذلك أسهم العلماء الروس فى المدرسة التاريخية فها هو يورى سوكولوف يدعى أن هذه المدرسة قد نشأت فى روسيا • وقد بدأ الروسى ميللر Miller (١٨٤٨ - ١٩١٣) يراجع ويحلل بنجاح « بيلينا » (الملاحم الروسية) الواحدة بعد الاخرى ، محاولا ان يحدد فى كل منها الاسس التاريخية او اتفاقها مع حقائق التاريخ •

ولقد كان من مظاهر الصلة بين الفولكلورى والمؤرخ ما قام به « وبستر » Webster من تسجيل تاريخ أوغندا ، معتمدا على الوثائق الشفاهية • فقد صحب وبستر تلاميذه فى جامعة ماكريرى بكامبالا الى

الاحراش والادغال ، ليجمع المأثورات الشفاهية من العجائز والمسنين ، واهل القرى المتناثرة فى انحاء أوغندا . ولذلك ان هذه المواد الفولكلورية يمكن ان تلقى الضوء على الماضى التاريخى للمجتمع (١) .

ويؤخذ على الاتجاه التاريخى أنه افسح المجال للنزعة الذاتية والتخمين . فقد يختلف باحثان أو اكثر عن بعضهم بعدد من الفروق فى تحديدهم للاصل التاريخى لملحمة ما . كما ينطوى هذا الاتجاه على خطر الاغراق فى الماضى مما يحجب النظر عن رؤية السياق الحى للحياة الشعبية الحاضرة .

الاتجـــاه الجغرافى :

انتبه رواد الفولكلور الى ضرورة استكمال النظرة التاريخية التى تحدد البعد الزمانى للظاهرة الشعبية المدروسة بالاتجاه الجغرافى الذى يعنى بالبعد المكانى ، وبالظروف الجيولوجية ، والمناخية ، وغيرها من الظروف البيئية التطبيقية لكل عناصر التراث الشعبى .

ويستند هذا الاتجاه الى ان العادات ، والممارسات المرتبطة بالعمل والنشاط الاقتصادى ، (زراعة ، ورعى ...) يتصل اتصالا وثيقا بالبيئة الطبيعية والظروف الجغرافية . فالبيئة التى تحتم استخدام الشادوف لاتسمح باستخدام الطنبور ، والساقية لايمكن أن تصنع أو تستخدم لرى قطع صغيرة من الارض مما يستطيع الشادوف تحقيقه كذلك فان شكل المحراث وتكوينه وأجزاؤه يختلف باختلاف التربة .

---

١ - يان فانسينا . المأثورات الشفاهية - دراسة فى المنهجية التاريخية ص ص ٣٠ - ٣١ .

كذلك فان عادات الطعام وما يرتبط بالغذاء عموما يرتبط بالبيئة والظروف الجغرافية . كما يرتبط اسلوب ونوعية بناء المساكن اشد الارتباط بمواد البناء المتاحة فى البيئة ، والاحوال المناخية التى تسودها وتفرض على هذا المسكن ارتفاع السقف أو انخفاضه ، وكبر فتحات التهوية او صغرها ، واتساع المسكن أو ضيقه .

ويمكن كذلك أن نلاحظ الارتباط بين الظروف الجغرافية وقطع الزى وشكلها والمواد المصنوعة منها ، ومناسبات ارتدائها وتكلفتها وتزيينها .

ويؤخذ على الاتجاه الجغرافى أن وسائل المواصلات الحديثة ، وكذلك وسائل الاتصال العصرية قد الغت الحدود الجغرافية بين البلدان المتباعدة . كذلك فان هذا التراث الشعبى هو ثمرة ابداع العقل البشرى للانسان .

الاتجـــاه التاريخى الجغرافى :

حاول دارسو الفولكلور استخدام ما يعـرف بالاتجـاه التاريخى الجغرافى الذى نسب الى المدرسة الفنلندية . وهو اتجاه يجمع بـين البعدين الزمانى والمكانى .

ويمثل هذا الاتجاه سميث طومسون ، اذ قام بدراسة ثمان وستين رواية تم تدوينها من حوالى أربعين قبيلة من قبائـل الهنـود الحمر ، وتوصل الى ان الشكل الاساسى للحكاية الشعبية نشأ فى منطقة السهـول الوسطى قبل القرن الثامن عشر ، وتحركت القصة عن طريق الانتشـار من قبيلة الى القبائل الاخرى .

فقد اشار طومسون الى حكاية الزوج النجم The Star Husband وهى حكاية تتعلق بفتاتين كانتا نائمتين ذات ليلـة فى الخـلاء ورأيـا نجمين . وقد رغبا فى الزواج منهما . وفى الصباح وجدتا نفسيهما فى

العالم العلوى . وقد تزوجت كل واحدة منهما زوجها النجم ، احداهما تزوجت رجلا نجما صغيرا ، والاخرى تزوجت رجلا نجما كبيرا . ورغم ان النساء يحذرن من الحفر قامت المرأتان بعمل ثقب فى السماء حيث استطاعتا ان تشاهدا بيتهما القديم اسفل منهما ، واستولى عليهما الشوق فى العودة .

شرعت الزوجتان فى عمل حبل طويل استطاعتا بواسطته أن تصلا الى بيتهما القديم . وهذه الحكاية فى صيغتها البسيطة وجدت فى الساحل الباسفيكى ، ومن جنوب الاسكا الى وسط كاليفورنيا ، وفى منطقة السهول الغربية للاريزونا وحدود نيومكسيكو شمالا وحتى كندا ، ومناطق اخرى كثيرة من امريكا الشمالية .

الاتجـــاه الاثنولوجى :

يقول سايس : ان الاثنولوجيا العامة قد وجهت معظم اهتمامها الى الشعوب الامية ، واغفلت الثقافة الراقية (الصين ، والثقافات الاوربية) ، وأن ذلك قد ترك أثره فى نشاط الدارسين .

وتحدث هادون Haddon عن المحاولات التى بذلت بوضع حد فاصل بين الاثنولوجيا والفولكلور ، ثم يضيف بأنه فى الوقت الحاضر (١٩٢٠) فان الاتجاه هو اعتبار هذين العلمين مترادفين .

وعلى عكس ذلك ، فقد ميز كراب بين الفولكلور والاثنولوجيا ، اذ احال مأثورات الشعوب ذات الثقافة الراقية على الفولكلور . اما مأثورات البدائيين فانها تدخل فى مجال الاثنولوجيا (الانثروبولوجيا) وعلى ذلك فان مصطلح الفولكلور يتضمن نوعين من التراث : التراث الادبى والفنى من جهة ، والتراث الشعبى من جهة أخرى (١) .

---

١ - فوزى العنتيل . الفولكلور - ماهو ؟ دراسات فى التراث الشعبى ص ص ٤٨ - ٥٢ .

الاتجـــاه السيكلوجى :

هو ذلك الموقف العقلى النفسى للانسان كحامل للتراث الشعبى . وينصب اهتمام هذا الاتجاه على محاولة الالمام بالعوامل النفسية التى ساهمت فى صياغة عناصر التراث الشعبى فالانسان الذى ابـدع أدابـا وفنونا انما يدفعه الى ذلك بل تسبقه انفعالات معينة هما اساس التوتر والصراع فى النفس .

ان الحاجة الى التسلية واللعب ـ كما ذكر أدولف باخ ـ قد تكون مصدرا من مصادر بعض العناصر الشعبية . فالحكاية الخرافيـة تروى منذ البداية بدافع من التسلية ويعد المرح وحب الفكاهة ، والميل الـى اللهو ، والدعاية من المصادر النفسية لظهـور بعض عناصر التـراث الشعبى . ومن أمثلة ذلك الدعابات الموجهـــة الى الاطفـال أو الى الاشخاص المعروفين بالغفلة ـ وهكذا .

وقد يبدع الانسان هذه الفنون ليتخلص من كثـير من مشكلاتـه النفسية كأن يعبر عنها بصورة او بأخرى . وهو يردد هـذه الفنـون لتكون تعبيرا عما لايستطيع ان يصرح به من مكنونات لاشعورية .

ويعبر الادب الشعبى والفنون الشعبية عن نفسية الجماعة ، وعن آلامها وافراحها واحزانها . ويتمثل ذلك فى أعمال شكسبير ،فقد عبر عن خبايا النفس البشرية فى هاملت وعطيل . كما أوضح فرويد أسـاليب للتحليل النفسى تسير جنبا الى جنب مع مظاهر الحياة النفسية .

كما يعتمد هذا الاتجاه على وحدة النفس البشرية ، فقد أشـار تايلور ولانج الى ان تشابه الظواهر الدينية والادبية بين مختلف الامم يعود الى وحدة النفس البشرية .

الاتجـــاه السيولوجى :

كان علماء الفولكسكنده الالمان أول من تبنى استخـدام المعيـار

السيولوجى . ويهتم هذا الاتجاه بتحديد البعد الاجتماعى لعناصر التراث موضوع الدراسة ، وللانسان حامل التراث الشعبى ، ذلك ان التراث الشعبى لايتصل بالفردية او الذاتية ، وانما هو عقل جمعى ومشاعر جمعية ، وهو ملك للجماعة ، ويبقى ويخلد فيها ، وينتقل من جيل الى جيل .

ولاشك ان المجتمع البشرى الذى يبدع آدابه وفنونه يمتاز بمقومات معينة تجعل تلك الاداب مختلفة عن آداب مجتمع اخر فى كثير من الوجوه ، حتى لو تشابهت فى بعض الوجوه الاخرى ، فكل مجتمع يضفى على قصصه الشعبى صفاته الخاصة ، ومميزاته وخصائصه ، مما يجعلها مغايرة بدرجة معينة للقصة المماثلة لها التى وجدت فى مجتمع آخر .

وجملة القول فان الدراسة السيولوجية للفولكلور تعبر عن عادات الجماعة وآدابها وتقاليدها وطقوسها وكل ما يرتبط بحياة الانسان فيها، ومن ناحية اخرى تؤثر تلك الاداب الشعبية فى الانسان فتعطى له قيما، ومعايير يسير عليها ، ويتبعها سواء عن قصد ، او من غير قصد ، فهو يتشرب آداب بلده ، كما يتنسم هواءه .

ويتناول الاتجاه السيولوجى المجتمعات التى تعرف بالبدائية ، وذلك فى مقابل تلك التى توصف بالمتحضرة . كما يشير الى نصيب كل جماعة من الجماعات الاجتماعية التى يتكون منها الشعب من التراث الشعبى ، وكذلك الاسهام التى تقدمه كل جماعة من تلك الجماعات الشعبية الى التراث الشعبى او بمعنى آخر توضح الاصل الاجتماعى للتراث الشعبى . وتتسع الجماعات الاجتماعية لتشمل نصيب الجماعات الفكرية ، والنوعية (ذكور وأناث) ، والعمرية .... الخ .

كما يتحدد ميدان الدراسة باستخدام المعيار السيولوجى فى ضوء الطبقات الاجتماعية للمجتمعات الانسانية ، اذ يفرق بين الطبقات الدنيا والطبقات الراقية اوالعليا .

الاتجـــاة البنـــائى الوظيفى :

البناء هو وحدة متماسكة أو نسق System يتكون من أجزاء مترابطة ، يعتمد بعضها على بعض ، ويدخل كل جزء فى عدد مـن العلاقات الضرورية المعقدة مع الاجزاء الاخرى ، ولايمكن فهم اى جزء فهما صحيحا الا اذا درسناه فى علاقته بالنظم الاخرى ، وفى علاقتـه بالكل الذى يدخل فى تكوينه . ومن الطبيعى أن التغيرات التى تحدث فى اى نظام معين تؤثر فى النظم الاخرى (١) .

ويمثل الاتجاه البنائى فى مجال الفولكلور العالم الالمانى اندريـة جوليس A. Jolles فى كتابه الاشكال البسيطة (١٩٣٠) ، والذى يعد محاولة لتحديد الاشكال الاولية الاساسية للتعبير الشعبى والادبى .

وطبق عـالم الفولكلور الامريكـى المعـاصر آ.د ندس A. Dundes الاتجاه البنائى على مجموعة من الحكايات الشعبية عند هنود امريكـا الشمالية ، فى كتابه « مورفولوجيا الحكايات الشعبية عند هنود امريكا الشمالية » (١٩٦٤) (٢) .

اما الوظيفية فترتبط بنمط النشاط الذى يقوم به الجزء او الكـل حيث لايكون غيره قادر على ان يقوم بمثله . وفى مجال الفولكلور يقصد بالوظيفية الادوار المتعددة التى يلعبها التراث الشعبى .

ولاشك أن الامثال تساعـد على أتخـاذ القـرارات القانونيـة ، والفوازير تشحذ الاذهان ، والاساطير الخرافيـة تضفـى شرعية عـلى

---

1 — See John Lewis, Anthropology, p. 237.

٢ — انظر د. محمد الجوهرى . علم الفولكلور — الجـزء الاول — الاسس النظرية والمنهجية ص ص ٢٧١ — ٢٧٢ . وانظـر د. محمد الجوهرى ود. علياء شـكرى . عـلم الاجتمـاع الريفى والحضرى . ص ص ٧٨ — ٧٩ .

الممارسات السلوكية ، والاغانى الهجائية تنفس عن مشاعر العداء المكبوته، وتاكيد بعض العادات .

وقد اشار الباحثون الذين درسوا بعض الثقافات الافريقية الى استخدام الامثال فى الاجراءات القضائية على نطاق واسع . واوضح جون ميسنجر Messenger فى دراسته لقبيلة الانانج فى جنوب نيجيريا كيف اثار المدعى عطف المحكمة عليه باستخدام هذا المثل ضد لص معتاد على السرقة : اذا استطاع الكاب أن يقطف ثمار نخيل الزيت من العنقود (أى وسط الاشواك) ، فانه لن يخشى القنفذ .

ويفيد المثل انه اذا كان فى استطاعه كلب انيقطف ثمار شجرة نخيل الزيت برغم أشواكها الحادة ، فانه لن يتردد فى مناوشة قنفذ ذى اشواك . ولذلك فان الشخص الذى عرف عنه اعتياد السرقة لن يتردد فى السرقة من جاره .

الا أن المدعى عليه نجح فى تحويل المشاعر العدائية التى كانت تزداد حدة ضده الى صالحه بقوله « ان طائر الحجل الذى يطير وحيدا خلال غابة كثيفة لايترك وراءه اثرا يدل على طريقة » ، اذ انه لما كان من الممكن تتبع سرب من طائر الحجل عن طريق الاعشاب الملتوية على خط سيره ، فمضمون المثل أن الشخص الذى لا أصدقاء له لن يكون له وزن كبير ، ويسهل اصدار حكم جائر ضده . وقد حكم ببراءة المدعى عليه فعلا . وقد اعتاد الانانج استخدام العبارات المثالية فى حديثهم اليومى كوسيلة لتلقين الصغار ، وفى اثناء الاحتفالات الطقوسية (١) .

---

١ - د. محمد الجوهرى . علم الفولكلور - دراسة فى الانثروبولوجيا الثقافية ، الجزء الاول - طبعة ١٩٨٨ ص ص ١٢٤ - ١٢٥ .

الفصـــــل الثـالث

الادب الشـعبى

ماهو الادب الشعبى :

يتبادر الى الذهن سؤال مؤداه ــ ماهو الادب الشعبى ؟ وكيف نميزه عن غيره من الادب غير الشعبى وللاجابة على هذا السؤال نذكر ان الادب الشعبى ينتمى الى التراث الشعبى ، وهــو واحـد من اهم موضوعات عــلم الفولكلور الاكثر شــمولا ، والذى كان فى مرحلة مـن مراحل تطوره يقوم اولا واخيرا على دراسة الادب الشعبى • وعلى ذلك فهو عريق ، ولكنه حى يتردد عبر الآحاد والجماعــات ، وهو لذلك يتطور بتطور الشعب •

ويقصد بمصطلح الادب الشعبى عــادة الفولكلور الذى يعتمـد على الكلمة فحسب ، والمتمثلة فى الاغانى التى تتردد فى المواسـم والافراح والاتراح والمثل السائر ، وفى اللغز ، وفى هـذه النداءات المسجوعـة والمنظومة على السلع وغيرها ، وفى النكتة ، والنادرة ، وفى الاساطير التى تقصها العجائز ، وفى القصة الطويلة ، وفى التمثيليات التقليدية •

وعلى ذلك فالادب الشعبى لايتضمن الالعاب الجماعية ، أو الرقصات الشعبية ، ولكنه ينسحب على كثير من الاشكال التى تستخدم الكلمـة المنطوقة •

ولقد الفنا أن نذكر الادب الشعبى فى مقابل الادب المدرسى ، أو ادب الخاصة من المثقفين ، أو الادب الفصيح باعتبارهما أدبين منفصلين يستقل احدهما عن الآخر • فلدينا بجانب الشعر العربى كما يتمثل فى القصيدة المعربة ، شعر آخر كتب فى لغة ملحونة ، هو الزجل والمواليا والقوما ، والكان كان •

فالادب الشعبى لاية امة • كما يقول نقاد الادب المتاثرون بآراء الفولكلوريين من أمثال بول سبيو ــ هو الادب العامى اللغة ــ الشفاهى ،

المجهول المؤلف ، المتوارث جيلا عن جيل . ومؤدى هذا الرأى اسقاط ادب العامية الحديث الذى اذاعته المطبعة ، ووسائل النشر الحديثة الاخرى من مسرح واذاعة ، وسينما ، لانه لايتوافر فيه ركنا تجهيل المؤلف والتوارث التقليدى .

ويرى آخرون ان الادب الشعبى هو ادب العامية ، سواء كان شفاها او مكتوبا او مطبوعا ، وسواء كان مجهول المؤلف او معروفة ، متوارثا عن السلف السابق او انشأه معاصرون .

ويرى راى آخر . أن الادب الشعبى يعتمد على محتوى الادب لاشكله - اى موضوع التجربة الفنية فيه - لا اللغة التى يستخدمها اصحابه . فهو عند اصحاب هذا الراى الادب المعبر عن ذاتية الشعب ، المستهدف تقدمه الحضارى ، الراسم لصالحه ، يستوى فيه ادب الفصحى وادب العامية ، وادب الرواية الشفاهية وادب المطبعة ، والاثر المجهول المؤلف ، والاثر المعروف المؤلف .

وعلى ذلك لاينتسب الادب الشعبى الى طبقة معينة او فئة اجتماعية بعينها ، ذلك ان النسبة الى الشعب تعنى مجموع افراد الامة بمختلف طوائفها وطبقاتها . والادب الشعبى هو ذلك الادب الذى يصدر عن الشعب ، فيعبر عن وجدانه ، ويتجلى فيه روح الشعب وشخصيته الحية ، ويمثل فكرة ، ويعكس اتجاهاته ومستوياته الحضارية .

ويقدم الادب الشعبى لكل فرد من افراد الامة دون تمييز بينه وبين غيره من حيث الطبقة الاجتماعية ، او الدرجة ، او الثقافة ، او الحرفة المهنية ، او اى فارق آخر يفرق بين افراد المجتمع الواحد . وعلى ذلك يصبح الادب الشعبى هو ما يقبله هؤلاء جميعا ، ويجدون فيه غذاء وجدانهم ، وتعمير قلوبهم [1] .

---

١ - انظر د. عبد العزيز الاهوانى . الخيال فى الادب العربى نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد الاول ، ١٩٦٥ ص ١٧ .

مميزات الادب الشعبى :

يستخدم الادب الشعبى اللهجات الدارجة ، فكل مايصدر باللهجة الفصحى ، فهو غير شعبى ، وكل ما يتوصل باللهجة العامية ، فهو ادب شعبى ، وذلك من أجل أن يتوصل الى جميع افراد الشعب .

ومن المعروف ان هناك فروقا اساسية بين اللغة واللهجة اهمها ، ان اللغة يفهمها الشعب باكمله ، فى حين تقتصر اللهجة على جماعة محددة من الجماعات المتعددة التى يتألف منها الشعب ، وأن اللهجة الخاصة بجماعة ما تستغلق – قليلا او كثيرا على ما عداها من الجماعات .

لهذا فان الادب الذى ينشأ باللهجة العامية يكون قاصرا على الجماعة صاحبة تلك اللهجة فقط ، وبعيدا عن استيعاب غيرها من الجماعات ، وبالتالى بعيدا عن اهتماماتها . وليس كذلك الادب الشعبى الذى يتوجه الى الشعب باكمله ، ويؤثر فى وجدان الامة جمعاء. لهذا يجب أن نفرق بين الادب الشعبى ، وذلك الادب الذى يستخدم اللغة العامية ، والذى أطلقوا عليه الكثير من الاسماء مثل : الادب العامى ، وادب العوام ، وادب الملحمة ، والادب الملحون ، وادب اللهجات الدارجة ، وادب الرطانة ، وغير ذلك من اسماء . وان كان الكثيرون لازالوا يصرون على تسميته بالادب الشعبى أو ادب الشعب .

اما الادب الشعبى الحقيقى فينشأ أساسا باللغة الفصحى ، اى اللغة العربية السليمة . وهنا يثور اعتراضان : أولهما ، كيف يتسنى للشعب العربى ، والامية تجثم على أكثر من ثلثى افراده أن يستوعب الاعمال الادبية المنشأة بالفصحى ؟ ، والثانى، ان مابين ايدينا من اعمال نعتبرها عيون الادب الشعبى ، متداولة بين الناس باللهجات العامية الدارجة .

وقد نشأ الاعتراض الأول من تصورنا الخاطىء لمفهوم اللغة

الفصحى ، فالغالبية العظمى يتصورون ان اللغة الفصحى هى اللغة الرفيعة الرصينة التى كتب بها الادب القديم ، وما فيه من الفاظ ضخمة صعبة ، وكلمات مهجورة او شاذة ، او نادرة الاستعمال ، والالاعيب البلاغية ، ويمثلون لها بشعر امرئى القيس ، ونثر المعرى فى رسالة الغفران .

والحقيقة ان اللغة الفصحى التى نعنيها هى اللغة العادية البسيطة السهلة التى لاتكاد تفترق عن العاميات الا فى انها تحافظ على التركيب الصحيح للبناء اللغوى - اى انها تساير قواعد اللغة العربية ، ومثالها اللغة التى نقرا بها نشرات الاخبار ([1]) . ويتناقل الناس الادب الشعبى كلاما لاتدوينا ، وذلك عن طريق الرواية الشفوية . ويشترك فى تاليفه اكثر من فرد ، فهذا الماثور الذى تغلب عليه النزعة الفردية لا يمكن أن يكون ادبا شعبيا . والاصل فى الادب الشعبى ان بعبر عن شخصية الجماعة ولاتظهر فيه الشخصية الفردية . وفى قول آخر فان الادب الشعبى يبدا فى ابداعه من الفرد ثم ينتهى الى المجموع ، لان الادب لايكتب لنفسه ، بل يبدعه الافراد ، ولكن حين يكون ابداع الفرد معبرا عن غيره بقدر ما هو معبر عن نفسه . وحين يصبح هذا الغير متسعا تدريجيا ليشمل المجموع ، يتبنى المجموع هذا الانتاج ، ويتناقله افراده ، وهو فى اثناء هذا التناقل يكبر ويتضخم بالتراكمات التى تأتيه من التداول من ناحية ، ومن اضافات الرواة المتعددة ، وتفاعلهم مع الملتقين بأذواقهم المثيره من مكان الى مكان ،

---

١ - د .محمود ذهنى . الادب الشعبى العربى . نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢٤ ، ١٩٨٨ ، ص ١٠ .

ومن زمان الى زمان (١) ٠

ولعل هذه الميزه هى السبب الذى جعل الادب الشعبى مجهول المؤلف أو تكاد ٠ فهو لايصدر عن مبدع بعينه ، أو موقف ذاتى بعينه ٠ وصاحبه لن يتمتع بهذ االلقب فهو لن يطلق عليه فى حياته ، لان سمات الادب الشعبى لن تتحقق الا بعد أمد طويل ٠ وايضا لن ينعم به بعد وفاته لان الادب الشعبى لايحفل كثيرا بشخص قائله ، وانما يترك نفسه لطبقات الشعب ، ونطاقاته المختلفة ، فيشكل كل منهم وفق احتياجاته ، ويدخل عليهمن التغيير والتعديل والتبديل والاضافة والحذف ما يلائم ظروف بيئته ،ومتطلبات جماعته ، ومقتضيات عصره٠

وقد يتردد اسم هذا المؤلف او ذاك لاثر شعبى ، ولكن الجماعة تعنى بالنص ، وتتشبث به اكثر من عنايتها بالمؤلف وحرصها على تذكره ٠٠٠ وقد يحدث فى كثير من الاحيان ان ينسى المؤلف ، وينسب النص الى مؤلف آخر لشهرته أو لارتباطه بالاسلوب ٠ واعجب من ذلك ان ينسب النص الى شخصية منتحلة تعد بمثابة نمط يريد الشعب أن يستخلص مافيه من فضائل أو صفات ، أو يتخذ منه صورة تدل على سلوك يثير الفكاهة أو النقد ٠

وعليه فان أكثر نصوص الادب الشعبى لايعرف مؤلفوها على التحقيق ، واذا عرفت أسماؤهم أختلف الرواة والعلماء حول شخصياتهم٠ وكثيرا ما قرنوا هذا النص أوذاك بأكثر من اسم وردوه الى أكثر من بيئة أو عصر ٠ ومع ذلك فان هناك نصوصا قليلة لايشك فى نسبتها الى مؤلفها ٠ ومن هنا لا يصح أن نجعل هذا المفهوم الفيصل فى التمييز بين الادب الشعبى وغير الشعبى (٢) ٠

---

١ ـ انظر مجلة عالم الفكر ٠ المجلد التاسع ، العدد الثانى ، ١٩٨٨، ص ٢٥٤ ٠

٢ ـ انظر د٠ عبد الحميد يونس ٠ البطولة فى الادب الشعبى ٠ نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ٠ العدد الاول ، ١٩٥٩ ص ٢٦ ٠

ويتميز الادب الشعبى بان الابداع والتذوق فيه واحد ، والحاجـر بين الابداع والتذوق لايكاد يلحظ ، ولايكاد يفرق بين المنشىء وبـين المنشد او المؤدى ، لان الوجدان الجمعى هو المبدع ، وهو المتذوق فى آن واحد .

لقد كانت الاسطورة تفسر عند الجماعة البدائية ، بمنطق العقل البدائى ظواهر الكون ، وتعلل العلاقات ، والنظـم ، والعـادات ، وتنظم القول ، والاشارة ، والايقاع ، والرسم ، وصياغة المادة ، والبطل فيها هو الخالق للقدر والمصير ، وهو فوق الطبيعة والممكن . ومع ذلك فالبطل الاسطورى يحكى نزوع الانسان الى المعرفة والكشف عن المجهول، واستئناس المتوحش ، والتحكم فى العناصر ، والتغلب عـلى الزمان والمكان .

والادب الشعبى هو الادب القومى ، هو ادب الفلاحين والعمال ؛ والطبقات الكادحة . فللعامة من الناس تقاليدهـم الشعبية ، ومنحاهـم الخاص فى التفكير والتعبير ، وقضاياهم المعاشة ، واسقاطاتهم السياسية والاجتماعية ، وعاداتهم وسلوكهم . ويمتاز ادبهم بانه ادب ساذج بسيط غير معقد ، لايتجه الى صفوة المثقفين مثلما يفعل الادب الرسمى الذى يستغلق فهمه على العامة من المتعلمين وغير المتعلمين ، فى حين أنه اذا توجه الى عامة الشعب فانه بامكانياته الفنية سوف يستطيع أيضا أن يجذب اليه اصحاب الثقافة على اختلاف مستوياتهم (١) .

والادب الشعبى هو عملية التجميع التى تتم على مدى الزمـن

---

١ ـ انظر ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الادب الشعبى . مركز التراث الشعبى بدول الخليج العربية ، الدوحة ، قطر ، ١٩٨٤، ص ص ١٨ ــ ١٩ .

وانظر د : عبد الحميد يونس ، الادب الشعبى . نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد الثانى ، ١٩٦٠ ، ص ص ١٩ ــ ٢٠ .

& See Richard M. Dorson, African Folklore, P. 10.

لمجموعة روايات او اخبار ينتظمها موضوع واحد أو تدور حول شخصية واحدة • وعليه يتميز بتراثية التداول ـ اى الانتشار والخلود • لهـذا كلما امتد الزمن بالادب الشعبى ، كلما وجدنا له أكثر من صورة أو اكثر من شكل • وعلى ذلك يمتاز الادب الشعبى بالعراقة فهو يحفظ لنـا تراثنا ، ونستطيع بدراسته أن نتعرف على الحيـاة الفكرية والروحيـة والاجتماعية لاسلافنا الاقدمين • وأيضا فهو يطلعنا على الخلفية التاريخية لادابنا الشعبية المعاصرة ، وما تحويه من متضمنات أسطورية شائعة ، ترجع فى صميمها للآداب الشعبية التاريخية •

وبناء على ذلك نقول : ان ادبنا الشعبى الذى يتردد فى مجتمعنا الحالى انما هو ميراث اجيال ، وقرونا طويلة تمتد جذورها الى الآداب الفرعونية • وهناك من الحكم والامثال التى جاءت على لسان بتـاح حوتب ماهو مطابق تماما لما يوجد فى وقتنا المعاصر • كذلك فان سيرة عنترة كانت حكايات فردية وأخبار متناثره جمعت فى مرحلـة تاليـه لانتشارها ومعرفة الناس بها •

تقسـيمات الأدب الشعبى :

شاعت تقسيمات متعـددة فى ميـدان الادب الشعبى • واختلـف الباحثون فى تحديد موضوعاته •ويمكن تحديد تلك الموضوعات فىالنقاط التالية :

١ ـ المثل •

٢ ـ اللغـز •

٣ ـ النكتـه •

٤ ـ النـادرة •

٥ ـ الحكاية الشعبية •

٦ ـ الاسطورة •

٧ ـ السيرة •

٨ ـ التمثيلية التقليدية ٠

٩ ـ الاغنيــة المـوال ٠

وهو يشمل بالاضافة الى ذلك علوما شعبية ، وما يتضمنها مـن تعاويز سحرية ، وتنجيم ، ووصفات علاجية ٠ يضاف الى ذلك معلومات تتصل بالحرف الشعبية ، فهو أدب الحياة وأدب العمل وأدب المشاعر وخلجات القلوب ، فلايمكن للانسان أن يعيش فى فراغ ، فهو يفكر ، ويعمل ، ويفرح ، ويحزن ، ويستحسن ، ويستهجن ، وينقد ، ويسخر او يمدح ٠

الشـــعر الشعبى :

ينفعل الشاعر الشعبى بمجتمعه ويتأثر بما يحيط به فيترجم عـن عواطف جياشه متدفقة متلونه بما انفعل به ، وبما انطبع فى نفسـه من أحاسيس ومشاعر متباينة ٠ وينفعل الشاعر الشعبى كذلك بما يحس ويرى بعينه ما جبل عليه من دقة الحس ورقة الشعور ، وما عرف عنه من شدة ارتباطه بالمجتمع الشعبى الذى يعيش فيه ، فهو قادر على أن يصور اتجاهات المجتمع وأهواءه ونزواته ، أكثر مـن قـدرة الشاعر الرسمى الذى يعيش فى برجه العاجى ، ولايتصل الا بطبقة الخاصة من الناس ٠

واذا ما حدثنا الشاعر الشعبى عن التجارة ، فهـو يميل الى الحديث الى مايحس به الناس فيتألم كما يتألمون حينما يشقوا بالتاجـر الذى يغالى فى اسعاره ، ويفرح كما يفرح الناس حينما يجد التاجـر يصدقهم فى معاملته ويتحبب الى عملائه بالمكسب القليل الحلال ٠ وهو اذ يحس هذا الاحساس يبغى من التاجر ان يكون انسانا قبل أن يكـون طالب مال ٠ وأن يحس بأن الحياة اخذ وعطاء ٠

استمع الى الشاعر يقول :

تاجر بلا مال ولكن الصدق رسماله

عايش فى أمان ومال الخلق رسماله

اذا كان ملوش حد يبقى الحمد رسماله

فهنا نجد تاجرا قليل الحظ من المال ، كثير الحظ من الصدق ، فهو قد اتخذ هذه الصفة الانسانية (راس ماله) ، واحبه الناس جميعا، وعاش بينهم فى أمان ، ووثق به الناس .

وهناك ابيات نسنطيع ان نتخذها حكمة وموعظة ،

يقول الشاعر :

اكم رخيص النسب قالوا : الشرف علاه

وهى تعبير عن أن الانسان ليس بحسبه ونسبه ، بل بخلقه وعمله. فكم من وضيع النسب سمت به همته بفضل ما اتصف به خلق نبيل الى ان ارتفع بنسبه ، وكم من شريف فى قومه هوت به اخلاقه الى الحضيض (١) .

ولعل أهم موضوع كان يشيع على السنة افراد الشعب عامة هو الشعر الغزلى . فقد كان الناس جميعا يقبلون عليه فى ابتهاج ،لانه يغذى أرواحهم . وكان منه الصريح الذى ازدادت صراحته كما كان فى شعر المكيين والمدنيين فى العصر الاموى ، وكان فيه العفيف الذى لايعرف العبث واللهو ، وانما بعرف العذاب والالم . وكان الصريح الاكثر شيوعا من العفيف ، وعملت فى ذلك عوامل مختلفة ، فقد كان أكثر الشعراء من الموالى ، وكانت المرأة موضوع الحب عادة من الجوارى اللائى

---

١ - محمد قنديل البقلى . صور من أدبنا الشعبى أو الفولكلور المصرى ص ص ٣١ - ٣٣ .

تمتلئن بهن دور النحاسين ، فلم يحس الشعراء امامها بصعاب ولاعقاب، ولم تكن تحط نفسها بضرب من الوقار والكرامة ، بل كانت تتهالك على الرجال ، مما جعل الشعراء يفصحون فى احيان كثيرة عن حبهم المادى الجسدى وغرائزهم النوعية التى يشتركون فيها مع الحيوانات .

وكان كل ما ينظمه شاعر واله باحدى الجوارى يصبح حديث الناس جميعا ، ويفيض كتاب الاغانى باخبار هؤلاء الشعراء ومعشوقاتهم ، وكثيرا مايفتحفصولا للحديث عن شاعر ومحبوبته وأشعاره فيها واخبارهما التى كان يتداولها الناس ، من ذلك الفصل الذى فتحه بشار من بُرْد وصاحبه عبدة ، فيها يقول هذه الابيات التى كانت تجرى على كل لسان .

لم يَطلْ ليلى ولكن لم انم	ونفَى عنى الكرى طيف الم
واذا قلت لها جوى لنا	خرجت بالصمت عن لا ونعم
نفسىيا عبْدَ عنى واعلمى	اننى ياعَبْدَ من لحم ودم
ان فى بُرْدىّ جسما ناحلا	لو تركأت عليه لانهدم

ويفتح كتاب الاغانى فصلا لابى نواس مع محبوبته حنان جارية الثقفيين (١) ، وكانت تزدريه لما يندفع فيه من عبث ولهو ، وله فيها البيت الغزلى المشهور الذى كان يدور على الافواه فى عصره :

يزيدك وجهها حُسْنا	اذا ما زدته نَظَرا

فكلما تامل وجهها المتامل ولد له جمال جديد اكثر فتنه وروعة ، وييأس ابى نواس فى حبه ، فقد جشمته ، حنان الاهوال دون أن ينال منها نظرة أو شيئا من الاهتمام (١) .

---

١ - د. شوقى ضيف ، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ص ص ٧١ - ٧٣ .

الفصـــــل الرابـــع

الامثـــال الشعبيـــة

التعريف بالامثـــال الشعبيـــة :

تعد الامثال الشعبية أحد الميادين لدراسة الفولكلور ، ومع ذلك ، وكما يقول مالينوسكى الانثروبولوجى ، بانه من الخطأ ان ينظر اليها على انها شكل من اشكال الفولكلور ، او مستند اوتوغرافى خـاص باحوال الشعوب ، بل هى حكم وقصص ، وانتقاد لاذع للحياة ، وتعبير شعبى يعكس الخلفية التاريخية ، وخبرة الانسان التى اكتسبها من خلال ممارسة الحياة نفسها ٠ وهى خبرة أدركها الانسان من خلال عمليـة ادراكية جمعية ، تخرج به من اطار التجربة الذاتية الى مجال الخبرة الجماعية التى تعبر عن فكر ووجدان جمعى ٠

والامثال الشعبية هى تسجيل قولى كلامى ، فى جمـل قصـيرة لبعض ما مر بالانسان من أحداث استخلص منها مآثر ومواعظ ٠ فقـل ان تجد مثلا لايحمل معه الشرح الكاشف لمجرى احداث القصة ، وما كان من اشخاصها ٠ فهى تكشف بدلالاتها عن أن فعل الانسان اذا فقـد قيمته الايجابية فى الحياة تحول هذا الفعل الى انتقاص من قيمة الانسان نفسه صاحب هذا الفعل ٠

ولقد ابى الشعب أن يهمل او ينسى هذه الاحداث فسجلها فى هـذه الكلمات التى يتناقلها الناس بالرواية جيلا بعد جيل ، وعصرا بعد عصر ، مما جعل الامثال تأخذ جانبا خاصا من الوان فن القول ٠ وهى تؤدى الى اقوى انواع التأثير على الامور ، وعلى السلوك الانسانى ، وذلك على عكس الحكمة التى تبقى كما هى كلمات ليس معها هـذا التفصيل الكاشف ٠

صفـــات المثل الشعبى :

لاتكاد تخلو أمة من الامم من الامثال الشعبية والتى تتميز بانها

مرآة للشعوب تدل على عقلية الشعب ، وتعكس اتجاهاتـه وأخـلاقه وتقاليده وحياته الاجتماعية مما لاتجده مسجلا فى أى لون من الوان الادب او المعرفة . فهى تتحدث عن سعادة من يتداولها وعن شقائهم ، وعن الغنى والفقر ، والشرف والخزى ، والجمال والقبح ، والقـوة والضعف ، والعظمة والوضاعة .

ان المؤرخين لايذكرون دقائق الحياة الاجتماعية على نحو ماتصوره الامثال . والشعر لايصف الا نواحى خاصة من نواحى الحياة الاجتماعية هى التى يراها الشاعر بنظره هو دون أن يراها المجتمع نفسه . ولكن الامثال هى التى اجمع عليها الشعب ينطق بها الجاهل والمتعـلم ، والفقير والغنى ، وهى التى تجرى على السنة طبقات المجتمع . فهى المعبر عن اتجاهات ونواحى هذا المجتمع دون غيرها .

والمثل حصيلة تجارب الانسان ، ومحصلة لخبرته وعندما يقال المثل فان أحد وظائفه هو أن ينقل اليك هذه الحصيلة . وما من شـك فى أن الاستفادة منها أمر محقق .

والتركيز سمة اساسية فى المثل الشعبى . فهو لايصف التجربـة أو يسرد تفاصيلها ، ولكنه يحمل رأيا فيها . ومن خلال هذا الراى يمكن ادراك أبعاد التجربة ، وموقف الانسان منها . فالمثـل « الشرط عنـد الحرث ، يريح عند العرمة » (المقصود بها المحصول) ، والآخر «العيان ما حد يعرف بابه ، والغنى الكل أجابه » ، انما يلخصان تجربتـين مختلفتين ، الاولى تتصل بالعمل ، والثانية تتصل بالعلاقات الانسانية بين الناس.

وحين كانت اللغة العربية تسود الناس سيادة كاملة او شبه كاملة ـ أى فى عصرها الاول ـ كانت الامثال الشعبية كلها تكاد تنبع من معين واحد هو الفصحى . وعبر الزمن ظهرت لهجات عامية الى جانـب الفصحى ، فكان ثمة أمثال تقال بالفصحى ، وأخرى تؤدى بالعامية .

وعموما فان المثل الشعبى كالمثل الفصيح ينشا عن تجارب انسانية فردية او اجتماعية عميقة الجذور فى شعب معين ، فاذا نظرنا الى الامثال التى وردت فى كتاب مصرى ينتسب الى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) - افرد بابا خاصا بالامثال المصرية ، نرى أن بعضها لاتزال تستعمل الى اليوم ، وذلك مثل قوله « اذا كان صاحبك عسل لا تلحسه كله » و « المستعجل والبطىء عند المعدية يلتقى » و « اذا غاب عنه أصله كان دلايله فعله » و « الله العدو ما يبقى حبيب حتى يصير الحمار حبيب » و « جوزوا مشكاح لريمه ، ما على الاثنين قيمة » و « حاجة ماتهمك وصى عليها زوج أمك » و « رزق الكلاب على المجانين » .

والبحث عن أصل الامثال ومنشئها أمر صعب ومعقد ، كذلك فان تحديد عمر المثل ليس بالامر السهل . ومع ذلك يمكن القول أن هذا المعنى الذى يتضمنه المثل انما يرجع الى تلك الفترة المعنية ، التى يمكن ان توحى بها الكلمة أو التعبير . أما أن تكون هذه الفترة بالذات هى التى شهدت نشاة هذا المثل ، فذلك أمر لايمكن القطع به .

ان مثلا كهذا « ان مات الجحش نعزوا الخواجه ، وأن مات الخواجه نعزوا مين » يمكن أن يعتمد فى تحديد عمره على الفترة التى عرف بها لفظ او كلمة ، « خواجة » . ولكن ليس من المؤكد بالطبع الا تكون هذه الكلمة قد حلت محل كلمة أخرى تؤدى نفس الوظيفة فى المثل . وقد يكون المثل الشعبى حديث التكوين ، ولكنه انتشر سريعا وبسهولة لانه يمس جانبا من شعور سامعيه .

وقد ينتقل المثل الشعبى الى شعب من شعب آخر مع ما ينتقل اليه من تراث فكرى . فهناك امثال تحض على العمل ، وعدم الركون الى الكسل منتشرة فى كافة انحاء الوطن العربى . ففى مصر المثل « الايد البطالة نجسه » . وفى الموصل « البطالى ما اطعم خير » . وفى المغرب « يد خاوية وما فيها شىء » . وقولهم « كلب داير ولاسبع نايم فى الغاب » .

وهناك أمثلة تدل على عزة النفس العربى الذى يرى أن عزته فى العمل الذى يشرف به ولايهين نفسه ، فهم يقولون « نفسى أنهانت ما كانت ولو رموها للكلاب » . فاهانة النفس الموت خير منها . وقولهم « الزرع ان ماغنى سنر » . ويقصدون به ان العامل فى الحقل سيجد ما يستره عن اهانة نفسه ، ومن ذل السؤال والاحتياج الى غيره ، ان لم يكن الزرع يؤدى الى الغنى .

ومن تجارب العرب التى صورتها الامثال ، قولهم فى مصر « ان كان لك صاحب لاتعامله ولاتناسبه » . وفى الشام يقولون : « صاحبك بدك تبقيه ، لا تأخذ منه ولاتعطيه » . وفى الجزائر « حبيبك بدك تبقيه ، لاتأخذ منه ولا تعطيه » . وهذه أمثلة جميلة تعلمنا كيف يبقى الصاحب على صاحبه ، فلا يسىء العلاقة بين الصديقين الا المعاملة المادية ، وتطور الصداقة الى صلة النسب (١) .

ونلحظ تماثلا مشتركا بين الامثال الشعبية فى مختلف اللغات من حيث الايجاز اللغوى — اى كونه مختصرا . ومع ذلك فانه ذو مضمون يتسم بثراء المعنى ، وسهولة ادراكه . كما يمتاز بحسن ، ولطف التشبيه ، ولذلك سهل تداوله ، وله روعة اذا برز اثناء الخطاب . ومن خصائصه كذلك سهولة اكتنازه فى الذاكرة ، وسهولة تلقينه الى المستمع ليعيده ويكرره .

والمثل كغيره من فنون الادب الشعبى يشتمل على الرمز الحس مع الرؤيى التأملية ، التى تغلف بغلاف فنى من الطباعة الادبية والايقاع اللفظى تبعا لطبيعة الادب الشعبى الذى يرتبط — كابداع فنى — بالمزاج النفسى للمجتمع ، ويرتبط ايضا بأشكال التعبير الفنى الادبى من شعر ونثر (٢) .

---

١ — انظر محمد قنديل البقلى ، الامثال الشعبية ، ص ص ٤٣ — ٤٤

٢ — انظر صفوت كمال ، العمل كقيمة انسانية فى الامثال الشعبية نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢١ ، ١٩٨٧ ، ص ٣ .

وقد نجد بين الامثال تعارضا واضحا ، وتناقضا ليس من العسير تفسيره بغير الاعتماد على التجربة الفردية . فاذا قلنا « ابن الوز عوام» ومعناه ان ابن صاحب الحرفة لابد أن يجيدها تماما ، فاننا نجد مثلا آخر يقول « باب النجار مخلع » . وهو يتعارض مع سابقه فى المعنى والمضمون (١) .

مجالات الامثلة الشعبية :

تمتد الامثلة الشعبية لتشمل كافة مجالات الحياة ، ففى مجال الاسرة والزواج يقولون فى مصر : « آخذ ابن عمى واتغطى بكمى » . وهو مثل يضرب فى تفضيل تزوج المرأة بقريبها ولو كان فقيرا ، أى اتزوج بابن عمى ولو كان لايملك ما اتغطى بـه . وقالوا أيضـا فى تفضيل زواج القريب على الغريب : « نار القريب ولا جنة الغريب ».

وتتنافى هذه الامثلة مع تعليمات رسول الله ﷺ عن أهمية الابتعاد عن الاقارب فى اختيار الزوجة . حيث قال :

اغتربوا لاتضووا ،. (لاتضووا : لاتهزلوا) . ثم ان من أهم اهداف الاسلام اقامة صلات بين المسلمين ، وتأليف روابط جديدة بـين أسر المسلمين ينجم عن المصاهرة والزواج .

وفضلا عن ذلك فان الرغبة تقل فى الزوجة اذا كانت من الاقارب ، فضلا عن تقوية النسل وتحسينه حيث قرر كثير من علماء الوراثـة ان ضعف الذرية وانحطاط قدرتها العقلية يرجع فى كثير من الاحيان الى عامل الوراثة . فكلما كانت الزوجة ذات قرابة أوثق اثر الوراثة أكثر .

ويرجع السبب فى ذلك الى أن جميع الصفات والاستعدادات السيئة

---

١ – د. فاطمة حسين المصرى ، الشخصية المصرية من خلال دراسة بعض مظاهر الفولكلور المصرى – دراسة نفسية ص ١٠٤ .

فى الاصو ل القريبة تنتقل الى الذرية والاقارب . وهذه الظاهرة تشاهد بشكل ملحوظ فى ابناء الاسر والاقارب المتعصبة الذين لايتزوجون من غيرهم ، ولايتزوجون بعيدا منهم .

وعليه ظهر عدد من الامثال على عكس الامثلة السابقة وتعارضها من ذلك قولهم « خذ من الزرايب ولا تأخذ من القرايب » . وقولهم كذلك « اذا كان لك قريب لاتشاركه ولا تناسبه » . وهى أمثلة تحث على عدم مصاهرة الاقارب بالزواج منهم . ويفتقد هذه الامثلة الى الذوق السليم الذى يدعو اليه الاسلام ، حيث تعتبر تجريحا وطعنا فى الاقارب لدرجة تفضيل الزرايب عليهم . وهو من باب المبالغة الغير مقبولة اخلاقيا فضلا عن دينيا . وهذه الامثلة الاخيرة لاينطق بها الا باغض لاهله واقاربه يبغى الابتعاد عنهم بدافع كراهية ، لا بدافع اسلامى .

وهناك من الامثلة ما يبين دور الام فى حياة الانسان . فعلى رأى المثل : اللى من غير أم حاله يغم

ومثل آخر يقول : اللى عنده أمه ماتحملش همه

وتفرح الام دائما لوجود بناتها بجوارها لانهن يساعدنها فى خدمتها وخدمة المنزل ، وأحيانا نجد البنت الصغيرة آخر العنقود تقوم بنظافة المنزل والغسيل وطهى الطعام ، ولايعجب هذا الكبار ، ورغم ذلك كله يقول المثل :

اللى يسعدها زمانها تجيب بناتها قبل صبيانها

وللاب دور كبير فى تربية الابناء ، وكثيرا ما تفسد هذه التربيه لعدم وجود الاب ، وأحيانا ماينشغل الاب عن المنزل للبحث عن رغيف العيش ووفرة المال من أجل الاولاد فلا يتفرغ للجلوس مع أولاده ، وذلك رغما عنه ، ومن أجل ذلك يقول المثل :

اللى من غير اب   يلطـف به الرب

ويبحث المجتمع المصرى دائما فى حالة الزواج عن اصل العريس ، وعن اصل العروسة ، وكل اسرة تسال عن الاسرة الثانيـة التى سـوف تناسبها ، واحيانا لو كانت هناك عيوب فالاصل يدارى هذه العيوب . ويقول المثل :

اللى راسها بتوجعها   ديت ابوها ينفعها (١)

وهناك امثلة تدور حول العلاقة بين الاخوة غير الاشقاء مثل : « اخوك من امك رقعة فى كمك » ، و « اخوك من ابوك زى القـوم اللى ينهبوك » ، « اخاك اللى هو من امك واباك - ياخيبة رجاك » .

وتتعارض هذه الامثلة مع روح الاسلام وسماحته ، فعن رسول الله ﷺ انه قال : « لاتباغضوا ، ولاتحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولاتقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا ، ولايحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث » ، (متفق عليه) .

وقد سبق ان ذكرنا عددا من الامثلة الشعبيـة تخص الاقتصـاد والعمل . وهناك امثلة للعمل الزراعى نذكر منها قولهم : « جنة من غير ناس ماتنداس » . وهو يعطى نمطا للفكرية الشعبية فى الريف ، حيث الحنين فى الحضارة الزراعية للعلاقات الاجتماعية يكـون حارا وعميقا ويبدأ الترابط الاجتماعى بالولاء للارض ، ثم بالعلاقات الاسرية ثانيا ، ثم اهل القرية جميعا .. وتصبح العلاقات الاجتماعية فى الحضارة الزراعية لونا من العبادة التى يحاط التفريط فيهـا بسياج مـن اللوم والتقريع ، ثم تنهض المعتقدات الشعبية لتحمى هذه العلاقـات فى ظل اخلاقيات ومثل المجتمع .

---

١ - سعد الدين المصرى . على رأس المثل - الامثال الشعبية - الاغانى الشعبية - الملاحم الشعبية ص ص ١٥ - ١٦ .

وهناك امثلة تضرب على سبيل التندر والسخرية والتهكم على الفلاح ، مثل قولهم : « الفلاح يوم ما يتمدن يجيب لاهله مصيبة » فهو اذا واجه المدينة ، فانه لايستطيع ان يجاريها أو يستخدمها فهو يسىء التصرف فيما يعرض له . وهذا المثل يتعارض مع ما أمر بــه الشرع الحكيم فى عدم السخرية والاحتقار والهمز واللمز والتنابز حيث ذلك من الاخلاق الذميمة » : « يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ، ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولاتلمزوا انفسكم ولاتنابزوا بالالقاب بئس لاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » .

اما فى ظل العصر البرجوازى فقد ظهرت مثـل شعبية تعبر عن هذا العصر ، فقالوا : « امتى تقوم القيامه ياجحا ، قال : لما أموت انا» وهذه الروح هى المظهر الاجتماعى للاقتصاد الفردى .

وفى مجال السياسة هناك قول ماثور فى بريطانيا ، يقول :

انه اذا خلت الاشجار من الدردار ، من البذور ، والاغصان ، فلن يكون هناك ملك فى الاثنى عشر شهر القادمة . ولكن اشجار الدردار تحمل اغصانا على الدوام . ولهذا يدل المثل على استمرار نظام الملكية فى انجلترا ، ولكن قد يلفت نظرنا الى ان المثل يحدد فترة سنة ، فهل يعود ذلك بنا الى نظام الملك السنوى ([1]) .

وهناك امثلة تدور حول علاقة الفرد بغيره مـن الناس فعنــدما تختلط مع مجموعة من الاصدقاء فترة من الزمن ، يقول لك المثل : « من عاشر القوم اربعين يوما صار منهم » . و « اللى تعرفه احسن من اللى ماتعرفوش » ـــ اى من عرفته على علاقة خير لك ممن لــم تعرفه » . ويرد على ذلك بان هذا المثل الاخير يقلل من فرص التعاون

---

١ ـ الكزاندر هجرتى كراب . علم الفولكلور ص ٣٥٣ .

بين المسلمين . والمتحابون فى الله امر لا يأتى الا بالتعارف المستمر ، والمعاملات الجديدة بطرق وسبل تعارف متجددة ، وعدم الاكتفاء بمن نعرفهم . ويكفى مايروى الرسول ﷺ عن رب العزة سبحانه وتعالى : « المتحابون فى جلالى ، لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء »

واحيانا نجد زميلا يجسد الاشياء ويطبخها وينسج حولها الاكاذيب رغم تفاهة الاشياء ، ويقول المثل : « يعمل من الحبة قبة » و « ياللى قاعدين يكفيكوا شر الجايين » . وتسافر بلاد وترجع وتطول المسافات وتبعد وترجع ثانى مادام الجميع على قيد الحياة ، ويقول المثل : « مسير الحى يتلاقى » . أما الانسان الضعيف اللى مالوش راى ويتأثر بكل مايسمعه معاهم معاهم عليهم عليهم يقول المثل عليه : « كلمة تجيبه وكلمة توديه » . وعندما تشعر بأن صديقك فى منتهى البرود وثقيل الدم يقول له المثل : « زى ليالى الشتاء طويل ، وبارد » .

ومن الامثلةماينم عن التعاون ، مثل : «الايد الواحدة ماتسقفشى» و « البركة فى كثرة الايادى » . ومنها مايحث على فعل الخير مثل قولهم : « افعل الخير واياك تنتظر جزاء » . و « اعمل طيب وارميه فى البحر » .

وعلى عكس هذه الامثلة نجد امثلة تحث على عدم فعل الخير مثل قولهم : «ماتجى المصايب الا من الحبايب» . ويرد على هذا المثل بان المصايب لاتأتى الا من مخالطة الاشرار . وهذا مما حذر منه الشرع الحكيم منه . يقول الله تعالى : «ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون» .

كذلك فان هذا المثل يتغافل عن ان المصائب لا تأتى من خير الاصحاب كما بين الرسول ﷺ : «خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره (رواه الترمذى) .

اذن المصائب لاتاتى الا من معاشرة الاشرار ، بينما يود الحبيب لحبيبه ما يوده لنفسه من خير وسعادة .

ان المثل القائل : « اصل الشر فعل الخير » . وهو مثل يضرب فى الاساءه التى تعقب الاحسان ، ولايحبذ فعل الخير ، بل يدعو الى تجنبه مغبة الوقوع فى السوء . وبالتالى يحث على السلبية وعدم التعاون ، ومعاونة الآخرين . ويتعارض ذلك مع قوله تعالى : «وتعاونوا على البر والتقوى » . كذلك حث النبى ﷺ على المعروف وفعل الخير . فعن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله ﷺ : يا على ان الله تعالى خلق المعروف ، وخلق له اهلا فحببه اليهم ، وحبب اليهم فعاله ووجه اليه طلابه .... ان المعروف فى الدنيا هم اهل المعروف فى الآخرة » .

ومن الامثلة الشعبية ما يعبر عن الحب والاجتماع والعاطفة . ومن ذلك « ايد واحدة ماتصقفشى » و « حبيبك يبلع لك الزلط وعدوك يتمنى لك الغلط » . و « اللى تكره وشه يحوجك الزمان لقفاه ، واللى تكرهه النهارده تعوزه بكره » و « اللى يبص لى بعين ابص له باثنين » و « مراية الحب عامية » . ويضع الحب ايجابيته فى التسامح واغفال العيوب والرضا عن المحب وعن افعاله ، وهو يحول البصلة الى خروف . وذلك مثل قولهم : « بصلة المحبة خروف » .

وعلى عكس الامثلة التى تدور حول الحب ، ظهرت أمثال تدعو الى الحزم وافتراس العدو قبل ان يفترسك . فالمثل يقول : اتغدى بيه قبل ان يتعشى بيك » .

وتتناول الامثلة الشعبية الطبقية واللامساواة بين الناس . فالمثل يقول « ربنا ما سوانا الا بالموت » . و « ابو جوخه وابو فله فى القبر

بيدلى » . والفلة (بفتح الفاء ، وتشديد اللام) نوع غليظ من نسيج الكتان يرتديه الفقراء ، أى أن الموت يساوى بين الغنــى والفقــير ، فصاحب الجبة كغيره مصيره الى التراب » .

ويؤكد المثل الشعبى على أن الدنيا دائما فى قبضة الغنى «بفلوسك بنت السلطان عروسك » . ويفرق المثل بين الغنى والفقير ، فيقول : « ابن مين اللى محمول ، ابن اللى عندها ماكول ، وابن مين اللى ماشى ، ابن اللى ماعندها شىء » . وهكذا يطرد الفقير فى غربة لاتقطع ، بعيدا عن الحب والتقدير .

وهناك مثل يضرب فى الاعتداد بكبر السن فى الراى يقول : « اكبر منك بيوم يعرف عنك بسنه » ويرد على هذا المثل بأن العلم والمعرفة تاتى بالتحصيل والجد فيه ومزجها بتقوى الله ومخافته ، ولا تاتى بكبر السن وحده ، فليس كبار السن هم العلماء مالم يتزودوا بالعلم والمعرفة ويقول ﷺ : « يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله ، فان كانوا فى القراءة يتذكر اولو الالباب » ، ولم يقل الذين يكبرون والذين لايكبرون » . ويقول ﷺ : « يؤلم القوم اقرؤهم لكتاب الله ، فان كانوا فى القراءة سواء فاعلمهم بالسنة ، فانه كانوا فى السنة سواء ، فأقدمهم هجرة ، فان كانوا فى الهجرة سواء فاقدمهم سنا » (رواه مسلم) .

كذلك فان تكريم كبير السن يأتى فى احترامه ومعرفة قدرته وخبرته الدنيوية المنبثقة من تجاربه ومواقفه فى الحياة الطويلة التى خبرها على مر الايام والسنين (١) .

وعن التغير الاجتماعى يقول المثــل الشعبى : « الدنيــا دولاب

---

١ ـ انظر محمد ابراهيم أبو سنه . فلسفة المثل والسينما ص ٦٦ .
وانظر معتز شكرى . الامثال العامية لاحمد تيمور ـ نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢٤ ، ١٩٨٨ ، ص ١١٩ .

داير » . والذى لاشك فيه أن الايمان بالتطور كان يضع جذوره فى الملاحظة الدائمة لهذا الواقع الذى يخضع فى نطاق حركته التاريخية لمنطق الضرورة الابدية .

وتمتد الامثال لتشمل كافة مجالات الحياه ، فمنها ما يضرب لحث الناس على عدم النظر للغد وعدم التفكير فى العواقب ، أى انما لى الساعة التى أنا فيها ، وذلك مثل قولهم : « احيينى النهارده ، وموتنى بكره » .

ويرد على هذا المثل بأنه يخالف تعاليم الاسلام وتوجيهاته الذى يدعو الى تدبر الامور والتفكير فى عواقبها . بل ان هذا المثل يدعو الى تغافل الاخرة والحساب بأسلوب غير مباشر حيث أنه داعيا الى معايشة اللحظة واليوم الذى فيه المرء فحسب دون النظر لما بعده . والشرع الحكيم يذم من يعتنقون هذا المبدأ قائلا فيهم : «يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » (سورة الروم : ٧)

بل ان هذا المثل يتضمن دعوة خفية الى الاسترسال فى اللهو طالما انه يدعو الى عدم النظر الى العواقب . فيكون الاهتمام اذن بمتاع الحياة الدنيا . وهذا ما تنبأ به القائل الحكيم : « يأتى على الناس زمان همتهم بطونهم ، وشرفهم متاعهم ، وقبلتهم نساؤهم ، ودينهم دراهمهم ، ودنانيرهم ، أولئك شر الخلق لاخلاق لهم عند الله» . كما يؤدى هذا المثل الى خصال الانانية والاهتمام بالذات والحرص على المتاع ، لايهمه من الامر سوى نفسه .

ويضرب المثل التالى لمن يتعرض لخطر ، ويحرص على ضمانات النجاه منه ، يقول المثل : « أدينى عمر وارمينى البحر » . ويفتقد هذا المثل للحس الاسلامى الذى يتحرى الدقة فى التعبير .فالذى يعطى العمر أو ينقصه أو يعدمه ليس أحدا من البشر ، وانما هو الله سبحانه وتعالى ... كما لايصح ان يقال هذا التعبير مجازا ، ويتضمن هنا المثل

فى كيانه ضعف العزيمة وعدم التواكل على الله الذى دعى اليه الاسلام فى كتابه الحكيم ٠

وهناك مثل يقول : « غريب بين أهلى وخـلانى » ٠ ولذلك نستطيع القول ان الاحساس بالاغتراب شعور لايلخص فقط موقفا تكون فيه المسافة المكانية هى العامل الحاسم ، بل ان الشعور أعم من عامله ، فكل اغتراب يعطى احساسا بالوحشـة والتفرد يعـود فى أسبابـه الى الاغتراب الحقيقى ٠

ويضرب هذا المثل لمن ينال شيئا لاحاجة به اليه ، بينما يحرم منه الذى يستحقه ٠ بقولا لمثـل : « يدى الحلـق للى بلا ودان » ويتغافل هذا المثل الاساس الاول فى العطاء والمنع ٠ فى ان الذى يعطى ويمنح ويحرم ويمنع هو الله سبحانه وتعالى مقسم الارزاق والذى بيده مقادير الامور بعلمه وحكمته ٠٠ مصداقا لقوله تعالى : « الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع » (سورة الرعد : ٢٦) ٠

ثم ان هذا المثل يتضمن حسدا لايخفى عن أولى الالباب ، فيصور القرآن الكريم هؤلاء بقوله : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » (النساء : ٥٤) ٠ كما ينتقد هذا المثل روح التوكل على الله التى هى من أسباب الرزق بدلا من التطلع الى من انعم الله عليهم من فضله كما أوضح الشرع الحكيم « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (الطلاق : ٣) ٠٠

ثم ان هذا المثل يجهل ان الله هو الذى يقسم الارزاق بين عبـاده بواسع علمه وحكمته ، كما يبين القرآن الكريم : « أهم يقسمون برحمه ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » (الزخرف : ٣٢) ٠

كذلك فان هذا المثل يتضمن تطلعا حاقدا على من انعم الله عليهم فى الحياة الدنيا تغافلا عن القناعة وغيرها ، مما جعل الشرع الحكيم ينهى عنه ذلك قائلا :«ولاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فبه ورزق ربك خير وابقى » (طه : ١٣١) .

وفى المبالغة فى عدم وفاء بنى آدم فى عمومه ، وتقديم الحيوان (الذئاب) عليه فى الاعتداد به . يقول المثل « آمنوا للبداوى (بفتحتين يريدون به الذئب لانه يسكن البادية » ، ولا تأمنوا للدبلاوى (يريدون به الانسان ـ آى الذى يلبس فى اصبعه دبلة) » .

ويتنافى هذا المثل مع تكريم الاسلام للانسان الذى هو اكرم شىء فى هذا الوجود .... فهو يكرم عند الله ابتداء من آدم عليه السلام والى أن يرث الله الارض ومن عليها . ويشير القرآن الى اكرامه الانسان بقوله : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا » . (الاسراء : ٧٠)

والانسان يكرم عند الله لانه من روحه ، وحسبنا هذا تكريما ومصداقا لقوله تعالى : « ونفخت فيه من روحى » . ووصل تكريم الله للانسان من ان يأمر الملائكة بالسجود لآدم كما اخبرنا بذلك الكتاب الحكيم فى قوله « فاذا سويته ونفخت فيه روحى فقعوا لـه ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون ، الا ابليس ابى بأن يكرن مع الساجدين »

ويسخر المثل التالى من طويل القامه ، فهو غير عاقل ولو كان عالما ذو حكمة . يقول المثل : « الطويل اهبل (يقصدون ابله) ، ولو كان حكيم » . وهذا المثل فيه سخرية بالخلق ، وهو مانهى عنه الشرع الحكيم فى قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خير منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا

منهن ، ولا تلمزوا انفسكم ولاتنابزوا بالالقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون» (الحجرات : ١١) (١)

---

١ ـ انظر محمد كامل عبد الصمد • الامثال الشعبية ـ التى تخالف ماجاء فى نصوص الاسلام وروحه • ص ص ٢٢ ـ ٨٣ •

الفصل الخامس
الحكايات الشعبية

ما الحكاية الشعبية Folktale

مصطلح الحكاية الشعبية جديد – لا بالقياس الى الادب العربى وحده ، ولكن بالقياس الى الآداب العالمية . ومع ذلك تعد الحكاية الشعبية من اهم واقدم ما ابتدعه الانسان ، فهى ذاكرة قديمة تعبر عن مشاعره ، واحاسيسه ، وواقعه وتخيلاته وتصوراته ، فهى ترتبط بالواقع وتغطيه صيغة خيالية تأملية لتحسن التعبير عن حدوثها فى الواقع .

وتشير الحكاية الشعبية الى الحواديت أو حكايات الجنيات ، أو جميع اشكال المرويات النثرية التى توارثتها الاجيال سواء اكانت مدونة أو شفوية . وتتعلق بالثقافة والدين والعادات والتجارب وخبرة الحياة.

وقد احتلت الحكاية الشعبية جانبا كبيرا من اهتمام دارسى المأثورات الشعبية التى شغفوا بها ، وجذبهم اليها ما فيها من خصائص تميزها عن القصص الادبى ، اذ تتميز الحكاية الشعبية بالحرية والمرونة ومسايرة العقول والامزجة والمواقف . كذلك بحثوا فى نشأتها واصولها، والطرق التى سلكتها .

ومن اشهر هؤلاء الدارسين الاخوين « يعقوب وفيلهلم جريم ، و « تيودور بنفى » و « ماكس موللر » و « اندرولانج » ، وغيرهم . ومن الدارسين المصريين د. فؤاد حسنين الذى اخرج للدارسين كتابا بعنوان « قصصنا الشعبى » . كما أسهم فاروق خورشيد فى هذا المجال ([1]) .

---

١ – انظر غراء حسين مهنا . الحكاية والواقع – مقارنة بين الحكايات الشعبية المصرية والفرنسية . نقلا عن مجلة النقد الادبى ، المجلد الثالث ، العدد الرابع ، ١٩٨٣ ، ص ص ١٢٣ – ١٢٤

سـمات الحكايـة الشعبية :

يميز الباحث الحكاية الشعبية عن غيرها بما تتسم بها من سمات وخصائص . فالحكاية الشعبية ثمره تفكير انسانى .وهى ليست عمل فرد بذاته ، بل من صنع الجماعة الانسانية والمجتمع . وهى مجهولة المؤلف الى ان بدأ كتابتها ، فظهر دور الفرد بالنسبة لها . واذا كان هنـاك فرد الف الحكاية الشعبية ، فهناك مجموعة من الرواة يروينها ، فتتاثر بالجماعة وتعكس تفاعلاتها . هذا ونسبية الحكاية الشعبية لشخص ما لاتعنى شىء بالنسبة لشعبيتها ، لان المعيار هو مدى استقبال الطبقات الشعبية لها ، وترديدها اياها .

والحكاية الشعبية ليست ثمرة عقل مجنـون ، او افلت زمامـه بقـدر ماهـى عبقريـة انسانيـة . لقـد اسـتطاعـت العبقريـة الشـعبية ابتكـار شخصيـات لاتنسى ، ورسمها ببراعـة منقطعـة النظير . من ينسى السندباد وعلاء الدين ، وعلى بابا ؟ ان المواقـف التى تضمنتها هذه الحكايات ثرية عامرة بالحركـة ، والفكاهـة ، والصراع ، والعواطف الانسانية .

وتتسم الحكاية الشعبية بأنها عريقة مأثورة ، فهى ليست مـن ابتكار لحظة معروفة أو موقف معروف ، بل انتقلت من جيل الى جيل سواء كانت مدونة كأن تظل تروى بواسطة مؤلف عن مؤلف آخر ، أو احتوت على الكلمة المنطوقة تنتقل من شخص الى آخر ،، عن طريق الرواية الشفهية ، وتستمر روايتها وترديدها .. فهى تسمع وتتردد بقدر ما تسعف به ذاكرة الراوى ، وربما يحكيها كما سمعها ، وربما يضيف اليها من عنده . ويعنى ذلك أن الحكاية تظل تسمع وتروى باضافات، او بدون اضافات ، أو تغييرات الراوى الجديد عليها . ويجب التنبيه الى أنه لايوجد خط واضح يفصل بين كل من التراث المدون والمروى بين الحكايات خاصة فى العصر الحديث .

وتتسم الحكاية الشعبية بالمرونة ـ فهى قابلة للتطور ، اذ تلعب

الحياة الانسانية دورا فى تطويرها بحيث يضاف اليها او يحذف او يختصر منها ، أو تعدل عباراتها ومضامينها وعلاقاتها على مستوى الراوى الجديد تبعا لمزاجه او موقفه أو ظروف بيئته الاجتماعية (1) .

وتقوم الحكاية الشعبية على تقاليد مقرره طبقا لنماذج معينة فى الاستهلاك من مثل : وحدوا الله ، وصلوا على النبى ... طب كمان زيدوا النبى صلاة ... وكان ياما كان ياسعد يا اكرام ... ما يحلى الكلام الا بذكر النبى عليه الصلاة والسلام ... الخ .

ولايخلو السرد من نماذج من السرد من مثل :كان فيه واحد ملك، ولا ملك الا الله .... ، وبعدين الملك قال للوزير : دبرنى ... ياوزير ... قال الوزير : التدابير يا ملك .... وتفضل ماشى ماشى ... بلد تشيله وبلد تحطه ...... الخ .

وتتميز الحكايات الشعبية ببنائها الفنى ، وربط الاحداث ، واستطرادها ، ويحتفل السرد بالفواصل بين الجمل ، والسجع والايجاز فى العبارة ، كما يستخدم الحكمة والمثل الشعبى المعروف للمجتمع ، وربما حفظ قدرا من الشعر يعينه على الاستشهاد وفى التوقف .

والحكاية الشعبية تصوير للحياة الواقعية بأسلوب واقعى ، فتحكى خصائص الجماعة الاجتماعية والعقائديةوالتاريخية والعرقية فتصف أحداث وعادات وتقاليد الجماعة . أو قد تجرد الاحداث وتعطيه صيغة خيالية، أو بتضارب الاحداث وتناقضها فتصبح شيئا غير ملموس كما فى الحكايات

---

١ - انظر عبد التواب يوسف.الادب الشعبى فىعصر التليفزيون والفضاء - هل يتقبله الاطفال ويقبلون عليه - نقلا عن مجلة الفنون الشعبية، العدد ٢٤ ، ١٩٨٨ ، ص ٢٦ .
وانظر عادل ندا . الحكاية الشعبية نقلا عن مجلة الفنون الشعبية العدد ٣٠ ، ٣١ سنة ١٩٩٠ ، ص ٣٠ .

الشعبية المتعلقة بالقوى الاعجازية الخارقة ، فتجعل الحيوانات تتكلم ، وتقيم علاقات اجتماعية اما بين عالم الانسان وعالم الحيوان ، أو عالم الانسان والجان . وهنا يلعب الخيال الشعبى دوره فى تصوير عالم الجان أو الملائكة ...

وقد تعنى الحكاية الشعبية أحداثا وتقاليد وعادات أشخاص معينين فى فترة معينة ، وفى مكان محدود ، ولكنها تعتمد على السرد وعلى بعض الصور الدرامية حتى تثير المستمعين (١) .

وقد تكون الحكاية الشعبية خيالية فتتكلم عن القوى الخارقة الطبيعية ، أو عندما تتكلم عن علاقات اجتماعية قائمة بين عالمين متمايزين عالم الانسان وعالم الحيوان ، أو عالم الانسان وعالم الجان .

ونجد فى الحكاية الشعبية النقد اللاذع ، والسخرية المرة ، والفكاهة الضاحكة اللاذعة ، كما نجد فيها اثارة العبرة الرادعة أو القدرة النافعة ، أو الاقناع بحقيقة الواقع الاليم الذى تتحاشاه النفوس .

ولختام الحكاية الشعبية تقاليده ، فتقول : توته توته فرغت الحدوته ، حلوة ولا ملتوته ، وعاشوا فى التبات والنبات ، وخلفوا صبيان وبنات ، حتى أتاهم داهم اللذات ، ومفرق الجماعات ، وسبحان الحى الذى لا يموت . وقد يقول الراوى : « وسلامتك على كده » و « بس على كده » .

انماط الحكاية الشعبية :

عرف علماء المأثورات الشعبية عددا من مصطلحات الحكاية الشعبية للتفريق بين اشكالها ، حيث تعدد انماطها . فقد تكون القصة

---

١ – انظر د. فاروق احمد مصطفى . الموالد دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر . ص ص ١٨٩ – ١٩٠ .

خرافيه :-حيوانية او تتعلق بالجان • وقد تكون أسطورية ، وقد تكون حكاية جغرافية ، أو تاريخية ، أو اجتماعية ، أو الحكاية التى بها ابراز حكمة معينة ، أو حكاية دينية ، أو حكايات الابطال من الانبياء ، والحياة الاخرى ، أو حكاية شعرية ترتبط بالفكاهة أو اللغز المحير • كما قد تكون الحكاية عبارة عن سيرة شعرية مثل سيرة « عنترة » و « سيفين يزيد » و « الظاهر بيبرس » و « سيرة الاميرة ذات الهمة » و « السيرة الهلالية » •

الحكايـــة الخرافيـــة :

يفرق بعض العلماء بين الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية باعتبار أن الخرافة Fable قصة قصيرة تظهر فيها شخصية الحيوانات ، وهى تتحدث وتقوم بأفعال مثل الآدميين ، ولو انها تحتفظ بقسماتها الحيوانية • وهى لاتستخدم الحكاية الحيوانية لاظهار خصائص الحيوان فى الواقع أو سلوكه ، ولكنها تهدف الى تأكيد الدرس الاخلاقى للناس ، او بقصد النقد اللاذع أو الهجاء لتصرفاتهم • وأوضح مثل على ذلك خرافات « بيديا » (كليلة ودمنة) •

والحكاية الخرافية من اهم مظاهر التراث الشعبى ، وجزء من الفولكلور تناقلته الاجيال جيلا بعد جيل ، اذ تتفق الحكايات الخرافية فى عمومها فى كونها بقايا معتقدات تصل فى تاريخها الى أقدم العصور•

وعالم الحكاية الخرافية عالم أسطورى ، بينما عالم الحكاية الشعبية عالم واقعى • ففى الحكاية الخرافية يؤكد الناس اعتقادهم فى قوى خرافية لايتقبلها العقل البشرى تسيطر على الكون • واول هذه القوى الجان • وهى قوى تخلط بين الحقيقة والوهم ، بين العلم والخرافة ، وكان هذا الخلط صفة من صفات العلم القديم (١) •

---

١ - انظر د• احمد أبو زيد وآخرين • دراسات فى الفولكلور ص ٧٥

خذ ـ مثلا ـ كتاب « حياة الحيوان الكبرى » ، لكمال الدين الدميرى (المتوفى منذ سبعة قرون تقريبا) ، ترى فى صفحاته ملاحظات علمية دقيقة ، وفى صفحات اخرى خرافات تبدو عند الحديث عن التعابين والحيات . اذ قال أن اخوين ذهبا الى قفر فى الجاهلية ، فخرجت اليهما حية تحمل دينارا ، فأخذه الاخوان . ورأى احدهما ان الحية تحرس كنزا ، وهم بقتلها لكنها قتلته ، ثم جرى نقاش بين الاخ الثانى والحية ، وانشد ابياتا من الشعر .

وتؤكد الحكاية الخرافية ايمان الناس بمن يزعمون معرفة الغيب، ويعالجون رضاهم بطريق الشعوذه . وتهدف الحكاية الشعبية الخرافية الى زواج البطل الذى كثيرا ماينتمى الى بيئة فقيرة ، من الاميرة . وقد تهدف الى حصول البطل على الادوات السحرية من أجل القضاء على القوة الشريرة .

وتنتهى الحكاية الخرافية دائما بالنهاية السعيدة ، وذلك لانها تمثل نوعا من القصص الشعبى الذى يسعى الشعب عن طريقه الى خلق تلك الصورة المثالية التى تحقق له الامل الذى يراوده ، فى ان يصبح فى هذا العالم صورة أخرى من بطله المحبوب ، ذلك البطل الذى يتسم بالبطولة وبالتفاؤل والايجابية فى سلوكه ، ويصور بعد كل هذا قدرة الانسان على أن يتخطى كل ألم وكل شر .

هذه الصورة يحبها الشعب ويصورها فى حكاياته الخرافية ، لا لانه يعتقد أن مثل هذه الحياة لاتتحقق الا فى عالم الخيال ، بل لانه يؤمن بأن هذه هى الطبيعة الاصلية للحياة . فالحياة كاملة كمال الطبيعة . واذا كان الانسان قد صور ذات يوم كمال الكون فى أساطيره، فانه قد عاد يصور كمال الحياة فى حكاياته الخرافية .

ولكن كيف نميز بين نمط الحكاية الخرافية ونمط الحكاية الشعبية عندما تستخدم الحكاية الشعبية الخيال والسحر ، وقد انتقل بطلها

من العالم المعلوم الى العالم المجهول ، كما هو حادث فى الحكاية الخرافية . ولكى نجيب على هذا السؤال نقدم حكاية امتلك البطل فيها الاداة السحرية وانتقل الى العالم الآخر . ومع ذلك فهى تنتمى الى النمط الشعبى (١) .

بلغ الفقر برجل الى حالة دفعته لان يذهب الى ضريح السيدة زينب ويجلس عند الضريح مع الشحاذين . وهناك جاء اليه شيخ المجاذيب وساله عن سبب جلوسه مع الشحاذين دون أن يمد يده للناس فاجابه بأنه كان يعيش فى حالة من اليسر ثم صار فقيرا . عند ذلك أمره أن يدخل فى عباءة . فلما فعل الرجل ذلك وجد نفسه فى بلد آخر غير بلده ، ولما كان جائعا ، فقد ظل ينتقل من مكان الى آخر لعله يجد من يعطف عليه . ثم وجد نفسه أمام مخبز فدخله ليطلب من صاحبه رغيفا من الخبز فساله صاحب المخبز عما اذا كان غريبا عن ذلك البلد ، فرد بالايجاب .

عند ذلك طلب منه صاحب المخبزان يصحبه الى قصر الملك ، لان الملك اعلن أنه سيزوج ابنته من أول رجل غريب يدخل المدينة . فذهب مع الرجل الى قصر الملك ،حيث وافق الملك على أن يزوجه منابنته الكبرى ، واشترط عليه شرطا واحدا هو الا يتدخل فيما لايعنيه . وتصور الرجل ان هذا الشرط يسير للغاية . ومن ثم فقد وافق عليه ، وتزوج الابنة الكبرى .

وفيما كان الرجل يتجول فى المساء بمفرده ، رأى رجلا يتسلق شجرة صاعدا هابطا دون ان يهدأ ، ويأكل من ثمارها الحلوة وثمارها التالفة فى آن واحد . فظل يراقبه لعله يهدأ ويستقر ، ولكنه لم يفعل

---

١ ـ انظر ابراهيم محمد معلوشة . بحث حول الفن الشعبى واثره فى التكوين النفسى للطفل ص ٢٣ .

فوقف يسأله : لماذا لاتجلس فوق الشجرة وتاكل من ثمارها الطيبة حتى تشبع ثم تنزل بعد ذلك ؟ فأجابه الرجل قائلا : هذا شىء لايعنيك وليس من حقك ان تتدخل فيه . عند ذلك تذكر الرجل تحذير الملك اياه ، ولكنه تصور أن احدا لم يره ، ولهذا فقد دخل القصر فى المساء مطمئنا ، ولكنه فوجىء بابنة الملك تقول له : انك أصبحت محرما على ، حيث انك قد ارتكبت الشىء المحظور .

عند ذلك ترك الرجل القصر ، وذهب الى مكان الخباز ليشتكى اليه حاله . فأخذه الخباز وذهب به الى قصر الملك مرة أخرى ، حيث استشفع له عند الملك وطلب منه أن يزوجه من ابنته الثانية ، فوافق الملك على ذلك ، واشترط عليه نفس الشرط (١) .

وهناك نموذج من الحكايات الخرافية ، من التراث المصرى الفرعونى من كتاب « الاله توت السحرى » . وتحكى هذه الحكاية ان الالة « توت » حينما قدم الى الحياة كتب كتابا سحريا . ومن يتمكن من الحصول على هذا الكتاب ويقرأ أول حكمة فيه يستطيع أن يسلط سحره على السماء وعلى الارض وعلى العالم السفلى وعلى الجبال وعلى منابع الحياة جميعا .

وأما من يتمكن من قراءة حكمته الثانية فانه يستطيع أن يعود الى الحياة الدنيا بعد مماته ، الا انه لن يستطيع الاقامة فيها وفى اثناء رجوعه الى العالم السفلى يرى الاله رع وسط الالهة ، وبجواره القمر فى السماء .

---

١ - الحكاية لها بقية ، انظر د. نبيلة ابراهيم . قصصنا الشعبى من الرومانسية الى الواقعية . ص ص ١١٨ - ١١٩ .

وبعد أن كتب الاله توت كتابه السحرى صعد الى السماء • ثم وضع كتابه هذا داخل صندوق من الذهب • ووضع الصندوق الذهب فى صندوق آخر من الفضة ، وهذا بدوره فى صندوق آخر من البرونز • والصندوق البرونزى فى صندوق آخر من الحديد • ثم القى الاله توت هذه الصناديق جميعا فى البحر ، وعين حراسا من التنين والعقارب والافاعى تحرسها على مسافة ميل ، كما أنه خصص للصندوق الحديدى أفعى تلتف حوله فى احكام •

وحدث أن كان لفرعون ابن يدعى نفركاه بتاح ، وكان متزوجا من ابنة فرعون تدعى اهو يرى • وقد رزق منها بولد سماه مـرآب • وكان نفركاه بتاح عالما قضى عمره بجوار كبار الكهنة ، وفى دراسـة اقدم الكتابات • ومن خلال قراءاته تعلم السـحر وعرف الكثـير مما لايعلمه الآخرون •

وبينما كان يقرأ فى شغف ذات يوم فى أحد المعابد ، نظر اليـه أحد الكهنة وضحك منه ساخرا • فلما سأله نفركاه بتاح عن سبب ضحكه اجاب بأنه يضحك منه لانه يجهد نفسه فيما لا معنى له • ثم أخبره انه اذا شاء أن يقرأ كتابات ذات أثر فعال ، فعليه أن يتبعه الى مكان ما حيث كتاب الاله توت السحرى الذى كتبه بخط يده • ثم حكى لـه قصة هذا الكتاب •

عندئذ أجاب نفركاه بتاح انه يرغب فى قراءة هذا الكتاب • وهو على اتم استعداد لان يقدم فى سبيل ذلك تضحيات بالغـة ، عندئذ أسر اليه الكاهن بالمكان الذى يختفى فيه الكتاب • ثم أخبر نفركاه بتـاح زوجته بما حدث • وما ان سمعت الزوجة بهذا الخبر حتى رفعت صوتها باللعنة على الكاهن وعلى معبده • قالت : «لعل الاله آمون ينزل عليه

العقاب ... لقد قدر على ان اعيش حياتى فى كآبة وحزن .. » [١] .

ومن الصور المالوفة للمراة فى الحكاية الخرافية أن المراة الجميلة الطيبة فى وسعها أن تحول الرجل الممسوخ فى صورة حيوان الى رجل جميل تتزوج به ، وذلك عن طريق الكلمة الطيبة أو المعاملة الحسنة . فالمراة الجميلة تخلع عنه هذه الصورة المؤلمة وترده الى طبيعته الانسانية . وتقدم هذه التجربة صورة صادقة للشر الذى يمكن أن يتحول الى خير عن طريق الحب والكلمة الطيبة [٢] .

ومن صور المراة فى الحكاية الخرافية ، تلك التى تتزوج برجل يكتنف حياته بعض الغموض . وعلى الرغم من ذلك فهو يحب زوجته ويهىء لها حياة سعيدة رغدة ، بل ويطرح امامها كنوزا من الذهب واللآلىء الثمينة ثم هو يحرم عليها بعد ذلك ان تفتح حجرة واحدة فى البيت الذى تسكنه ، ويقدم لها فى الوقت نفسه كل وسائل الاغراء لفتح هذه الحجرة المحرمة ، فان يقدم لها مفتاحها تصونه معها .

وتندفع المراة لفتح هذه الحجرة ، فاذا بها لاتجد سوى ظلام مروع . فتغلق الحجرة وهى تعتقد أن سرها لن ينكشف أمره . ولكن المفتاح يقع من يدها وهى تغلق الحجرة ، وتنطبع عليه بقعة من الدم لا تزول مهما حاولت المراة ازالتها بكافة الوسائل . وتنكشف جريمة المراة لزوجها ، فاذا بها تفقد كل شىء : تفقد الرجل وتفقد المعيشة الرغده ، ولا تغنم سوى الحسره والندامه .

وهذه صورة ثانية للمراة ، انها زوجة الصياد الفقير الذى كان

---

١ ـ انظر . د نبيلة ابراهيم ، اشكال التعبير فى الادب الشعبى ص ص ١١٨ ـ ١١٩ .

٢ ـ نفس المرجع . ص ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

يسكن معها فى عش هادىء على شاطىء البحر ، وكانت مهمة الزوج ان يخرج يصطاد السمك ٠فيبيع بعضه ،وياكل بعضه الاخرين مع زوجته، ولم يكن الرجل يريد أن يغير من حياته قيد انملة ، اما الزوجة فكانت تعتمل فى نفسها دوافع الطموح والرغبة ٠ وذات يـوم خـرج الصيـاد ليصطاد كعادته ، ورمى شبكته فى عرض البحر ، فاذا بسمكة غريبـة تطلع فيها ، وتتحدث اليه وترجوه أن يتركها لانها ليست سمكة طبيعية، ولكنها امير ممسوخ ٠ فطرح بها الرجل فى البحر ، ورجع خاوى اليدين لزوجته ، فلما سالته عن رزقه حكى لها ما رآه ٠

حينئذ ظهرت بوادر الرغبة العارمة فى نفس المراة٠فقد انهالت عليه تانيبا لانه ترك الفرصة النادرة تفلت من يديه دون أن يستغلها ٠ فقد كان فى وسعه ان يتمنى شيئا من هذا الكائن الغريب ٠ ودفعته المراة لان يرجع الى البحر ويعاود التجربة لعله يجد السمكة الغريبة ويتمنى عليها لزوجته بيتا بدلا من هذا العش الذى يعيش فيه ٠

وفعل الرجل ، وظهرت له السمكة ، واخبرها بان زوجته ترجـو بيتا تسكنه بدلا من هذا العش ، وتحقق مطلبها ، ثم دفعت المراة زوجها مرة ثانية متمنيه لها حصنا ثم قصرا ، وتحقق لها كل ذلك واصبحت ملكه، ثم تمنت أن تكون الها ، وعنئذ اجابت السمكة الرجل : اذهب الى زوجتك فسوف ترى كل شىء ، وعندما عاد الرجل وجد زوجته قد طارت الى علو شاهق فى عنان السماء ، ثم هبطت لكى تسكن العش الاول الذى رفضته (١) ٠

ومن الحكايات الخرافية حكاية ذلك الرجل العجوز الذى يعيش مع زوجته على الصيد بالكاد ٠ واكتشف الرجل ذات يوم آثار قطيـع من الجاموس ، فتتبعها الى ان وجد كتلة من الدماء متجمدة عـلى الارض ، فأخذها ولفها فى قميصه وذهب بها الى منزله ، وطلب مـن

١ ــ مجلة الفنون الشعبية ، العدد الثالث ، ١٩٦٥ ص ٢٠ ٠

زوجه أن تغلى الدم ، فوضعتها فى قدر من الماء ، وقبل أن تغلى الماء على النار سمع صوت صراخ خارج من القدر ، فنظر ناحيته ووجد طفلا صغيرا داخله ، فجذبه من الماء ، وقام الزوج والزوجة بغسل الطفل ولفاه . وفى الصباح كبر الطفل وفى اليوم التالى استطاع أن يمشى واتخذه الرجل العجوز ابنا له وأسماه « كتلة الدم » وعلمه الصيد (١) .

وتحكى حكاية خرافية أنه كان هناك رجل يعيش مع زوجته ولم يرزقهما الله أبناء ، وفى يوم من الايام سمعت الزوجة رجلا ينادى على تفاح يجلب الحمل ، فنادته وطلبت منه أن يبيعها تفاحتين وصنعتهما فى مكان ما فى البيت وانصرفت الى عملها . وبعد وقت جاء زوجها من العمل وكان جائعا . فلما أبصر التفاحتين أكل واحدة فى نهم . ولما رأته الزوجة وهو يقضم التفاحة صرخت فى وجهه ، وأخبرته أن التفاحة التى أكلها ليست عادية ، لانها تجلب الحمل ، ولهذا نصحته أن يرحل بعيدا ، اذ لامفر من أن أن تظهر عليه امارات الحمل وشيكا ، وينتظر حتى يلد طفلة ، فان كان الوليد ابنا لفه فى ثوب من الحرير أحضره ، وان كان بنتا ، لفها فى ثوب الخيش وتركها .

رحل الرجل الى مكان ناء واستقر حتى ولد بنتا من بطن رجله، ولفها فى ثوب الخيش وتركها فوق شجرة وعاد الى بيته ،وأبصرت البنت صقرا كان يحلق فى الفضاء ، فهبط اليها ، وبنى لها عشا ، وأخذ يرعاها حتى كبرت .

وذات يوم خرج ابن السلطان ليتنزه ممتطيا صهوة جواده ، فوصل الى نبع بجوار الشجرة التى تجلس فوقها الفتاة وركض الجواد الى النبع ومد عنقه ليرتوى ، ولكنه ظل ساكنا مطاطا الرأس ، فلما

---

1 — Erdoes R. Chard & Ortiz Alfonso, the American Indian Myths and Legends, P.P. 8 - 9.

نظر ابن السلطان اليه ، وابصر صورة فتاة تنعكس على صفحة الماء ، فرفع راسه الى أعلى فراى الفتاة الجميلة تجلس فوق الشجرة ، فطلب منها أن تنزل ، ولكنها رفضت ٠

فعاد ابن السلطان الى بيته ، وقد تملكه حب الفتاة ، وظل فترة عازفا عن الطعام حتى حار أهله فى امره ، وكانت فى البيت امراة عجوز تقوم على خدمة ابن السلطان ، فلما رات ما به ألحت عليه ان يخبرها بحاله ، فكشف لها عن عشقه للفتاة التى تجلس فوق الشجرة عند ذلك عرضت عليه العجوز مساعدته ، وطلبت منه ان يحضر لها شاه وسكينا أثلم ، وان يصطحبها الى ذاك المكان ويختفى وراء الشجرة حتى اذا نجحت فى استدراج الفتاة خطفها ورحل ٠

ورحل ابن السلطان مع العجوز عند الفتاة ، وجلست العجوز تحت الشجرة واصطنعت أنها تذبح الشاه من رجلها ، عند ذاك صاحت الفتاة قائله : «من رَحبته ياما العجوز من رحبته» (أى من رقبته) ، فتظاهرت العجوز مرة أخرى بأنها تذبح الشاه من ذيلها ، فصاحت بها الفتاة وقالت نفس العبارة ، وعند ذلك أخبرتها العجوز أن بصرها ضعيف ، ولاتستطيع أن تضع السكين فى مكان الذبح من الرقبة ، ثم طلبت من الفتاة أن تسدى لها معروفا بأن تهبط اليها وتعنيها على ذبح الشاه ، فلبت الفتاة رغبتها ، وقالت للنخلة : يانخلة اقصرى اقصرى لما تبقى طول خنصرى ٠ فأخذت النخلة تقصر تدريجيا حتى كادت تصل الى الارض ، وعندئذ خرج الامير من مخبئه ، واختطف الفتاة على حصان وجرى مسرعا الى بيته ، حيث احتفلت امه بزواجه منها [1] ٠

---

١ ـ د٠ نبيلة ابراهيم سالم ٠ البطولة فى القصص الشعبى ٠ ص ص ٣٥ ـ ٣٧ ٠

ومن الحكايات الخرافية حكاية البنت التى تزوجت كلبا • اذ يحكى انه كان هناك حطاب فقير يعيش مع زوجته وابنته • ولم يكن الرجل يكسب كل يوم سوى بضعة قروش يشترى بها ما يسدرمقهم ، فلما قرب العيد طلبت منه زوجته أن يخرج ليكسب مزيدا من النقود فيشترى لابنته رداء العيد ، كما طلبت من الابنة أن تخرج مع أبيها لتعاونه فى عمله • فخرج الاب وابنته وأخذا يجمعان الحطب من الجبل •

وبينما كانت البنت تحزم حزمة الحطب على مقربة من أبيها ، برز لهما رجل وبصحبته كلب ، وسأل الرجل على الاب على الفور : هل تقبل أن تزوج ابنتك منى أم من الكلب ؟ فأجاب الرجل : وكيف يمكننى ان أزوج ابنتى من كلب ؟ فرد عليه الرجل قائلا : أن هذا الكلب ليس كلبا عاديا انه ملك العالم السفلى ، وهو مسحور على هيئة كلب • أما أنا فلست سوى خادمه •

عند ذاك وافق الاب أن يزوج ابنته من الكلب ، وسلمها للخادم • وقبل أن يتهيأ الخادم للذهاب بالبنت ، سلم الاب عصا ، وقال له : ان شئت أن ترى ابنتك فعليك أن تدق الارض بهذه العصا ، فتنفتح لك فتحة فى الارض فتدخل فيها ، وأخذ الاب العصا وعاد وحيدا الى بيته •

وسألت الام عن ابنتها فأخبرها انه زوجها من ملك العالم السفلى• ولما صرخت الام فى وجهه ، طمأنها بانه يمكنها أن ترى ابنتهافى أى وقت تشاء وما عليها سوى أن تدق الارض بالعصا ، فتنفتح لها فتحة تدخل فيها ، وهناك يقودها الطريق الى قصر ملك العالم السفلى •

وبعد وقت ، ضاقت الحال بالزوج والزوجة ، فقررا أن يرحلا الى ابنتهما ليستطلعا أخبارها ، ويطلبا منها بعض النقود ، فدقا الارض بالعصا ، وهبطا فى الفتحة ،وسرعان ماهداهما الطريق الى القصر الذى تسكنه الابنه ، وهناك طلبا من الابنه بعض المال ، فسألت الابنه زوجها ، ملك العالم السفلى ، أن يمنحها الرحى السحرية التى كلما اديرت يمينا أو شمالا تدفقت منها الجنيهات الذهبية •

واخذ الرجل زوجته والرحى السحرية وخرجا من العالم السفلى ، ووصلا الى بيتهما • فجاء الدائنون وطرقوا الباب يطلبون من الرجل سداد دينه • وما كاد الدائنون يبصرون الرحى السحرية ، حتى قرروا سرقته • ثم ترك الرجل رحاته وهرول ليعد لهم الطعام ، فاخذ الدائنون الرحى وهربوا بها [1] •

وهناك حكاية خرافية أخرى ، يحكى انه كانت هناك أسرة تتكون من أب وأم وابن يدعى الشاطر محمد • ثم مات الاب تاركا ابنه وأمه وحدهما • وكان فى البيت حجرة مغلقة حذرت الام ابنها من فتحها ، لان زوجها كان قد أودع لها فيها سرا • ولكن الشاطر محمد تجاوز المحظور وفتح الحجرة ، فوجد فيها ديكا ، فاخذه وخرج • وفى الطريق قابله «خواجه» • ولما أبصر الخواجة الديك معه ادرك فى الحال أن الديك ليس طبيعيا • فأخذ يتحدث مع الشاطر محمد ليعرف منه من اين أتى بذلك الديك •

وفى النهاية طلب منه أن يبيعه بتسعمائه جنيه ، وتعجب الشاطر محمد من هذا السعر الذى عرضه الخواجه • ولكن الخواجه ظن أن الشاطر محمد قد استقل الثمن فرفع الثمن الى الف جنيه • عند ذلك باعه الشاطر محمد الديك • ولكنه عاد وسار وراء الخواجه ليرى ماهو فاعل بالديك • فوجد الخواجه قد دخل مطعما وأعطى الديك لصاحب المطعم ، وأمره أن يشوى له الديك على شرط الا يرمى اى جزء منه • ثم أخبر صاحب المطعم كذلك بأنه سيرسل خادمه ليأخذ منه الديك •

ولما رحل الخواجه ، انتظر الشاطر محمد بعض الوقت ، ثم ذهب الى صاحب المطعم وأخبره انه خادم الخواجه ، وانه يطلب الديك

---

١ - د• نبيلة ابراهيم • قصصنا الشعبى من الرومانسية الى الواقعية ص ص ٦٢ - ٦٣ •

المشوى فاعطاه صاحب المطعم الديك ، واخذ منه اجر شوائه • ولما شطر محمد الديك وجد بداخله خاتما • فلما سمعه ظهر له خادم هذا الخاتم ليحقق له اى مأرب • فطلب الشاطر محمد المال الوفير • واشترى ببعض هذا المال كلبا وقطا وفأرا • ثم ذهب بعد ذلك ليخطب ابنة الملك • ووافق الملك على ذلك على شرط ان يتمكن الشاطر محمد مرة اخرى بالخاتم السحرى فى هدم الجبل وبناء القصر • فزوجه الملك ابنته وسلم الشاطر محمد الخاتم لابنة الملك وطلب منها ان تحفظه عندها •

ولما علم الخواجة بعد ذلك بخديعة الشاطر محمد ، وانه تمكن من الزواج من ابنة الملك ، انتهز فرصة غياب محمد ، وراح يعرض على ابنة الملك خواتم رائعة من الماس والذهب ، واختارت ابنة الملك خاتما من بين هذه الخواتم ، ولكن الخواجة رفض ان يبيعه اياه الا اذا سلمته الذى اودعه عند الشاطر محمد : ولما كان هذا الخاتم السحرى يبدو عاديا تماما ، فقد قدمته للخواجه وتسلم الخاتم الآخر •

الأساطير وقصص الخوارق :

ومن الحكايات الشعبية الاساطير Mythos وقصص الخوارق Legends • وقد استخدم البعض الكلمتين كما لو كانتا متبادلتين او مترادفتين • أما دارسوا الحكايات الشعبية فقد فرقوا بين التعبيرين باعتبار ان المعنى الاصلى لكلمة Myth أو Methos عند الاغريق القدامى تعنى الكلمة المنطوقه ، ثم تحدد استعمالها بعد ذلك فاصبحت تعنى الحكاية التى ترتبط بالشعائر والمعتقدات الدينية •

وتشير كلمة الاسطورة Myth الى الآلهة او شبه الآلهة أو كائن خارق وأفعالهم ومغامراتهم من حيث ان هذه الافعال والمغامرات تهم الانسان وتختص بعالمه •

وتفسر الاسطورة بمنطق الانسان البدائى أو القديم مأثورات الناس حول العالم ، وظواهر الحياة ، والطبيعة ، وما وراء الطبيعة ،

ومظاهر الكون ، والاحداث الطبيعية غير العادية كالزلازل او طلـوع الشمس وغروبها ، والنظام الاجتماعى ، والظواهر الانسانية كالاحلام ، وكذلك أولويات المعرفة . وهى تنزع فى تفسيرها الى التشخيص والتمثيل والتجسيم ، وتنأى عن التعليل .

ومع ذلك ، فان التفكير الاسطورى ظل غالبا على عقول المجتمعات المتحضرة التى دخلت مجال التاريخ كالمصريين القدمـاء والبابليـين والاشوريين ، والفرس ، واليونان ، والرومان ، وغيرهم ممن كان لهم دور بارز فى صياغة الحضارة الانسانية . ومن ثم فان الشعوب المتحضرة هى التى صنعت الاساطير ، وهى فى اوج تقدمها الحضارى ، فليسـت اذن الاساطير عللا فى مجتمع معتل ، وانما هى اسلوب حضارى لازم الوجوب فى عصره وبيئته (١) .

ولذا يذهب كثير من الدارسين الى القول بأن الاساطير تسبق فى الوجود الحكاية الشعبية ، وان الحكاية الشعبية انما تفرعـت عـن الاسطورة ، وانتشرت فى المرحلة الثقافية التى تلت المرحلة الاسطوريـة الموغلة فى القدم ، والتى تنتمى الى البدايات الاولى للتفكير الانسانى . أما الحكاية الشعبية فقد عاشت وسط بيئة ثقافية اكثر تقدما من المرحـلة الاسطورية .

والاسطورة قصة مخترعة تتألف من صور خيالية ، ومما يدل على تناقضها للواقع ان اساطير الاولين تدل على معتقدات المشركين قبـل ظهور الديانات السماوية . ولايعنى هذا الخيال الاسطورى انها لاصلة لها بالواقع ، بل هى اقدم شكل فنى وضع الاساس الاول لمنطق الكـون والحياة . فهى تعكس معتقدات الجماعة وفلسفتها ورايها ، وهـى جزء

---

١ — انظر ظاهر شوكت زركوش . مدخل الى اسطورة فاوست نقلا عن مجلة التراث الشعبى ، العدد العاشر ، ١٩٧٦ ، ص ٣١ . وانظر د. ابراهيم حلمى . الدكتور عبد الحميد يونس والاساطير نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢٦ ، ١٩٨٩ ، ص ٥١ .

من الحقيقة الاجتماعية التى يتعايشها الناس ويتفاعلون معا ، ويعبرون عن انفسهم طبقا للتكوينات الرمزية • وبمعنى آخر فان الافعال الثقافية Cultural Acts ، والبناء ، والفهم والادراك ، واستخدام الصيغ الرمزية تعتبر كلها وقائع اجتماعيـة Social Events ، ويمكـن ملاحظتها ، كما نلاحظ النظم الاجتماعية الاخرى •

ولاتضع الاسطورة فى اعتبارها المكان والزمان ، بل هى تنتقل فى يسر عبر المكان والزمان معا • والمكان فيها لايدخل الى عـالم الحقيقة ذات الارتباط التاريخى وذات السمات البيئية •

والبطل الاسطورى بطل متحرر من القيد البشرى ، يمكنـه أن يخوض احداثا تدور بشكل منتظم مئات السنين بكل قوته وفنونه وقدراته• وهو ليس انسانا معينا بالذات يعيش وسط صراع حددته ظروف بعينها، وانما هو رمز أخرجته الجماعة ليخوض بدلا منها المعار ك التى تعجـز هى عن أن تخوضها ، وليحقق لها من الانتصارات على القوى الخارقة مايحدث التكامل والتنفيس عند الجماعة كلها •

وتتشعب الاساطير الى شعبتين : الشعبة الاولى جعلـت الشمس المحور الاكبر للاساطير • والشعبة الثانية جعلت الظواهر الجوية هـى التى حفزت الانسان البدائى الى محـاولة تفسيرهـا • ويرى الآخذون بالاتجاه الاول ، ومنهم ماكس موللر ، أن آلهة الشمس وجدت فى كل بيئة ، وانها محور الاسطورة والتراث الشعبى •

اما الشعبة الثانية ، فقد سجلت وجود ظاهرتى الرعد والبرق فى كل الاساطير • ويذهب انصار هذه الشعبة الى أن السحب الكثيفـة السوداء التى تنذر بالبرق والرعد تحجب النور الى أن يحل البطـل ويقوم بتبديدها ([1]) •

---

١ ـ انظر د• عبد الحميد يونس الاسطورة والفن الشعبى ، ص ص ٣٧ ـ ٣٨ •

كما تتشعب الاساطير الى الاسطورة الكونيــة واسطورة الاخيــار والاشرار • وللمقارنة بينهما نذكر ان النوع الاول اكثر قدما من النــوع الثانى ، ذلك أن النوع الاول الاول ينتمى الى مرحلة أولى من التفكير الشعبى حينما كان الانسان يهدف الى أن يكون بنفســه ولنفسه تفسيرا محددا وفلسفة محددة لظواهر الكون المختلفة •

اما النوع الثانى ، فهو ينتمى الى مرحلة متطورة من التفكــير الشعبى وصل فيها الانسان الى اعتناق دين من الاديــان السماوية ، ولم يعد يتساءل حينئذ عن الظواهر الكونية ومصدرها ، لان الدين السماوى الذى اعتنقه قد اراحه من هذا التساؤل • ولكــن هـــذا الدين شــغل اللاشعور الجمعى من ناحية اخرى تفكير من نوع آخر ، اعنى بفكرة الخير والشر •

وليس معنى هذا ان الاديان السماوية قد استحدثت هذا التفكير ، فلقد شغل الانسان بالخير والشر منذ القدم • والاسطورة الكونية نفسهــا هى قصة صراع بين الخير والشر ووجهة نظر الانسان البدائى • والخير هنا يتمثل فيما يعود على الانسان من الظواهر الكونية بالنفع ، مثــل المطر وشروق الشمس ، ومقدم الربيع الى غير ذلك ، كما أن الشر يتمثل فى تلك الظواهر الكونية التى تحجب عنه هــذا الخير مثــل الجدب والظلام ومقدم الشتاء ••• الخ • كما ان الحكاية الخرافية ـ وهى قديمة قدم الاسطورة الكونية فيما يرى البعض ـ تحكى دائمــا عن انتصار الانسان الخير على الانسان الشرير •

وفى هذا تتفق الحكاية الخرافية مع اسطورة الاخيار والاشرار من حيث انها تبحث عن الخير والشر فى الانسان ذاته • ولكنه فى حين نجــد الانسان الخير فى الحكاية الخرافية لايصلح أن يكون نموذجا يحتــدى به بأى حال من الاحوال لانه بطل خرافى من ناحية ، ولان جــزاءة مقدر له قبل أن يقوم بمغامراته • من ناحية اخرى نجــد الانســـان الخير فى أسطورة الاخيار انسان واقعى ، وهو يتميز عن غيره من الناس

بافعاله التى تتسم بالفضيلة والبطولة فى آن واحد . ومن شأن الاسطورة فى هذه الحال أن تجد الخير بحيث يصبح نموذجا يحتذى به [1] .

ومن الاساطير اسطورة أوزيريس ، وهى أسطورة مصرية قديمة الذى يهمنا منها هو الجزء الاخير الخاص بقتل حورس لعمه ست ووفقا لنصوص الاهرام تجرى الاسطورة كما يلى : قتل الملك أوزيريس بيد اخيه ست ، وعمدت ايزيس ونفيتس أختا أوزيريس الى البحث عن الجسد حيث وجدتاه ، وأعادت ايزيس أوزيريس الى الحياة مؤقتا حتى يولدها طفلا ، ثم كان أن ولدت حورس وأرضعته ، واستطاع أن يتغلب على حورس وهو طفل على ثعبان ضخم ، ثم بلغ مرحلة الرجولة عن طريق شعيرة تركزت على رباط حزامه أدتها ايزيس ثم خرج ليرى اباه ، فوجده بطبيعة الحال .

وعندما كبر الابن «حورس» حاول أن يسترد عرش والده من عمه ، ووقف حورس بسفينة فى عرض النهر مستعدا للنزال ممسكا حربة طويلة سددها الى عمه ست ، وبعد قليل هاج النهر وارتفعت الامواج ، وأخذت سفينة حورس تهتز وتتمايل ، فقد تقمص ست جسد فرس ضخم من افراس النهر ، واخذ يصدم السفينة بشدة ليغرقها واستطاع حورس أن يعاجله بضربة قاضية أخترقت رأسه فمات ، اقام حورس دولة موحدة واطلق عليه .. البطل المنتقم لابيه .

وتبدو أسطورة أوزيريس منتمية الى العالم الالهى . وتشمل عبارة العالم الالهى ، كل مالا يمكن تفسيره بالعقل البشرى والادراك الحسى . ومن الطبيعى أن كل الكائنات التى يمكن ادراكها وشرحها مباشرة فى زماننا كالسماء والشمس وقد كانت تنتمى الى العالم الالهى فى عقل المصريين القدماء .

---

١ - د. نبيلة ابراهيم . اشكال التعبير فى الادب الشعبى ص ص - ٧ ٧- ٨٨ .

فالاله قد انجب جب ونوت والسماء والارض ورفع نوت عن جب. ففصل السماء عن الارض ، ثم قام نزاع على المملكة فى مصر بين ابناء جب وابناء نوت ، فقتل ست الملك اوزيريس ، واخذ عرشه حتى شب حورس ابن اوزيريس وايزيس وحارب عمه ست ، ثم اعلن من قبل مملكة هليوبوليس انه ملك مصر الحق ووريث اوزيريس (١) .

واهتم المصريون القدماء بالرحلة الى بلاد الجنوب . وهذه الرحلات والمغامرات المتتابعة فوق امواج البحر الاحمر . وما يلاقيه البحارة المصريون فى ذلك من مصاعب ومتاعب واهوال واحداث كانت مادة سخية للكثير من القصص والاساطير التى راجت بين الشعب المصرى القديم . واخذت البيئات الشعبية تتداولها جيل بعد جيل .

ومن هذه القصص قصة « الملاح الغريق » وهو ملاح ماهر شجاع خرج يقود سفينة طولها ٢٢٥ قدم وعرضها ٦٠ قدم . وبها ١٥٠ ملاحا من الاقوياء الاشداء ، ووجهت الرحلة الى بلاد الجنوب لاحضار البخور والعطور والمر واللبان والابنوس . ولكن عاصفة عاتية حطمت السفينة ، وغرق الملاحون جميعا ، وتعلق هو بقطعة من الخشب ، وظل يقاوم الامواج والاهوال حتى رسا على جزيرة .

ولما خرج اليها وجدها غنية بالفواكة والحبوب والطيور ، فاكل وارتوى ، ثم اوقد نارا شكرا للالهة فلم تلبث الجزيرة ان ارتجت رجة عنيفة . ودوى فى الفضاء صوت كالرعد ، واذا بثعبان ضخم طوله ٥٠ قدم يقف امامه منتصبا ويساله : من اين اتيت ايها الشىء الصغير ؟

وقف الملاح يقص عليه قصته فى اطمئنان ، فاشفق عليه الثعبان ، وحمله فى فمه الى داره ، واغدق عليه من الخيرات واخبره ان يعيش فى الجزيرة مع اسرته التى تتكون من ٧٥ ثعبانا . وقال له : ستكون

---

١ — د. فاروق احمد مصطفى . الموالد — دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر . الطبعة الثالثة ، ص ص ١٣٣ — ١٣٥ .

أمنا • وسوف يفرح بك أولادى وزوجتى وتعيش بيننا سعيدا وبعد أربعة شهور ستمر من هنا سفينة مصرية فتحملك الى وطنك •

و فى الموعد المحدد مرت السفينة المصرية فعلا وحملت البحار الى وطنه وقد زوده الثعبان بالهدايا الغالية • وحاول الملاح ان يشكر الثعبان على أريحته الكريمة • وقال له : سأخبر فرعون بما صنعت معى • وسأعود اليك محملا بالهدايا العظيمة من مصر • فقال له الثعبان : لاتفعل فانك اذا عدت فلن تجد هذه الجزيرة الا لجة ماء •

هذه القصة هى فى الواقع نموذج من القصص الذى راج فى البيئة الشعبية المصرية القديمة عن مغامرات التجار والملاحين فى الرحلة الى بلاد الجنوب • وهذه القصة تمكنك من مقابلة بينها وبين قصص السندباد البحرى ، وقصص البحارة والتجار التى يزخر بها كتاب ألف ليلة وليلة •• وهذا يدل على أن القصص الشعبى القديم لم تطو الايام صفحته ووقائعة بانتهاء عهده ، ولكنه ظل عالقا بنفوس الجماهير الشعبية ، وظلت وقائعة شائعة بين تلك الجماهير على مدى الايام (١) •

وملخص ملحمة الالياذه أن الملك «أغاممنون» ملك بلاد الاغريق قام هو وأخوة «مينلاوس» ملك اسبرطه لمحاربة « بريام » ملك طرواده ، لان «باريس» أحد ابناء « بريام » اغتصب « هيلين » زوجة « مينلاوس » ، وهرب بها ، وظل الجيش الاغريقى والجيش الاسبرطى يحاصران طرواده ، تسع سنوات دون الوصول الى نتيجة حاسمة ، على الرغم من نجاح الجيشين فى الاستيلاء على عدد من بلاد طرواده بزعامة « أشيل » قائد الجيش الاغريقى •

وكان السبب فى عدم احراز اشيل للنصر النهائى ذلك الخلاف الذى

---

١ — محمد فهمى عبد اللطيف • اليمن فى قصصنا الشعبى نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد الاول يناير ١٩٦٥ ، ص ص ٤١ — ٤٢ •

شب بين اغاممنون واشيل ، ذلك ان اغاممنون كان قد غنم مكافأة له على نصره الاول فتاة تدعى « جيريسايز » ورفض أن يسلمها لابيها، كاهن الاله ابوللو ، عندما جاء اليه يستجديه فى أن يطلق سراح ابنته فى مقابل أن يدفع دية . عند ذلك تضرع الكاهن الى الالة أبوللو ان ينتقم من أغاممنون ، واستجاب أبوللو لتضرعه ونشر الوباء فى الجيش الاغريقى .

ولما تمرد الجيش الاغريقى لعصيان اغاممنون للالة ابوللو اطلق سراح الابنه ، وبهذا سكن غضب الاله ، وانحسر الوباء عن الجيش ولكن اغاممنون اراد ان يعوض هذه الخسارة بأن استولى عنوة على غنيمة صديقه أشيل وهى الفتاة « بريزأيس » . عند ذلك توقف اشيل عن القتال وسحب الجيش من المعركة ، واغتنم الجيش الطروادى هذه الفرصة وهجم وهكيتور قائدهم على حصون جيش اشيل واحرق السفن الاغريقية .

وعز على أشيل ان يقف الجيش الاغريقى عاجزا على هذا النحو أمام الجيش الطروادى ولكنه فى الوقت نفسه كان مايزال غاضبا كل الغضب من اغاممنون ورافضا فى اصرار أن يشترك فى المعركة ، ولهذا فقد طلب من صديقة «باتروكلوس» أن يقود قوة من الجيش وينقذ الاغريق المحاصرين . ونجح «باتروكلوس » فى مهمته . ولكنه قتل على يد « هيكتور » ، فلما وصل نبأ قتله الى اشيل هب كالاسد الغاضب دون ان يفكر فى غضبه من اغاممنون . وقاد الجيش وحسم الحركة وقتل هكيتور ، ولم يكتف بذلك ، بل انه أخذ يمثل بجثته ، ولكن نبله

غلبه . فسلم جثه هيكتور الى أبيه عندما ابصره أمامه طالبا جثة ابنه. وتنتهى الملحمة من اجل اقامة شعائر دفن هيكتور ([1]) .

وتروى اساطير قدماء اليونان أن البشرية قد استطاعت ممتنه والفضل يرجع لبروميثيوس فى استخدام هذا العنصر الحيوى فى حياتها النار — الذى وهبها الدفء ومكنها من كل تقدم تحققه البشرية حتى اليوم .

والاسطورة اليونانية تقدم بروميثيوس بالاحرى كواهب للنار بالضبط ، كما يمكن أن تعنى هذه الكلمة ، بل كمنقذ للبشرية من قرار جائر لحقها من جانب حاكم أوليمبيا « زيوس » . حدث ذلك عقب جلوسه على عرش كبير الالهة ، بعد نجاح تمرده ضد والده وازاحته عن العرش والقائه فى اعماق البحار . وهكذا اصبح له الحق فى اسمى آيات الاحترام والامتيازات فى كل شىء وفى كل مكان .

ولهذا تفجر غاضبا حينما اكتشف سرقة أحد زملائه الالهة لوجبته المفضلة من اللحم المقدد ، ورغم انها كانت دعاية ، اعتبرها كبير الالهة « زيوس » قلة أدب ونقص فى الانضباط الالهى . بل كانت عارا يجب أن لايمر دون قصاص .

« ان أحدا مايجب أن يعاقب » صرخ زيوس مرعدا ، حينما اكتشف فى صحنه عظمة تغطيها شحمة بدلا من شريحة اللحم المحبوبة . وفعلا كان هم من وقع عليهم شر غضب هذا الاله . فقد فكر طويلا فى أسلوب الانتقام ، ويضع أمام الجميع نموذجا رادعا من العقاب ، يعود أى كان الى السخرية منه . لكنه كحاكم جديد ، تردد فى توجيه ضربة قاضية ضد مدبرى المقلب ، لانهم على أية حال

———

١ — د. نبيلة ابراهيم سالم البطولة فى القصص الشعبى ص ص ٢١ — ٢٢ .

كانوا آلهة مثله ... ولو بدرجة او درجتين اقل منه . فلا يستبعد أن يثيرهم ويؤلبهم ضده اذا ما اتخذ اجراءات قمعية شديدة .

كان ذلك هو الوحى لقرار زيوس ، فقد انتقم من البشر بحرمانهم من النار ، فاختفت النار فى المخيمات ، واختفى معها البخار وانكفت وانزوت آنية الطبخ ، وادوات الطعام ... وكان من الممكن جدا أن ينتهى كل شىء عند هذا الحد ، لولا ان تململ ضمير بروميثيوس ، وهو الذى كان الاب الروحى والمنفذ الاول للمقلب الالهى الساخر . فقد قال محدثا نفسه ، ان ليس عدلا تعذيب الابرياء من جراء لحظات تسلية عاشها هو هذا الشعور دفعه الى سرقة بضع جمرات من عربة النار التى يستخدمها الآلة هيليوس ، حمل الجمر الى البشر . وبذلك سهل لزيوس تحقيق رغبة الانتقام . ونفذ المنتقم مآربه بكل حزم . فقد امر زيوس بتقييد المذنب الى صخرة القفقاز وسط أرض موحشة وعرة (١) .

وكثيرا ما تتردد فى تراث الاغريق الاسطورى حكايات شبيهة بحكاية شمشون ودليله . فقد حكى أن « نيسوس » ملك « ميجارا » كانت له شعره ذات لون ذهبى أو أورجوانى وسط راسه. وقد كان هذا الملك معرضا للموت اذا ما انتزعت هذه الشعرة من رأسه ، فلما هاجم « الكريتيون » « ميجارا » وانتصروا عليه ، وقعت ابنة « ميجارا » فى حب « ميتوس » ملك الكرتيين . ولم تتورع الابنه عند ذاك من انتزاع هذه الشعرة من راس ابيها الذى توفى فى الحال .

ووفقا لرواية أخرى انه لم تكن تستقر فى هذه الشعره روح « ميجارا » ، بل قوته . فلما انتزعت هذه الشعرة من راسه وهن العظم منه ، وبذلك تمكن « نيسوس » من قتله . وهذه الرواية الاخيرة اقرب لقصة « شمشون ودليله » من الرواية الاولى .

---

١ — فولكو كويبليلى . النار ... منذ برو ميثيوس نقلا عن مجلة التراث الشعبى ، العدد السابع ، ، ١٩٧٧ ، ص ص ٦٥ — ٦٦ .

وقد قيل ان «بوزايدون» قد اكسب «بيتر يلاوس» الخلود بأن منحه شعره ذهبية فوق رأسه • ولكن عندما استولى « أمفيتيو » على « تاقوس » موطن « بيتر لاوس » ووقعت ابنة الاخير فى حب « امفتيريو » ، انتزعت الشعره التى كانت تستقر فيها روح ابيها ، وبذلك قضى أبوها نحبه •

وتحكى حكاية شعبية اغريقية عن رجل كانت تكمن قوته فى ثلاث شعرات ذهبية فى رأسه • فلما انتزعت امه هذه الشعرات من رأسه ، انتابه الوهن والجبن ، ثم قتل بيد اعدائه من بعد وهناك حكاية اغريقية أخرى تحتوى على اثر من حكاية « نيسوس » ، « سيسلا » ، وتحكى ان ملكا كان بعد اقوى رجال عصره ، وكانت له ثلاث سنوات فى صدره تكمن فيها قوته • فلما خرج لمحاربة ملك آخر ، كانت زوجته المخادعة قد انتزعت هذه الشعرات من صدره ، وبذلك أصبح اضعف الرجال فى هذه الحرب • وتشهد حكاية خداع دليلة الغادرة لعشيقها شمشون ، عندما كشفت لاعدائه عن سر قوته (١) •

وتحكى قبيلة « بهيل » ، وهى قبيلة متوحشة تسكن احراش « الهند الوسطى » انه كان فى سالف الزمن رجل ورع « ذوبى » اعتاد ان يغسل ملابسه فى النهر • فحذرته سمكة من قرب حدوث طوفان كبير ، وأخبرته بأنها جاءته لتحذره من هذا الطوفان وتحثه على أن يضع تابوتا كبيرا يهرب فيه من الطوفان ، جزاء له على سلوكه الانسانى فى اطعام السمك على الدوام ، فصنع الرجل الورع التابوت ، بناء على ذلك ، ودخل فيه هو واخته ومعهما ديك •

---

١ — جيمس فريزر • الفولكلور فى العهد القديم (التوراه) الطبعة الثانية سنة ١٩٨٢ ص ص ٥٥٠ — ٥٥١ •

وبعد أن انتهى الطوفان ، ارسل الاله « راما » رسوله ليستطلع شئون الناس . وسمع الرسول صياح الديك ، وبذلك اكتشف الصندوق فامر باحضاره وسال الرجل عمن هو وعن كيفية هروبه على هذا النحو . فقص عليه الرجل الورع قصته . فادار « راما » وجهه الى الشمال والى الشرق والى الغرب ،واقسم على ان المراة التى معه هى اخت الرجل بحق . فأجاب الرجل انها بحق اخته . فادار « راما » وجهه مرة أخرى الى الجنوب . فاذا بالرجل يناقض نفسه ويقول ان المراة زوجته . وعند ذاك ساله راما عمن دله على الهروب . ولما علم منه انها السمكة ، امر توا بان يقطع لسانها ايلاما لها ، وبذلك اصبح هذا النوع من السمك بدون لسان حتى اليوم . وبعد ان نفذ راما حكمه على السمكة لافشائها السر ، امر الرجل بأن يعمر الارض الخراب.

وبناء على ذلك تزوج الرجل اخته وانجب منها سبعة بنين وسبع بنات ومنح «راما» الابن الاول حصانا هدية . ولكنه لم يستطع ركوبه، تركه فى السهول وذهب ليقطع الخشب من الغابة ، وبذلك اصبح حطابا كما صار نسله «البهيليون» يقطعون الخشب من الغابات حتى اليوم (١)

وهناك اسطورة اخرى لقبيلة « تيلينجيت » تروى بطريقة اخرى كيف أن الغربان تسببت فى حدوث الطوفان الكبير . فلقد وضع هذا الغراب امراة تحت الارض لكى تراقب مد البحر وجزره . وذات يوم شاء الغراب ان يعرف كل شىء يجرى تحت البحر فطلب من المراة ان ترفع المحيط حتى يمكنه أن يسير تحت المحيط دون أن تبتل قدماه ، ولكنه نصحها فى حذر ان ترفعه ببطء حتى يكون لدى الناس متسع من الوقت ، اذا ما حل بهم الطوفان ، ان يحملوا فى مراكبهم المؤن اللازمة لهم ، وأن يصعدوا الى ظهرها .

وبعد ذلك اخذت مياه المحيط ترتفع تدريجيا ، حاملة الناس فى مراكبهم على سطحها . وبينما كانوا يرتفعون

---

١ — جيمس فريزر . الفولكلور فى العهد القديم ص ص ١٣٦ — ١٣٧ .

تدريجيا فوق سطح الماء ، كانوا يبصرون الدببة وسائر الوحوش تتجول على قمم الجبال التى لم يكن الطوفان قد اغرقهم بعد • وأخذ يسبح الكثير من الدببة من حول المراكب حتى تقفز اليها لانها كانت ترغب فى الحياة على البر • ولكن الناس الذين كانوا من بعد النظر بحيث اصطحبوا معهم كلابهم ، سعدوا بتصرفهم هذا ، لان الكلاب حالت دون صعود الدببة الى ظهر المراكب • وقد رسا بعض الناس على قمم الجبال وشيدوا من حولهم سورا ليحجز عنهم المياه ، وذلك بعد ان ربطوا مراكبهم داخل السور • على أن الناس لم يكونوا قد تمكنوا من أن يأخذوا معهم كمية وافرة من خشب الوقود لان مراكبهم لم تتسع لذلك •

ولقد مر الناس بوقت عصيب خطير فوق قمم الجبال ، اذ كانوا يبصرون الاشجار وهى تقتلع من جذورها وتنجرف مع التيار ، كما كانوا يبصرون شيطان البحر وسائر المخلوقات الغريبة وهى تطفو على صفحة الماء • وعندما انحسرت المياه ، اقتفى الناس أثر الجزر وهو يتراجع عن جوانب الجبال • ولما لم يجدوا أثرا للاشجار ، وكان وقودهم قد نفذ فى الوقت نفسه ، فقد هلكوا من البرد •

وعندما عاد الغراب من تحت الماء ،ابصر السمك جافا مطروحا على الجبال وفى الشقوق ،فقال له:«قف حيث أنت وتحول الى حجر» • فتحول السمك الجاف الى حجر • فلما أبصر الناس وهم هابطون من فوق قمم الجبال ، صاح بهم فى نفس اللهجة قائلا : « لتحولوا الى أحجار حيثما كنتم » ، فتحول الناس فى الحال الى أحجار كذلك •

ثم عاد وخلقهم مرة أخرى من أوراق الشجر.ولما عرف الناس فيما بعد أنهم قد خلقوا من أوراق الشجر ،ادركوا أن الغراب لابد أنه كان قد حول من نجا من الطوفان من الجنس البشرى الى أحجار • وهذا هو السبب فى أن كثيرا من الناس حتى يومنا هذا يموتون فى فصل الخريف مع تساقط الاوراق •ويقول الاهالى انهم يموتون كما تبذبل الاوراق وتتساقط•

وهناك حكاية أخرى تحكى عن الطوفان الذى أنتاب العالم ،

تروى عن قبيلة «تيلينجيت» أو «كولوش» كما تعود الروس أن يسموها وقد نجا الناس فى هذه الحكاية فى فلك عائم كبير رسا بعد أن انخفضت المياه - على صخرة ، ثم انشطر الى شطرين • وهذا هو السبب من وجهة نظرهم ، فى أختلاف لغات الناس ، ذلك أن قبيلة «تيلينجيت» التى ركبت الفلك ، تمثل نصف سكان العالم ، فى حين أن من بقى من الناس على سطح الارض يمثلون النصف الاخر • وربما كانت هذه الاسطورة الاخيرة تعتمد على أصل مسيحى ، حيث انها تمثل نوعا من الخلط بين حكاية نوح وحكاية برج بابل •

ويحكى الهنود « الهايدا » الذين يسكنون جزر «كوين شارلوت» أنه « قد حدث فى سالف الزمان طوفان مهول غرق فيه الناس والحيوانات جميعا ، ولم ينج منه سوى غراب واحد • على ان هذا الغراب لم يكن طائرا عاديا تماما ، وانما كان يمتلك الى حد كبير - شانه شان كل الحيوانات فى الحكايات الهنديـة القديمة - خصالا انسانية • فقد كان فى وسعه ، على سبيل المثال ، أن يرتدى رداءه الريشى وأن يخلعه ، كما يرتدى الانسان ملابسه ويخلعها • بل أنه ولد وفقا لرواية من روايات هذه الحكاية ، من امراة لم يكن لها زوج ، وأن هذه المراة صنعت له الاقواس والسهام التى كان يقتل بها الطيور عندما كبر ، وكانت تخيط له من جلود هذه الطيور رداء أو غطاء •• وكانت تتألف هذه الطيور التى كان يقتلها الغراب بسهامه ، من الطائر الثلجى الصغير ذى العنق والرأس الاسودين ، ومن الطائر الثلجى الكبير ذى اللون الاسود والاحمر ، ومن طائر النقار المكسيكى وقد كان اسم هذا الغراب هو « نى - كيل - ستلاس » •

وبعد أن انحسر الطوفان ،نظر«نى - كيل ستلاس» من حوله،ولكنه لم يجد زوجة أو رفيقا ، ومن ثم أصبح يشعر بالوحدة •فأخذ حيوانا من الحيوانات الرخوة Cardium Nuttalli من شاطىء البحر وتزوجه وأخذ يفقس على الدوام وهو مازال يفكر جديا فى أن يكون له رفيق • ثم سمع فى النهاية صراخا خافتا للغاية شبيها بصراخ الطفل الوليد • وأخذ

الصوت يعلو شيئا فشيئا ، وفى النهاية بزغت طفلة أخذت تكبر تدريجيا فيما بعد ، ثم تزوجها الغراب . ومن هذا التزاوج تناسل الهنود الذين عمروا الارض من بعد » .

ويحكى هنود طومسون الذين يسكنون «كولومبيا البريطانية» ، أنه قد حدث طوفان ذات مرة ، وغمر بلادهم جميعا فيما عدا قمم بعض الجبال العالية . ويظن هؤلاء الهنود ، وان كانوا غير واثقين من ظنهم هذا ، أن هذا الطوفان تسبب عن ثلاثة اخوة يدعون « كواكلكال » . وقد كان هؤلاء يتجولون فى البلاد ليقدموا معجزاتهم ويحولوا الاشياء الى اشكال اخرى ، حتى تحولوا هم فى النهاية الى أحجار .

ومهما كان من أمر هؤلاء الاخوة ،فان الطوفان اغرق الناس جميعا عدا ذئبا وثلاثة رجال . أما الذئب فقد انقذ لانه حول نفسه الى قطعةمن الخشب طفت فوق الماء ، وأما الرجال الثلاثة فقد نجوا لانهم استقلوا مركبا جرفه التيار حتى رسا بهم عند جبال « نزوكسكى » ، وهناك تحولوا ومركبهم فيما بعد الى أحجار . ويمكنك أن تراهم هناك على هذا النحو فى هيئة أحجار حتى اليوم . واما الذئب فقد ظل مطروحا على الشاطىء بعد ان انحسر الطوفان ، وهو على هيئة قطعة الخشب التى استطاع أن يحول نفسه اليها بمهارة فى وقت الشدة . ثم عاد واسترد شكله الاصلى واخذ ينظر فيما حوله ، فرأى انه فى بلد نهر طومسون . وعند ذاك اتخذ من الاشجار زوجات له ، ومن هذا الزواج تناسل الهنود الذين يعيشون اليوم . ولم يكن هناك ، قبل ان يحدث الطوفان ، بحيرات أو انهار بين الجبال ، ومن ثم لم يكن هناك سمك . أما بعد الطوفان فقد امتلأت الكهوف بالمياه وأخذت تتدفق منها المجارى المائية الى البحر . وهذا هو السبب فى أننا نجد الآن بحيرات فى الجبال . وسمكا فى هذه البحيرات .

ويبدو أن حكاية «طومسون ريفر» قد اخترعت لتفسر سبب وجود البحيرات فى الجبال . وقد عزا الفيلسوف البدائى وجودها الى الطوفان

الكبير الذى خلف وراءه مياها فى تجاويف الجبال تماما كما يترك جزر البحر وراءه أحواضا من المياه فى تجاويف الصخور التى تقع على شاطىء البحر ٠

ويبدو أن أساطير الطوفان الكبير كانت منتشرة بين القبائل الهندية التى كانت تسكن فى « ولاية واشنطون » ٠ فقد حكت قبيلة «توانا » التى كانت تسكن « بوجيت ساوند » ا نالناس أصبحوا آثمين فى عصر من العصور ٠ وعقابا لهم على اثمهم انتاب الارض طوفان اغرق الارض جميعها عدا جبلا واحدا ٠ فهرب الناس فى قواربهم الى اعلى جبل فى بلدهم ، أى الى قمة سلسلة جبال « أولمبيك » ٠ فلما غمرت المياه هذه الجبال ، ربط الناس قواربهم بحبال متينة فى أعلى شجرة ٠ ولكن المياه اخذت فى الارتفاع حتى غمرت الاشجار ٠ فتحطمت بعض المراكب وجرفها التيار جهة الغرب حيث تعيش اليوم سلالات الذين انقذوا ذات يوم من الطوفان ٠ وهم قبيلة تتحدث لغة شبيهة بلغة قبيلة « توانا » ٠ وهذا هو السبب ، كما يدعى الاهالى ، فى أن افراد هذه القبيلة قلائل ٠ وهم يطلقون على هذا الجبل اسما ، معناه « المربط » ، لانهم ربطوا قواربهم عنده آنذاك ٠ وبالمثل يحكى الاهالى عن حمامة أطلقت لتستكشف أحوال الغرقى (١) ٠

اما قصص وحكايات الخوارق Legends ، فهى تعنى فى الاصل شيئا يتلى فى الصلوات الدينية ، أو فى وقت تناول الطعام ، أو فى العبادة وعادة ما تتعلق بحياة القديسين والشهداء ٠

والخارقة حكاية ذات شكل تاريخى يفترض انها تعتمد على الحقيقة ، ولكن اعتراها الخلط والغموض نتيجة للاضافات المتأخرة قيلت حول شخص أو مكان أو حادثة ٠ وهى تحمل اشياء غريبة تتناول احداثا خارقة للعادة من اثر هذه الاضافات ، غير اننا نجد فيها بصفة أساسية نواة الحقيقة مهما اعتراها من تشوية ٠

---

١ - نفس المرجع ٠ ص ص ١٩٤ - ١٩٧ ٠

ومهما يكن من أمر فان الحدود بين الاساطير وقصص الخوارق غير واضحة وغير محدودة •

حكـايات الجـــان :

وهى نمط من انماط الحكاية الشعبية توضع فى شكل قصة نثرية طويلة نوعا ما ، تتضمن عددا كبيرا من الجزئيات أو الاحداث ،وتغلب عليها صفة الخوارق ، وتقوم بالاحداث فيها شخصيات خارقة أيضا • وتغلب على الحكاية الشعبية صفة الجدية ، رغم أنها لاتخلو من فكاهة•

وتدور أحداثها دائما فى بلاد بعيدة ، بعيدة جدا يخرجها هـذا البعد السحيق فى تصور الناس عن عالم الواقع وفيها تقع أحداث خارقـة لايحدها نوع • وأبطال حكايات الجان شخصيات لا أسماء لها : انهـا نماذج كالملك والملكة والوزير والرجل العجوز وامنا العجوزه وهكذا • وقد يطلق على الابطال أسماء تتسم بالتعميم مثل الشاطر حسن والشاطر محمد و ••••• •

وتزخـر حكايـات الجـان بعبارات مألوفـة ومحـاور عـاديـة تستعمل فى حكايات أخرى حتى تصبح جزءا من أسلوب القصاص • وهناك اختلاف بين الحكايات الشعبية فهى تسرد فى اقليم باسـلوب يختلف عنه فى اقليم آخر حتى ولو كانت الشخصيات والمحاور واحـدة وان كانت هذه الخلافات لاتكاد تلحظ بالقيـاس الى طريقـة السرد وأسلوبه فى كل مكان من العالم ومن العسير أن يتتبع الباحثون أسباب هذه الاختلافات الاسلوبية وأن كان بعضهم يردها الى القصص المصرى فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد • وأثبتت الدراسـات المقارنـة ان الخصائص الاسلوبية ليست بذات بال ولا علاقة لها بالبناء الحقيقـى لحكاية الجان •

ولميعد العلماء يشقون انفسهم ـ كما كانوا الى عهـد قريب ـ بالبحث عن الاصول البعيدة لهذه الحكايات •

وحكايات الجان تتسم بالسذاجة وعدم الصقل ، وان استعملـت

فى الصياغة عبارات مسجوعة مشهورة تصلح لكل شخصية مشابهة او موقف مشابه والبطل فيها لايقوم بالحدث الخارق بنفسه وانما يعتمد على شخصية خارقة يكسب ودها بجميل يصنعه لها أو فضيلة تفتنها أو كلام يخلبها . وهى متعددة المصادر تتكرر فيها المحاور وتنزع فى كثير من الاحيان الى غاية وعظية أو تعليمية ، ومن هنا استقرت فى سفح الكيان الاجتماعى واتخذت وسيلة من وسائل التسلية والترفيه كما اتخذت اداة لاثارة انتباه الطفولة . ويستطيع الناقد أن يلاحظ قلة عدد الشخصيات فى حكايات الجان بخاصة ، وهى لاتكاد تتجاوز البطل او البطلة والمنقذ الخارق والشخصية الشريرة ويغلب عليها الانفعال الحاد فى الموقف وضروب الصراع ولكنها تنتهى بخاتمة سعيدة دائما بفضل الشخصية الخارقة من عالم الجان .

والجان أو «الفيرى» كائن خارق غير منظور فى العادة وهو اما خير ومعين ، واما شرير خبيث واما شقى ساخر ، ويعيش على الارض، وبينه وبين الانسان اكثر من سبب . وهذه الكائنات يعتقد الناس بوجودها فى العالم القديم : آسيا وافريقيا واوربا ، وفى العالم الجديد: فى الامريكتين ويبدو أن الاعتقاد بوجودها ثمرة ثقافية لها حظ من الرقى .

ولهذا الكائن الخصائص نفسها فى كل مكان من العالم فهو قادر على التشكل وعلى الاستخفاء وقد يكون ماردا يطاول الجبال وقد يكون قزما يصغر عن الاطفال وهو يعيش فى العادة تحت الارض او عند سفح جبل أو تل او بين كومة من الصخور ويتخذ اللون الاخضر لزيه فى الغالب الاعم ويظهر ببشرة خضراء أو شعر أخضر احيانا ويقترن اللون الابيض بهذه الكائنات ايضا ويتزين الجان المنعزل أو المتوحد بكساء بنى أو اغبر اللون .

ومن الجان نوع قلما يؤذى الناس وهم اذا خطفوا الاطفال فانهم لايمسونهم بأذى واذا اسيئت معاملتهم فانهم يغضبون ويتلفون الزروع ويحرقون الدور ويميلون بطبعهم الى المرح والمداعبة ويحلبون البقر

ويعدون الطعام . ومنهم فئة تعطف على الفقير فتحمل له الطعام وتملأ كيسه بالدراهم وتعطى اللعب والهدايا للاطفال وتفسد السحر الضار وتقضى على ما دبر الساحر .

ولحكايات الجان مكانها الممتاز من الابداع الشعبى العربى والاسلامى ، ذلك لان التصور الشعبى لايتناقض مع العقيدة . ولقد شغلت اجيال من الباحثين نفسها بدراسة المراحل التى يمكن أن تكون قد سبقت هذا النمط من الخيال الشعبى . وظهرت فى ذلك عدة نظريات أهمها ان هذه الكائنات عبارة عن خيال شعبى لفلول قوم ، بعد أن غزاهم قوم آخرون ، ذلك لان بقايا من المشهورين تعتصم فى الجبال والكهوف وتعمل على مقاومة الغزاة واضطهادهم وتضطرهم هذه الظروف الى الاستخفاء والعمل بالليل والمغامرة وتتراكم حول وقائعهم القصص والاخيلة والمبالغات .

وثمة نظرية تذهب الى أن تلك الكائنات كانت فى اصلها آلهة أو ابطالا انزلت عن مكانها لتخلى الطريق الى آلهة وأبطال آخرين . وهناك نظرية ثالثة تقول ان الجنيات انما كانت تجسيدا للارواح البدائية وراء الكائنات والظواهر الطبيعية فقد كان الانسان البدائى يعتقد أن كل شىء له روح وجسد . وتصبح طبقا لهذه النظرية ، روح الشجرة جنية ، وروح الماء حورية نهر أو بحر وهكذا .

ورجح بعض الدارسين ان هذه الكائنات ربما كانت امتدادا للخيال الشعبى من أرواح الموتى أو الموتى أنفسهم ، ذلك لانها توجد فى باطن الارض عادة ولانها تضطر الى العودة الى مقرها ذاك عند طلوع الفجر. والمخلوق الذى يتناول طعام هذه الكائنات لايستطيع البقاء فى عالم الاحياء كما أن مواطن هذه الكائنات تشبه الى حد بعيد القبور فى بعض الاقاليم مثال ذلك ان على من يريد الذهاب الى بلاد العفاريت أو الجان أو الموتى أن يعبر أحد الانهار .

وهذه النظريات والاراء لا تصلح لتفسير الاصل فى

تصـــورها أو الاعتقـــاد بوجـــودهـــا وحسـبـنا ان نـذكـــر أن الجان ينقسمون الى فئتين : الاولى مؤمنة وخيرة وعاملة على تحقيق الفضائل والمثل • والثانية كافرة وشريرة ومؤذية ولابد من محاربتها • كما أن هذه الكائنات تظهر اما فى جماعات يحكمها نظام وتتشعب الى أقوام واما تظهر منفردة متوحدة تقترن بمكان معين أو دار معينة مثل العفاريت التى تعيش عند العيون والانهار والتلال أو التى تقوم بمهن أو حرف بذاتها كالخياطة وخصف النعال وما الى ذلك بسبيل •

وأرض العفاريت المكتظة بسكانها يحكمها ملك وملكة وان كانـت الملكة هى صاحبة السلطان الاكبر وفى تلك الارض لايتعرض العفاريت للموت أو الشيخوخة أو المرض ولا وجود للدمامة فيها كمـــا ينعـدم الاحساس بالزمن •

ومن المألوف أن يقضى الانسان فى تلك الارض مئات السنين فاذا عاد منها الى عالم البشر تصور أنه انما مكث ليلة واحدة • وكثيرا ما يخرج الجنى ويجوب الارض ويختلط بالناس • والنظام الاجتماعى فى عالم الجان شبيه بما عند الانسان ، والجان يعيش فى قصور خرافيـة مترفة الاثاث موشاة بالذهب والفضة والجواهر ، وتقدم لهم المـآدب الحافلة بأشهى الاطعمة وأطيبها ، وهم يكلفون بالرقص والموسيقى •

واذا كانت أرض الجان تخلو من الموت فانها فيما يبدو لاتخلو من استقبال مواليد جدد ذلك لان هناك حكايات متعددة تروى بحـث الجنيات عن مرضعات من البشر لرعاية أطفالهن او اختطاف قابـلات لرعاية الحوامل من عالم الجن والاشراف على ولادتهن • وهذا العـالم لايعرف غير نوعين من الحيوان هما الحصان والكلب • والخيال الشعبى حافل بمواكب الجن يمتطون صهوات جيادهم الفارهة ذوات السروج الفاخرة والى جانبها تعدو كلابهم •

وأما العفاريت التى تعيش منفردة متوحدة مرتبطة بمكان معين أو دار معينة فانها تتفاوت فى الطبع وفى السلوك جميعا • ومن أشهر

هؤلاء ذلك «العمار» الذى يسكن الدار ، وهو قزم فى العادة ويمد يد العون لربة البيت ويحمى الزوج من خيانة زوجته ويحلب اللبن ويخضه ويعجن ويكنس الارض ويغسل الصحون ويشعل الموقد ، وهو لعوب عابث ولابد من ان يعامل بالحسنى وأن يفرد له نصيب من الطعام . وعلى أهل الدار أن يألفوا طباعه . وتذهب الحكايات أو التصورات الى أنه فى جسم طفل ووجه رجل عجوز بلحية طويلة مرسلة ويرتدى طاقية زاهية اللون .

وثمة عفاريت تقترن بأماكن معينة فالسمندل يعيش فى النار والجنية تسكن البحر . وكثير منها يقترن بالشجر والهواء والصخور . ويعمل البعض الآخر فى خياطة الملابس وخصف النعال والحدادة وسبك المعادن. وتختلف شخصيات العفاريت المنفردة وتتفاوت طبائعها وهى تصور حينا شاعرية مثالية مثل حوريات البحر وحينا واقعية عملية كما فى كثير من الحواديت المنزلية (١) .

وهناك كتاب الليالى المعروف باسم « الف ليلة وليلة » . وتتعدد الاقاويل فى مصدره ، فمنهم من قال (ليس لهذا الكتاب من كاتب). ومن قال (ان واضعه كاتب سورى ، وضعه بلغة مبسطة سهلة متوخيا تعليم اللغة العربية الى الراغبين فيها أكثر من توخى الاقتراب الى أفهام الناس) . ومن قائل (أن واضع الكتاب أكثر من مؤلف واحد) . ومن قائل أن (أصل الكتاب هندى) . ومن قائل (أن الكتاب هندى مطعم بالقصص الفارسية وللعرب فيه بعض الفضل) .

أما ابن النديم فقد كتب بما يشبه التأكيد أن واضع الف ليلة وليلة هو (ابو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى) صاحب كتاب الوزراء . فقد احضر المسامرين من العرب والعجم والروم ، واخذ عنهم احسن ما يعرضون ، واختار ما يحلو بنفسه (٢) .

---

١ - د. عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية ص ص ٤٣ - ٤٩ .

٢ - انظر عبد الغنى الملاح . رحلة حضارية ولمحات تراثية عبر الف ليلة وليلة نقلا عن مجلة التراث الشعبى العدد الثانى ، ١٩٧٧ ، ص ١٢٧ .

واذا القينا نظره على موضوعات قصصها ، فنجد ان جزءا كبيرا
منها تعليميا « جملة حكايات تتضمن عدم الاغترار بالدينار والوثوق
منها تعليميا « جملة حكايات تتضمن عـدم الاغترار بالدنيا والوثوق
مثل « حكاية تتعلق بالطيور » و « حكاية الثعلب مع الذئب وابـن
آدم » ٠ « وحكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع » ٠وهناك قصص
اخرى تتناول الغوامض مثل » قصة « التاجر والعفريت » و « الصياد
مع العفريت » و « حكايات السندباد البحرى السبعة » (١) ٠

وتحكى حكاية « الصياد والعفريت » ان صياد سمك فقير يلقى
بالشبكة فى الماء اربع مرات ، فى المرة الاولى تمسك الشبكة بجثة حمار،
وفى المرة الثانية يجد فيها ـ رملا وطينا ، وفى المرة الثالثة يعثر عـلى
اعشاب وزجاجات مكسورة ٠٠ أما فى المرة الرابعة فتصطاد الشبكة قمما
من النحاس ، وعندما يفتحة تنطلق منه سحابة من الدخان ، تتشـكل
فى صورة عفريت ضخم (جن) يهدد الصياد بالقتل ، ويستطيع هذا
بالخدعة والحيلة ان ينجو بنفسه ، بل انه سأل العفريت ان يريه كيف
كان بداخل القمم الصغير ، وما ان يعود العفريـت الى القمقم حتى
يغلقه عليه ويلقى به فى الماء ٠

وفى ثقافات اخرى ، قد تبدو هذه القصة فى صورة مختلفة ، اذ
يتشكل العفريت على هيئة حيوان اسطورى رهيب يهدد بافتراس البطل
الذى يتضاءل امامه ، ولاينقذه الا الذكاء ، فيتحدى الوحش قائـلا
انه من السهل عليه ان يبدو فى صورة هذا الحيوان الوحش ، لكنـه
لايستطيع ان يتحول الى حيوان صغير ، فأر ـ مثلا ـ أو طائر ، ويحاول
الوحش ان يثبت له قدراته غير المحدودة فيتحول الى ذلك الحيـوان

---

١ ـ أحمد رشدى صالح ٠ فنون الادب الشعبى ـ الجزء الثانى ص ص
٥٢ ـ ٥٣ ٠

الضئيل وعندئذ يتمكن منه البطل ويقضى عليه ([1]) .

الحكايــة المرحــة :

هى قصة او احدوثة قصيرة ، منظومة أو منثورة ، تحكى نادرة أو سلسلة من النوادر ، وهى ساخرة بسيطة فى بنائها ، وتندر فيهــا عناصر الخوارق ، وتدور حول الحياة اليومية . ويطلق عليها اســماء مختلفة منها : الدعابة ، والطرفة الساخرة . وتكون فى بعض المناطق حكاية من حكايات الحيوان مثل : الثعلب أو الذئب ، ولكن أبطــالها فى الغالب من الآدميين .

اما الحكايات نفسها فقد تكون قصصا عن الحمقى ، أو حكايــات موضوعها الخداع ، واحيانا تكون قصصا بذيئة ، ومنها مايجعل من ارباب الحرف موضوعا لسخريتها اللاذعة مثل الطحان والحائك . وقد تنتهى الحكاية الى موقف فكه مرح ([2]) .

حكايــات الحيــاة المعاشة :

تنقسم الحكايات الشعبية الى قسمين : ينحصر الاول فى تفســير الحياة المعاشة ومايعتريها من تغيرات . اما الثانى فيعبر عن المحافظة عن القيم التى تحفظ على المجتمع الشعبى تماسكه ، والتى يخشــى فقدانها فى زحمة التغيرات الجديدة .

وظيفــة الحكايــة الشعبية :

من الاهمية بمكان معرفة وظيفة الحكاية الشعبية . فهى الاساس

---

١ ـ عبد التواب يوسف . حكاية الصياد والعفريت ـ الف ليلة وليلــة والاخوين جريم ـ نقلا عن مجلة الفنون الشعبية العدد ٢٦ ، ١٩٨٩ ص ٦٠ .

٢ ـ أنظر فوزى العنتيل . عالم الحكاية الشعبية ص ص ٣٠ ـ ٢١ .

الذى يتحكم فى الثبات او الصيرورة او الحذف أو الاضافة أو التعديل .
وتقوم الحكاية الشعبية بعدة وظائف هى الوظيفة النفسية ، والوظيفة البيولوجية ، والوظيفة الاجتماعية والثقافية .

وتتمثل الوظيفة النفسية فى ان الانسان يجد فيها تنفيسا من كل انواع الضغوط الاجتماعية ، حيث تتوارى الاهداف البعيدة المكبوتة فى اللاشعور خلف الحكاية . اما الوظيفة البيولوجية فتتمثل فى خروج الانسان من قيده الزمانى والمكانى ، ومن عجزه الفيزيائى .

وتتمثل الوظيفة الاجتماعية والثقافية فى التعبير عن العقيدة ، ودعم الاخلاق وصونها ، والحرص على القيم الاجتماعية المثالية ، تلك القيم التى يخشى الشعب أن تنهار بتأثير الزحف المدنى الى المجتمع الشعبى . فقد يعمد القصص الشعبى الى بث عقيدة بعينها ، وتأكيدها كما يحدث فى القصص التربوى ومن ثم فان الشعب يستغل حكاياته فى تأكيد تلك القيم ، وابراز العيوب التى يرى انها بدأت تتفشى فى مجتمعه .

ويتمثل ذلك فى حكاية شعبية جاء فيها أن الاسد والذئب يتجولان ذات يوم ، اذ ابصرا رجلا نائما تحت الشجرة يكاد يلفظ انفاسه من الجوع . عند ذاك أمر الاسد الذئب ان يدخل الحديقة المجاورة ويحضر من شجرها بعض ثمار العنب ليعصرها فى فم الرجل حتى يقوى على الحركة .. ففعل الذئب ذلك ، واخذ الاسد يعصر له الثمار فى فمه .. ثم أمر الاسد الذئب بعد ذاك أن يصطاد غزالا ، وان يشويه حتى يطعمه للرجل . فاخذ الرجل يلتهم الغزال المشوى فى نهم ، وبذلك استرد الرجل قوته وشكر لهما صنيعهما .

اخذ الاسدوالذئب بعد ذلك يفكران فى البحث عن عمل للرجل يستطيع ان يكتسب منه رزق يومه . فجاءا الى مكان يعبر الناس منه السكة الحديدية ، وقطعا الاشجار واقاما حاجزا عند جانبى هذا الطريق . ثم أمر الرجل أن يقف حارسا لهذا الطريق ويطلب من كل من يريد

عبوره أجر هذا العبور ٠٠ ثم اختفى الاسد والذئب بالقرب من هـذا الطريق ٠

وعندما جاء الناس ليعبروا الطريق كالعادة ، طلب الرجل منهم اجر العبور ، ولكنهم رفضوا أن يدفعوا له أى شىء بدعوى أن هـذا الطريق ملك لعامة الشعب ٠ عند ذاك برز الاسد والذئب من مخبئهما وهددا الناس بالتهامهم أن لم يدفعوا اجر العبور ٠٠ فدفع الناس أجر العبور صاغرين ٠ فلما شاع هذا النبأ فى القريـة ، لم يعد أحد مـن المارة يعارض بعد ذلك فى دفع الاجر ٠

وعندما اطمأن الاسد والذئب الى ان عمل الرجل يسير على مايرام، ودعاه ورحلا الى مقرهما فى الغابة ٠ وبعد عام تذكر الاسد والذئـب صاحبهما وقررا زيارته ولكنهما شاءا الا يذهبا اليه خاويا اليدين٠فاصطادا غزالا وقاما بشوائه واخذاه معهما ووصلا الى الرجل ٠وعندما وصلا الى طريق العبور الذى يقف عنده الرجل حيياه من بعيد وطلبا منه العبور اليه ولكن الرجل طلب منهما اجر العبور ٠ فذعر الذئب والاسد ، وذكر الاسد الرجل بقدرته معهما ، وانهما انقذاه من الموت ، وبحثاله عن عمل ، ولكن الرجل لم يأبه بهما وأصر على أن يدفعا أجر العبور ٠ عند ذاك أمر الاسد الذئب أن يهجم على الرجل وأن يمزقـه ٠ ففعـل الذئب ذلك .(١) ٠

---

١ -- د٠ نبيلة ابراهيم : قصصنا الشعبى عن الرومانسية الى الواقعية ص ص ١٧٢ -- ١٧٤ ٠

الفصـل السادس

السـير الشعبيـة

ما السيرة الشعبية :

السيرة حكاية شعبية ، وملحمة طويلة ، اذ ذكر الرحالة الغربيون الذين وفدوا الى مصر والعالم الغربى انهم شاهدوا اهتمام الجماهير بنمط من الحكايات يستغرق اعداد الواحدة منها الاسابيع الطـوال ، وموضوعها البطولة والفروسية ، وتدور حول تاريخ واقعى لصاحبها (١)

والسيرة الشعبية ليست مجرد قصة حياة بطل او جماعة بقـدر ما يعنى بها التغنى وتمجيد سيرة الجماعة أو البطل الذى التفت حوله الامة ، فحقق امالها • وهى تاريخ وادب ، فهى تاريخ من حيث تناولها لحياة فرد له اهميته الموجهة للاحداث فى عصره ، او جماعة لعبت فى تاريخ الشعب او الانسانية دورا ذا اثر •

ومع ذلك فهى ليست عملا علميا تاريخيا يعتمـد على الوثائـق الثابتة القيمة أو المحققة الوجود ، ثم نهـج الى مناقشتها ومقابلتهـا ببعضها البعض لاستخلاص الحقائق المجردة التى لاتهم من الناس الا اصحاب العلم والدراسة العاملين فى نفس الميدان ، بل هى قد لاتعنى على الاطلاق بهذا التمحيص والمناقشة ، وقد تختار أضعف الاقوال بما يتفق دون غيره مع موقف المؤلف ، ووجهة نظره وهـذا يؤكد ذاتية السيرة كعمل • وليست الذاتية من العلم فى شىء ، وانما هى الى الادب اقرب به والصق •

ان سيرة عنترة بن شداد مثلا ليست ثبتا تاريخيا لاحداث حيـاة الفارس الشاعر العربى عنترة بن شداد ، وليست تتبعا لمراحـل حياتـه المختلفة ، ذلك التتبع المبنى على الوثائق التاريخية ، او الاحداث

---

١ ــ انظر د • احمد رشدى صالح • فنون الادب الشعبى ص ٦٣ •

التى ثبتت صحتها فحسب . كما أن هذه الاحداث ليست تتبعا لحياة بنى عبس ـ قبيلة عنترة .

والسيرة من حيث كونها ادب تحمل انطباع مؤلفها ، وتتلون بثقافته ، ووضعه الاجتماعى ، وموقفه من الحياة (١) .

سمات السيرة الشعبية :

تتسم السير الشعبية بصفة مشتركة هى الضخامة والتسلسل وهى تعكس البيئة والمجتمع اللذين تجرى فيهما احداثهما . وبذلك تختلف عن حكايات الحيوان وغيرها من الابداع الشعبى المحتفل بالخوارق . فسيرة عنترة بن شداد تصور البيئة العربية فى جاهلية ما قبل الاسلام تصويرا دقيقا ورائعا .

ويعتقد البعض ان السير الشعبية ماهى الا مجموعة من الحكايات التى لا رابط بينها ، ولاهدف منها سوى اللهو والسحر ولهذا ، فانها طبقا لهذا الزعم ـ لاتدخل فى نطاق الادب القصصى الذى يجب ان تتوافر له عناصر معينة يقوم عليها بناؤه الفنى .... ولقد اثبتت الدراسات التى قامت حديثا لتلك السير خطأ هذا الزعم ، اذ كان من أهم النتائج التى توصلت اليها ان تلك السير الشعبية تتوافر لها كل العناصر الفنية المؤهلة لقيام عمل ادب قصصى (٢) .

وتتميز السير الشعبية عامة بأنها حكايات حب وعشق ، فالبطل

---

١ ـ أنظر د. ثناء أنس الوجود . بين الظاهر بيبرس والهلالية ـ قراءة فى المنهج نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢٥ ، ١٩٨٨ ص ٣٤ .

٢ ـ أنظر د. محمود ذهنى . دراسات فى السير الشعبية ـ سيرة عنترة ـ وسماتها القصصية ـ نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد الثالث ، ١٩٦٥ ص ص ٩ ـ ١٠ .

فى مراحل تكوينه له من الخصائص الدرامية مايجعل دور الحب فيها دورا مميزا وهاما (١) .

والبعد السياسى ضرورى فى السير الشعبية والفكر . وهى ليست سياسية فحسب ، بل هى سياسية مرتبطة ارتباطا جذريا بالفكر الدينى الاسلامى . ولعل هذا هو أحد الفروق بين السيرة الشعبية العربية ، والملحمة الشعبية الاغريقية . هما يلتقيان فى تسجيل حروب امتيهما ، وقصص أبطالهما ، ولكنهما يفترقان فى عده امور منها الشعر . فالملحمة عمل شعرى ، والسير عمل نثرى بالدرجة الاولى .

ومن الفروق بين الملاحم والسير الشعبية أن الملاحم وان كانت قومية الاتجاه الا أن عنصر العقيدة يغيب عنها تماما ، بينما هو فى السيرة الشعبية شديد الحضور . ومنها أن الملاحم الفردية فى البطل قد كرست تكريسا شديدا بحيث امتزجت شخصية البطولة بشخصيات الآلهة الوثنيين ، وتداخلت عوالم البشر بعوالم الآلهة .

وقد أدت الفردية المتميزة لبطل الملاحم الى بطل التراجيديات اليونانية التى يواجه فيها البطل القدر مواجهة درامية تنتهى عادة نهاية مفجعة بالنسبة للبطل (٢) .

نماذج من السير الشعبية :

سيرة عنترة بن شداد :

يقال ان المؤلف الاصلى لسيرة عنترة بن شداد هو الاصمعى الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى . وهى تعد من أوائل السير الشعبية ، وروائع الملاحم العالمية التى حفظها لنا التاريخ . ونلمس منذ البداية تشابها أو تطابقا بين بعض حلقات هذه السيرة ، وبين ملحمة السيد الاسبانية ، واغنية الرولان الفرنسية .

---

١ - انظر فاروق خورشيد . عالم الادب الشعبى العجيب ص ٢٩ .

٢ - انظر : مجلة عالم الفكر ، المجلد التاسع عشر ، العدد الثانى ، ١٩٨٨ ص ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

ويدور محور سيرة عنترة بن شداد العبسى حول الحرية التى افتقدها المواطن العربى ، وترسم صراعه من أجل المساواة بينه وبين الآخرين فى الحقوق والواجبات فى مرحلة نقاء الجنس .

ان عنترة لم يولد حرا كغيره من فتيان العرب . فقد كانت أمه حبشية تدعى زبيدة . وهى أميرة حبشية اختطفت وسبيت ، وراقت فى عينى الامير شداد بن قراد وسط الصحراء ، وقد انتصر على حماتها وأولادها ، وأخذها بعيدا عن انظار اصحابه .

حاول شداد ان يغشاها فقاومته ، فقال لها : « ويلك انت بقيت زوجتى ، وأولادك عندى ، وانا اكرمك طاقتى » . وهنا استسلمت وحين عاد اصحابه وحاولوا أن ينالوا منها رفضت الامة رفضا قاطعا ، وهربت من ايديهم ، وغارت نفس الامير شداد عليها وردهم عنها .

ولد عنترة اسود اللون ، مشقوق الشفة ، مفلفل الشعر ، كبير الاشداق ، متسع الظهر ، صلب الدعائم ، والعظام ، كبير الراس . وعلى الرغم من انتسابه الى شداد بن قراد من عبس ، فانه كان عبدا يحس بالدونية فى مجتمع الاحرار بين اخوته وأبناء عمومته ، مما جعله ينفر من ذل الهوان ورتابة العمل وضآلة الشأن .

وكان بعض ابناء القبيلة يقف ضده ، فشاس بن زهير ملك عبس والربيع بن زياد يتحالفان ضده ، ويتآمران عليه ليقتلاه ، فقد كان شاس يرى انه عبد ابن زنا ، فطلب من ابيه الاذن بقتله ، ويؤيده فى ذلك مالك والدعبله ، وعم عنترة ، فهو يرى ان العبد قد طغى . وسال الملك اشراف قبيلته عما يريدون من عنترة ، فطلبوا ابعاده أو قتله ، فهو عبد ابن زنا .

ووقف ابوه شداد منه موقفا صعبا ، فقد منعه من ركوب الخيل ، واشهد بذلك سادات العرب ، ويتآمر مع بقية اعمام عنترة على قتله فيطلقون عليه فى البرية وهو وحيد ، الا انهم ما أن اقتربوا منه حتى

يجدونه فى صراع مع اسد مهول ، ويحسبون ان نهاية عنترة قد قربت، الا ان عنترة يرمى بسيفه بعيدا ، ويلقى الاسد عارى اليدين ، فيقتله، ثم يوقد النار ويسلخ الاسد ، وياكل لحمه كله بينما أعمامه ينظرون .... فيقول عمه زخمة الجواد : «والله من يكون له مثل هذا ويفرط فيه فلا يكون عاقلا » .

وقد انكر اهل القبيلة قصة الحب التى قرنت اسم عبلة بعنترة . وفى احدى الليالى باح عنترة بحب عبلة ، وذكرها فى شعره بين الفرسان ، فاحتدمت معركة بينه وبين عمارة بن زياد ، وقد كان ينافسه على حبها ، ووصل ذلك الى سمع عمه مالك ، فخرج من صمته ، وتقدم الى عنترة ولطمه على رأسه ، وأهانه لمطاولته ابناء السادات ، وجراته على عمارة . وطلب منه ان يعود الى رعى الجمال ، فلما راى العبيد ذلك تجرءوا على عنترة ، وأخذوا يضربونه بالعصى والحجارة حتى أشرف على الهلاك . ومع ذلك فقد كانت قصة الحب هذه حافزا من الحوافز النفسية على تحقيق الوجود .

ادرك عنترة أن الفروسية ربما كانت وسيلته الوحيدة الى الحرية. فقد خرج شداد واخوته مع رجال الحى فى غزوة من غزواتهم ، بينما ظل العبيد ، ومنهم عنترة ، مع النساء . وفجأة يهجم على ديار بنى عبس فرسان من بنى غطفان ، فيتصدى لهم الصبى عنترة - ذو الاربعة عشر ربيعا ، فيقاتلهم ، ويهزمهم ، ويسترد الاسلاب ، ويخلص النساء .

ويعود عنترة من أرض العراق محققا ما أراد من اقرار العرب له بالاولوية والبطولة ، ليجد قبيلته كلها - بما فيها الملك زهير قد اسرت ، فيخلصهم عنترة . وتنتقل القصة الى اليمن فيثبت عنترة فى هذه الرحلة مكانته فى الجنوب كما أثبتها فى الشمال .

ومع ذلك - فقد أحس عنترة أن هؤلاء القوم لا يعرفون له فضلا

فيستسلم للهزيمة ، ويخلع ثياب الفرسان ، ويعود الى رعى الاغنام متخليا عن مسئوليته تماما ، طالما رفضت القبيلة الاعتراف بحقه .

وتخرج القبيلة فى غزوة من غزواتها تاركة بعض فرسانها لحماية الحى ، ولايجدون لهم خلاصا الا فى عنترة ، ويأبى عنترة أن يترك مكانه ، فمن لاحقوق له لا مسئولية عليه ، واذا ما اشتد الامر اضطروا الى الخضوع لشروطه ، فأعلنوا تحريره ، واعترفوا بصحة نسبه الى ابن شداد ، واعترفوا كذلك بحقه فى الزواج من ابنة عمه عبله ، وهنا ينزل عنترة الى الميدان ، فيحقق النصر لقبيلته .

وكان عنترة شاعرا . وقد عقد المؤلف مقابلات بينه وبين اصحاب المعلقات ، وحين يلتقى عنترة بطرفه بن العبد ، يقول طرفه له : « يا أبا الفوارس ما أنت الا قد كملت بالشجاعة ، لكن بلغنى انك رجل معلول النسب ، ولولا ذلك كنا قبلناك ، وسمعنا ما قلته من شعرك ، وفى فصاحتنا ادخلناك » .

ويلتقى عنترة بأصحاب المعلقات جميعا ، ويحكم السيف بينه وبينهم فياسرهم جميعا ، ويقرون له باولى فضائل العربى الحر ، وهى الشجاعة . واذا ما اطلقهم من اسرهم اقروا له بثانى فضائل العربى الحر ، وهى الشهامة . واذا ما تحاج معهم فى أمر الشعر ، وقرأ معهم قصيدته الكبرى ، أمروا له بالفضيلة الثالثة عند العرب ، وهى القول . ويجتمع أصحاب المعلقات عليه يمتحنونه فى معارف العرب ، ويعلنون جدارته فى أن يدخل معهم فى مجتمع الخالدين من اصحاب المعلقات (١) .

---

١ — انظر احمد شمس الدين الحجاجى . مولد بطل فى السيرة الشعبية ص ص ١٤٢ — ١٤٣ وص ص ١١٠ — ١١١ وص ص ١٢١ — ١٢٣ وأنظر فاروق خورشيد ومحمود ذهنى . فن كتابة السير الشعبية ص ص ١٢٢ — ١٢٨ .

الأميرة ذات الهمـة :

لسيرة ذات الهمة منزلة خاصة عند دارسى الادب الشعبى بعـامة والسير الشعبية بخاصة • وتشغل احداث هذه السيرة حقبة تاريخيـة تمتد من العصر الجاهلى حتى عهد الخليفة الواثق فى أواخر الدولـة العباسية • فهى من ناحية الزمن تشغل المرحلة التاريخية التى تبـدأ بعد انتهاء سيرة عنترة بن شداد •

وتصور هذه السيرة الصراع الذى دار بين العرب والروم ، كمـا تصور الصراع بين الحضارتين العربية الاسلامية والرومية المسيحية •

وتقع احداث السيرة فى حوالى ٧٫٠٠٠ صفحة ، وتمتلىء بشخصيات عربية وغير عربية • ولعل اوضح الشخصيات غير العربية هى الشخصيات الرومية من أمثال جرفناس الرومى وكوشا نوش ولهد لهوس والكندفور وغيرهم • أما الشخصيات العربية فتتمثل فى الامـيرة ذات الهمـة .، والذى اجتمعـت لهـا مميزات شعبيـة ، اذ خلصـت الامـة من التفرق والتمزق والشتات والضياع ، ووحدت الصفوف ، كما كان لها مميزات بطولية ، وتجمع لديها صفات الشجاعة والاقدام ، فوقفت مع جيشها موقف الند لجيش الروم وخاضت المعارك والمغامرات • وتتحدث السيرة عن الصراع العسكرى الدامى الذى عرف قبل الاسلام •

وتصور السيرة الامور السياسية والاجتماعية ، وترصد الظواهـر الاقتصادية والثقافية ، وتبنت قضية حقوق المراة ، ومساواتها بالرجل ، وأبرزت دورها فى صنع الحياة ، كذلك فهـى أم ترتفـع عندهـا حاسة الامومة الجارفة ازاء ابنها ، فقد تعلقت بابنها تعلقا كبيرا ولاسيما فى أيامها الاخيرة ، وبخاصة بعد أن اصبحت تشعر بدنو الاجل • كذلك فهى زوجة وأخت • وتبرز السيرة خلفيات المراة العربية التى تحافظ على عرضها ، وتدافع عنه حتى الموت ، والتى تعرف الوفاء لمن تحب،

كما تصور عكوف المراة على العبادة والتبتل واداء واجباتها الدينية بما فى ذلك الجهاد فى سبيل الله .

وتبدأ أحداث السيرة فى عهد الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان، وفى زمن الخليفة ذاع صيت الحارث الكلابى بوصفة زعيما لبنى كلاب ولما مات الامير الحارث ثار على قومه أصحاب الثارات ينهبون الاموال ويسبون النساء ، ويسوقون الابل والنياق ، فهربت زوجته من ديار بنى كلاب ، وكانت حاملا ، واصطحبت معها عبد لها اسمه سلام ، والذى كانت تثق فى أخلاقه وأمانته .

لكن هذا الخادم يخون العهد ويبعدها عن الطريق عن قصد حتى يصل الى حاقة غدير ، ويراود زوجة سيده عن نفسها ، فتأبى هذه السيدة وتدافع عن شرفها ، وأثر لطمة قاسية من العبد سلام تنفجر منها الدماء ايذانا بمولد جند به .

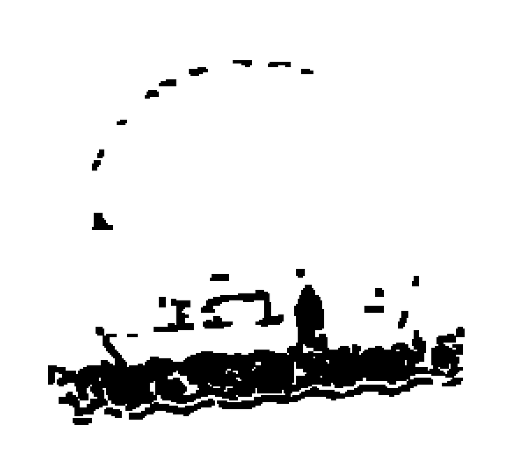
سيرة الظاهر بيبرس :

تبدأ سيرة الظاهر بيبرس بذكر المعتصم والواثق والمقتدر ، ثم تقفز منها على كل أحداث العصر العباسى الثانى لتصل بنا إلى بداية حكم الايوبيين لمصر ، وهى تقوم على هذا القفز دون احساس بالفرق الزمنى الكبير بين حكم المتوكل وبين بدء الدولة الإيوبية ، بل تورد حديثها وكأن هذه الدولة نشأت فى ارتباط تاريخى قام بحكم المقتدر بالله .

والظاهر بيبرس انما هى عرض روائى للفترة التى عاشتها الامة العربية مع الحروب الصليبية الاخيرة التى تمت فى نهاية عهد الايوبيين وانتهت فى مطلع حكم المماليك . وعلى ذلك فان سيرة الظاهر بيبرس معرضا للحروب الصليبية فى حكم الايوبيين والمماليك .

وقد نسج كاتب السيرة أحداثا روائية تبرز الوان البطولة النفسية

والجسدية للشعب العربى ، والواقع ان تعبير الشعب العربى هنا ليتجدد بطريقة حاسمة ليشمل أبناء المنطقة العربية التى نعرفها اليوم جميعا (١)



General Organization

١ - فاروق خورشيد • اضواء على السير الشعبية ص ص ٨٧ - ٩٥ •

الفصل السابع

الفنون الشعبية

ان تحديد المقصود بالفنون الشعبية داخل ميدان التراث الشعبى لم يحسم نهائيا بعد ، برغم مايبذل فيه من جهد علمى لتحديد الاعمال الفنية التى يجب أن يدخلها دارس الفولكلور فى دائرة اهتمامه ، وتلك التى لاتستأهل منه هذا الاهتمام . وقد سمى هذا الفن بعدة تسميات نذكر منها :

- سمى بالفنون الاهلية نسبة الى اتصاله بالشعب والاهالى وبعده عن الفنون الرسمية .

- وسمى بالفن الدارج تميزا له عن الفن المثقف الحضرى ، اذ يفيض الفن الشعبى عن خاطر الجماعة الانسانية بالتعبير التلقائى . أما الفن الحضرى (المثقف) فيفيض عن عاطفة افراد موهوبين نالوا قسطا من التعليم والتثقيف ، فانشأوا أعمالهم على اسس علميه أو فنية ، اشبه بالاجرومية ، وأصبحت اعمالهم صالحة للقياس المنطقى . فالسيمفونية التى تعزفها أوركسترا القاهرة ، هى عمل مركب خضع فى تأليفه وعزفه لاجرومية الموسيقى ، وقواعد العزف .

- وسمى كذلك بالفن الريفى لارتباطه بالريف وخاماته .

- وسمى احيانا بالفنون الفطرية لما يحويه من فطرة ظاهرة ، وتعبير ساذج بسيط .

- وسمى ايضا بالفنون الاقليمية على أساس نوعى .

- وسمى بالفنون الغريبة لانه غريب عما هو مألوف من الفنون التقليدية .

- وسمى بفنون المستعمرات لارتباطه بالشعوب المغلوب على أمرها .

- وسمى بالفن الشعبى لانه وليد الشعب لنفسه ، والحياة الشعبية مصدر الالهام ، والايحاء للفن الشعبى .

- وسمى بالفولكلور لانه نابع من صميم احداث ومأثورات الشعب.

- وسمى بالمأثورات الشعبية ، وهو بذلك يشير الى كل مأثور شعبى ، وهى الترجمة التى اقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة لكلمة فولكلور .

- وسمى أحيانا بالفن البدائى ، وذلك لبعدها عن المعرفة العلمية، وأن صانعها وهو الفنان الشعبى لم ينل اى قسط من الثقافة أو العلم ، وانه يتناول اعماله الفنية بطريقة يغلب عليها التلقائية ، وعدم التطور فى الاداء معتمدا على ترجمة أحاسيسه المحكومة بالعرف والتقاليد والمعتقدات التى انتقلت اليه عن اجداده (١) .

وكان من اوائل دارسى الفولكلور الذين حاولوا تحديد مدلول مصطلح الفن الشعبى « الويس ريجل Alois Riegel » ، فقد اعتبر ان السمات الاساسية للمنتج الفنى الذى يمكن أن يعتبر فنا شعبيا هى ان يكون مصنوعا داخل البيت من اجل الاستخدام الخاص ،وتمييزا له عن الانتاج التجارى ، وان يكون من الممكن فهم دلالات أشكاله فى ضوء التراث ، أى أن تكون دلالته مفهومه لكافة المشتركين فى هذا التراث .

والفن الشعبى هو فن الملايين من الناس ، يزاوله افراد من الشعب ، وللشعب . انه من حياة الانسان داخل مجتمعه ، يفى دائما

---

١ - انظر احمد شمس الدين الحجاجى . مولد بطل فى السيرة الشعبية ود. محمد حامد عويس . الفن الشعبى . محاضرة بكلية الفنون الجميلة عام ١٩٩٢ .

بمتطلبات الحياة الضرورية للناس من ملبس وادوات الزينة والاستعمالات اليومية والمواسم والاعياد والملاحم الشعبية والقصص والاساطير .

والفن الشعبى تعبير عن روح الجماعة ، وهو ملىء بالرمز ومرتبط بالتاريخ والاسطورة ، ومرآة ينعكس عليها صورة نابضة عن حياة الشعوب : آلامها ، وآمالها ، واخلاقها ، وعاداتها ، وتقاليدها ،ومثلها، وطرائق ممارستها للحياة .

واذا ماأردنا أن نتخذ مثالا لذلك الشاعر الشعبى الذى نطلق عليه بين جمهرة العامة « الادباتى » ، فهو يصور أغانيه لتعبر عما يجيش بصدره من أحاسيس . والاكثر شعبية هو ذلك الذى يتغنى بحبه او احزانه أو ما يجيش بخاطره عن الدنيا والحياة ، ومثالياته الاخلاقية، وكل فرد من الجمهور يتقبل مايردده فى سهولة ويسر ، وكأنه يغنى له وحده .

خصائص الفنون الشعبية :

يخطىء من يتصور أن الفنون الشعبية تستهدف التسلية والترويح عن النفوس المكدودة بعد عمل النهار الطويل ، تلتمس لها المواسم ، وتنتخب لها اماكن التجمع .... ان التسلية والترويح وظيفة ثانوية، اما الوظيفة المحورية ، فقومية على الدوام تطلب المحافظة على ذات الفرد العزيز فى أمته ، وتطلب المحافظة على الجماعة كلها فى آن واحد .

وتتصف الفنون الشعبية بالعراقة ، فهى تعود الى مراحل بالغة فى القدم فى تاريخ الانسان ، وتنحدر مع الاباء والاجداد عبر قرون عديدة خذ - مثلا - اعمال الفخار ، ترى انها تعود الى فترة اختراع العجلة اللفافة فى بداية التاريخ . وخذ آلات الموسيقى المصنوعة من الغاب ، وعيدان الشجر المثقوب ، وجلود الحيوانات المشدودة على الفخار ، أو جذوع الشجر المفرغة ، نجد أن هذه المزامير ، والطبول،

والدفوف مرسومة بذاتها ، أو هى قريبة الشبة بالرسوم التى خلفها القدماء المصريين منذ آلاف السنين .

كما تتصف الفنون الشعبية بالحيوية ، فهى تتطور على مدى أجيال عديدة بنفس النسق والضرب الذى يتطور به الناس ، وكأنها جزء حى منهم أو امتداد .

ومعظم هذه الفنون غير مكتوب ، وهى تخلق ، وتبتكر ، وتتناقل وتغنى ، ويجىء غيرها دون أن نعرف من وضعها . فالقاعدة أن الفن الشعبى ملك للجماعة ، فهو لايعرف الفردية ، والشاذ أن يكون لبعض نماذجها مؤلف معروف . كما يتصف الفنون الشعبية بالتلقائية ، حيث يظهر الفن تبعا لظهور المناسبات الشعبية كالاعياد الدينية .

ويجب توفر عنصر الصدق عند الفنان الشعبى ، والا ما تعامل مع الناس ولا وثقت به . والبساطة فى الاداء صفة حتمية للفن الشعبى الذى يتعامل مع عدة مستويات متفاوتة من الناس . والمحلية فى المضمون صفة من صفات الفن الشعبى ، وذلك لارتباطه بالبيئة ارتباطا وثيقا (١) .

تصنيف الفنون الشعبية :

تعددت مواضيع ، واتجاهات وتيارات الفنون الشعبية ، والتى تستمد أصولها من الحياة الشعبية ، وتتمثل تلك الحياة فى حفلات العرس ، والحفلات الدينية المتعددة الاشكال والمتنوعة الالوان ، كالموالد،

---

١ - انظر د. عبد الحميد يونس . المأثورات الشعبية - طابعها القومى الانسانى نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد الاول ، ١٩٦٥ ص ٩ ود. محمد حامد عويس . محاضرات فى الفن الشعبى . كلية الفنون الجميلة - جامعة الاسكندرية ، عام ١٩٩١ ، ١٩٩٢ .

وما تقدمه لنا من انواع الفرح ، والمرح الشعبى ، وما تعرضه علينا من مشاهد ، مثل عرائس وفرسان المولد ، ومن الدمى المصنوعة من الحلوى فى ملابسها المزركشة .

وفى الموالد نشاهد مواكب الحى حين تسير وفيها الجدعان من رجال الطرق يرفعون الاعلام المتعددة الالوان ذات الخطوط الزخرفية الجميلة وترى فيها بائع العرقسوس ، والسقا ، والادباتى . كما ترى انواعا من المرح ، والترفيه للاطفال كصندوق الدنيا ، والقراقوز ، والحاوى ، والشاعر يعزف على الربابة ، ويرتجل الشعر ، وحلقات الذكر ، ورقص الخيل ، والعازفون على الطبل والمزمار .

ومن الاعياد كذلك اعياد شهر رمضان ، حيث يحمل الصغار الفوانيس ذات الاضواء الملونة . وهناك حفلات الغناء فى المقاهى ، والحانات الشعبية ، وسماع المواويل والاغانى ، وهناك المنشد المرتجل.

اما حفلات الزواج ، ففيها زفة العروسة ، التى تحييها العوالم والراقصات المصحوبة بالزغاريد ، والرقص بالصاجات ، واجواق الموسيقى ، والتى منها الآلات النحاسية ، وأنواع الطبل والمزمار والعزف على الغاب والناى وموسيقى القرب . ولحفلات الزواج مشاهد متنوعة فبعضها يقام على التختروان ، والأخرى على الهودج ، وزفة العروسة فى العراء المصحوبة برقص الجدعان ، ورقص الخيل المصحوب بالطبل البلدى ، والنقرزان على الجمال ، وكذا الالعاب الرياضية ، كالتحطيب على نغم الطبل والمزمار البلدى ، وسباق الخيل ، والتحطيب من فوق ظهور الخيل ، والمصارعة ، والرقص بالسيف (١) .

وللفنون الشعبية وجهتها الاجتماعية ، تلك التى من أبرزها الظواهر العاطفية لصور الحب ، والغزل ، والمديح ، والهجاء ، وكذلك

---

١ - انظر محمد عزت وآخرين . الفنون الشعبية ص ص ٢٤ - ٢٥ .

مظاهر البهجة ، والحزن ، والقلق ، او التعبيرات الروحية • هناك ايضا التعبيرات الروحية ، وهى فنون الادب الشعبى ، والموسيقى ، والرقص • ثم هناك التعبيرات المادية والروحية معـا ، والتعبيرات المادية هى فنون الرسم ، والنقش ، والنحت ، والعمارة ، والاثاث ، والازياء ، والصناعات الشعبية الاخرى •

وهناك تصنيف مقترح للموضوعات الرئيسية التى تدخل فى اطـار الفنون الشعبية •

اولا : الموسيقى الشعبية وتشمل :

أـ الموسـيقى :

١ ـ الموسيقى (المصاحبة للاغانى : الميلاد ـ العمل ـ الغزل ـ الافراح ـ الحج) •

٢ ـ الموسيقى المصاحبة للرقص •

٣ـ الموسيقى المصاحبة للنداءات والابتهالات والمدائح •

٤ ـ الموسيقى المصاحبة للانشاد والسير •

٥ ـ الموسيقى البحتة •

ب ـ الآلات الموسيقية :

١ ـ آلات النفخ •

٢ ـ آلات وترية •

٣ ـ آلات ايقاع •

ثانيا : الرقص الشعبى والالعاب الشعبية :

أ ـ الرقص :

ـ رقص مناسبات (جماعى ـ فردى)

- رقص مرتبط بالمعتقدات : زار - ذكر - مواكب صوفية ٠٠ ٠الخ

- رقص طبقات وفئات محددة (كالغوازى مثلا) ٠

ب - الالعــاب الشعبية :

- غنائية - منافسة - أطفال - تسلية - فروسية ٠٠٠ الخ

ثالثا : فنون التشكيل الشعبى :

أ - اشغال يدوية على الخامات المختلفة ، مثل : النسيج بانواعه - الخشب - الخوص - (وعائلته من القش ، والبردى ، والغاب ، والسعف ، والجريد - والليف) - الحديد - الفخار - الخزف - الزجاج - النحاس ٠

ب - الازيـــــاء :

- انماطها الاقليمية :

- ازياء المناسبات المختلفة (الاعياد - العمل - الزفاف) ٠

جـ - اشـــغال الكروشـية :

بالابرة - بالخرز - بالترتر - بالقماش - بالتفريغ - وعلى مختلف الاشياء - كالملابس والمفارش والبرادع - والبراقع ، والطرح ، والمناديل

د - الحــلى :

هـ - ادوات الزينة ٠

و - الاثاث والاوانى ٠

ز - العمــارة الشعبية ٠

ح - الدمى والتعاويذ (كاشكال نحت اولية) ٠

ط - الوشم ٠

د - الخمسة خميسة ٠

ك - الرسوم الجدارية وما الى ذلك ٠

رابعا : عناصر الثقافة المادية :

أ ـ ادوات العمل الزراعى : كالمحراث ، وادوات تمهيد الارض كالزحافة واللوح ـ وادوات الرى كالشادوف والساقية ، وادوات الحصاد كالمنجل وادوات درس الحبوب وغربلتها ٠٠٠٠ الخ ٠

ب ـ الادوات والمعدات المنزلية : كادوات طحن الحبوب ، والافران ، والمواقد ، والاوانى المنزلية ٠

جـ الحرف والصناعات الشعبية : كصناعة الحصر ، واكلمة البدو فى الصحراء الغربية ، والفخار المنقوش بمصر القديمة ، والنسيج ، وصناديق الملابس الريفية ، والطربوش الموشى بالقصب الذى يشترى للاولاد فى الاعياد ، ولمناسبة ختانهم ، وعروسة المولد ، وفانوس رمضان، والنقوش الجدارية ، ورسوم الوشم (١) ٠

الاغنية الشعبية :

اصطلاح الاغنية الشعبية ركن من اركان علم الفولكلور ٠ وهى قصيدة شعرية ملحنة ، تعتمد موسيقاها على السماع ، وليس على نوتة موسيقية مكتوبة ٠ وهى مجهولة النشأة ، وترتبط بالشعب ، وتنتشر وتشيع بين الاميين والعامة من الناس من ساكنى الاحياء الشعبية فى المدن ، وكذلك العمال ، فى أزمنة ماضية وبقيت متداولة ازمنة طويلة٠

وقد تنتشر الاغنية الشعبية بين الفلاحين فى الدلتا والصعيد ، والنوبيين ، وساكنى الصحراء فى البدو وفى الواحات ، أو الرحل منهم

---

١ ـ انظر د٠ محمد الجوهرى ٠ علم الفولكور ـ الجزء الاول ـ الاسس النظرية والمنهجية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١ ، ص ص ١٣١ ـ ١٣٣ وانظر كمال الملاخ ورشدى اسكندر ٠ سنة الفن ص ١٣٤ ٠ وانظر حسن محمد حسن ٠ الفن فى ركب الاشتراكية ص ٥٩ وانظر رشدى صالح ٠ الفنون الشعبية ص ٣٢ ٠

فى الصحراء الغربية ، ومطروح ، والصحراء الشرقية ، وسيناء ، علاوة على الصيادين ، وذلك لما فى هذه المناطق من أجواء طبيعية وخيال خلاب ، وعادات وتقاليد عديدة سائدة تمنع اختلاط الرجل بالمراة ، او تحرم عليه الزواج من المراة التى يحبها ، أو تمنعه من حريـة الاختيار فى الزواج ، مما يدفع الانسان الى البحث عن متنفس يبدد به حالة الحصار أو حالة الاختناق والاغتراب الذاتى المفروض عليـه من قبل المجتمع ٠

وفى هذا يقول جورج هرتسوج : أن الاغنية الشعبية هى الاغنيـة الشائعة او الذائعة فى المجتمع الشعبى ، وأنها تشمل شعر وموسيقـى الجماعات الريفية التى تتناقل آدابها عن طريق الرواية الشعبية دون ماحاجة الى تدوين أو طباعة ٠

ويرى بوليكافسكى انه لابد ان تنتسب الاغنية الشعبية الى الشعب، فهو صاحبها ومؤلفها ، وملحنها ، ولاترتبط بمبدع معين ، كما تتناقلها الذاكرة الشعبية من جيل لجيل شفهيا دون حاجة لتدوين او تسجيل ، وهم يغنونها دائما بشكل جماعى أو انفرادى ، وذلك بغرض التسليـة او الترفية ، أو لانها ترتبط بوظيفة اجتماعية معينة ، او طقوس او مناسبات محددة كاغانى العمل والافراح والاطفال ٠

ويشير « هانز موزر » الى ان المجتمع الشعبى يقوم بتعديـل التعبير التى يبدعها الافراد ، واخضاعها لوجدانه وعقله الجمعى ، كى تلائم التعبير عن حاجاته المتعددة ، ومن ثم يصف الاغنية الشعبية بأنها « الاغنية التى قام الشعب بتعديلها وفق رغبته ٠٠٠٠ »

ويقف ريتشارد فايس فى الجانب المقابل للجانب الذى يقف فيـه «بوليكافسكى» ٠ اذ يرى « فايس » أن الاغنية الشعبية ليست بالضرورة - هى الاغنية التى خلقها الشعب ، ولكنها الاغنية التى يغنيها الشعب، والتى تؤدى وظائف يحتاجها المجتمع الشعبى ٠ وعلـى ذلك يمكننا

القول أن الاغانى الشعبية هى حصيلة ذلك التراث من الاغانى الذى تعرض للتغيير والتعديل أثناء انتقاله بطريق المشافهة ([١]) .

خصائص الاغنيــة الشعبيــة :

١- لابد ان تحمل الاغنية الشعبية فى طياتها طابع الشعب معبــرة عن عاداته وتقاليده وأخلاقياته ، وهــى تتأثر بالمراحــل التاريخيــة والسياسية ، ويمكن من خلال دراستها التعرف على تجاربه وخبراته .

٢ - ويرى البعض ان الاغنية الشعبية مجهولة المؤلف الا ان هذا لايمنع من انه لابد ان يكون هناك دائما مؤلفــا حتى ولو كان غــير معروف . فلا بد ان للاغنية الشعبية فردا وضعها فى أول الامر سـواء كان هذا الفرد أديبا معروفا فى بعض الاحيان ، أو رجلا من العــامة ظل اسمه مغمور يطويه الغموض .

وقد يرجع تأليف الاغنية الشعبية الى المطرب نفسه اثناء تأديــة اغنيته ، فيحاول ان يرتجل الاغنية الجديدة ، أو اجزاء من اغنيــة تضاف الى اغنيته واختيار الاغنية الشعبية يكشف عن نزعة الشاعر الى البساطة والعفوية ، فهى تنبثق عن احساس فطرى واحتياج غريزى .

٣ - والاغنية الشعبية ابداع يتميز بصفة الجماعية ، بمعنى أن أى شخص يستطيع ان يشترك فى اداء الاغنية ، وهذا لايتاح بالنســبة للاساليب الغنائية الارقى . وهذا لايعنى عدم وجود غناء شعبى فردى، وكذا عدم وجود غناء جماعى فى المستويات الغنائية الارقى . وانما يقصد بذلك ان الاغنية الشعبية كانت فى الاصل من ابداع شخص واحد ، ثم راحت الجماعة ترددها ، وتعدل ، وتبدل فيها ، حتى اصبحــت

---

١ - أنظر د. فتحى الصنفاوى الموسيقى - فن وعلم وثقافة - موسوعة الموسيقى العربية والعالمية ص ص ٢١٥ - ٢٣٠ .

وانظر د. أحمد مرسى . الادب الشعبى وفنونه ص ١٠٨ .

ملكا لها تعبر عن مشاعرها وآمالها واحلامها . فقد تأثر المبدع الاصلى بروح الجماعة وانطلق يعبر عن أحاسيسها .

ونخلص من ذلك الى ان الاغنية الشعبية هى من تاليف جماعة وإن بدأ بها فرد ، وانها تعبر عن فكر الجماعة الشعبية ، ومشاعرها ، وحياتها العامة .

٤ ـ تشترك الاغنية الشعبية مع غيرها من الوان الفنون الشعبية القولية ، كالامثال الشعبية ، والحكايات الشعبية ، والاساطير ، وغيرها فى انتقالها من شخص لآخر ، ومن منطقة لاخرى ، ومن جيل الى جيل عن طريق الرواية ، والمشافهة ، دون أى اعتماد على التسجيل ، او التدوين الذى ربما يعطيها نصا ولحنا وشكلا ثابتا محددا .

٥ ـ ومع ذلك تتصف الاغنية الشعبية بالحيوية والمرونة ، فهى تتغير وتتعدل باستمرار . ومن العسير فى كثير من الاحيان ان يبقى نص الاغنية على حالة . فقد ينسى المغنى النص فيستكمله من عنده ، او يجود فيخرجه التجويد عن النص فيزيد عليه ، او يحاول أن يبدل النص ليوائم المناسبة التى يغنى فى ظلها . وكثيرا مايحدث هذا فى الافراح والبكائيات . ويساعد ذلك على ان تظل الاغنية الشعبية محفورة فى ذاكرة الناس ، وهى بذلك تواجه أنماط وتجارب وخبرات الحياة المتجددة .

٦ ـ ويمكن وصف الاغنية الشعبية بأنها الاغنية التى تتسم بالشيوع والانتشار ، ولذلك فهى لابد ان تكون جارية الاستعمال ومنتشرة . غير أنه ليست كل أغنية شائعة تعتبر شعبية ، فمن الاغانى الشائعة فى الوقت الحاضر مايعبر عن ميول واتجاهات تعارض الاتجاهات الشعبية ، ولاتمثل الا طبقة ضيقة فى المجتمع . فهى منتشرة فترة من الزمان ثم تخبو ، وتطوى فى صحيفة النسيان ، فهى ترتبط بحادثة عارضة ، او ظروف طارئة مؤقتة انبثقت عنها . ويتغير تلك

الظروف تفقد الاغنية تاثيرها فى الشعب ، فلا يكون ضمن مأثوراته ، ولا تعبر الا عن مواقف تاريخية معينة ٠

٧ ــ ليس للاغنية الشعبية نص مدون ، فهى دارجة الاسلوب ، وباللهجة العامية ، وتزدهر بين الاميين فى المجتمعات الشعبية ٠

٨ ــ ويشترط ان تؤدى الاغنية الشعبية وظيفتها الاجتماعية التى خلقت من اجلها تماما ، فاذا كانت ترتبط بطقوس ومناسبات معينة ، كان لابد من تسجيلها وتحقيقها عمليا فى اثناء استخدامها ميدانيا ، ومن افواه قائليها تاكيدا لاستمراريتها ، وحيويتها ، وذيوعها بين الطبقات الشعبية ، وذلك الى جانب وظيفتها الاساسية ، وهى الترفيه والتسلية ([١]) ٠

يوجد ثلاثة انواع من الاغنية الشعبية :

تعين الاغنية الشعبية الناس على انجاز الاعمال الشاقة والصعبة ، فهى ترغب فيها ، وتشحذ الهمة عليها ، حيث يجدون فيها متنفسا للعواطف المكبوتة وللاحاسيس والمشاعر الانسانية المقهورة ٠

ومن أظهر وظائف الاغنية الشعبية الاحتفال بالزواج باعتباره الاشهار العلنى على أهم رابطة اجتماعية عند الانسان ٠ وهى ترتبط بمناسبات هامة فى حياة الفرد مثل ميلاده ، وحجه ، ووفاته ٠ وهى ترتبط بزيارة الاضرحة ، وموالد الاولياء ، والقديسين ٠

كما تستخدم الاغنية الشعبية لاستعطاف سكان العالم العلوى فى الثقافات الدنيا ٠ واشار بعض الدارسين الى اعادة تنغيم الامريكيين

---

١ ــ أنظر د٠ طارق فريد ٠ حول العلاقة بين العنصر اللغوى الصوتى والحركى فى الغناء الشعبى نقلا عن مجلة التراث الشعبى ٠ العدد الرابع ، ١٩٨٧ ، ص ٩١ ٠

لصلواتهم . ونحن نعرف ان (تعزيمة) الساحر تصاغ دائما فى نغـم موقع .

وتقوم الاغنية الشعبية بوظيفة الترفيه والمرح واشاعـة البهجـة والسرور ، كما انها تساهم فى تحقيق غايات تعليمية وتدريبية وسلوكية. كذلك فهى عامل مساعد لممارسة فنون أخرى كالرقص ، والتمثيل ، او تقوم بدور المنظم والمرشد لاتمام وتحقيق غايات هامـة مثل تنظيـم الحركة وتوجيهها ، والربط بين الفرد والجماعة فى داخل اطار عام ، كما فى اغانى العمل الجماعية ، والعاب الاطفال .

انـــواع الاغنيـة الشعبية :

يوجد ثلاثة أنواع من الاغنية الشعبية

النـــــوع الاول :

وهى الاغنيات ذات الصيغة والطابـع الشعبـى ،والتى يؤلفهـا ويلحنها حديثا فنانون محترفون ، ومنهم جامعيون او من خريجـى المعاهد الموسيقية . وهؤلاء اذا ما قدموا لنا اغنية ذات مضمون وطابع يعبر عن صورة شعبية وأحبها الناس وانتشرت بشكل ما ولفترة معينة طالت أو قصرت ـ نجد فى النهاية انها من النادر أن تظل متداولة دون ان تمحى من الذاكرة الشعبية ، وأن تصمد امـام سيل من الابـداع والانتاج اليومى المتجدد .

النــــوع الثانى :

وهى الاغنيات التى يؤديها مغنى شعبى حقيقى ومحترف ونابـع من البيئة الشعبية ومايزال ينتسب لها ، وهو يعتمد عـلى موهبتـه وامكاناته الصوتية ، ومقدرته على الارتجال والتلوين ، وحريص عـلى كسب المزيد من الشهرة حتى يصبح دائما مطلوبا لاحيـاء الحفـلات والسهرات الشعبية من افراح ومناسبات قومية او دينية (موالد) .

وهو يؤدى الاغنية والطقطوقة والموال ، او القصة والملحمة ، والسيرة او القصيدة والتوشيح الدينى .

وتلك الانواع ترتبط بأسلوب معين من الاداء يتميز بالاصالة والصدق الشعبى ، واصالته نابعة من بساطته وتلقائيته التى تستهوى الوسط الشعبى ، وتعبر عنه وعن آماله وأفكاره .لهذا فان الاغنيات التى يقدمها هؤلاء الفنانون الشعبيون من امثال (محمد طه وخضره وبداره وابو دراع) والتى يكون فيها الملحن المؤدى نفسه ، يرتبط به وباسلوبه وبلونه الخاص وطريقته فى الاداء - هذه الاغنيات يمكن أن نطلق عليها ببساطة (اغنية شعبية) لارتباطها كما اسلفنا بمادة شعبية حقيقية ومؤد واسلوب اداء شعبى فعلا .

النـــوع الثالث :

وهو الاغنية المتوارثة التى انتقلت شعبيا عن الذاكرة الشعبية ،وهى لذلك لاترتبط بمؤد معين ، بل يؤديها كل الناس كلما دعت الحاجة الى ذلك ، وفى المناسبة الخاصة بها . وهى لذلك ترتبط بوظيفة اجتماعية محددة ، كما انها الاغنية التى ليس لها مؤلف او ملحن معروف ، بل ساهم المجتمع فى تاليفها وتلحينها على مدى سنين طويلة ، وبشكل ما ظلت باقية ، وهى تؤدى فى العادة جماعيا ([1]) .

وتبدو ظاهرة التخصص فى الاغنية الشعبية واضحة . وتعتبر اغنية العمل نوعا هاما من الابداع الشعبى لارتباطه باهم وظيفة انسانية ، وهى العمل . وهذا النوع من الاداء الغنائى يعتبر عاملا اساسيا فى التنظيم وبعث النشاط فى العمل ، وتمكن العمال من العمل الشاق . فهى ترغب فيه ، وتشحذ الهمة عليه .

وتشترك اغانى العمل فى كل انحاء العالم فى خصائص موحدة ،

---

١ - د. فتحى عبد الهادى الصنفاوى ، التراث الغنائى المصرى والفولكلور ص ص ١٠ - ١٥ .

فهى تتميز بالبساطة والوضوح والايقاع الداخلى المنتظم ، والنصوص بشكل عام تحوى معانى مشرقة متفائلة تدور حول الايمان والامل والصبر وطلب العون والعافية من الله ، والاستعانة برسوله ٠ هذا الى جانب بعض الكلمات والمعانى التى لايسهل فهمها أو تحديد معانيها بدقة مثل (هيلا هوب ـ هيلا بيصه) ٠ وهذا ما يؤكد قدم هذا النوع وتراثية بعض نصوصه التى ربما تمتد جذورها الى أجدادنا الفراعنة ٠

كما نجد الفلاحين فى الغرس والحصاد يستعينـون عـلى العمل بالاغنية الشعبية ٠ هذا الى جانب تمييز بعض المناطق بنوعيات خاصة، مثل اغنيات الصيادين ، والبمبوطية ، وعمال البحر فى السواحل ، وما يصاحب ذلك من ضرب المجاديف المنتظمة الايقاع ٠

وهناك نوع من اغانى العمل صنعته المراة خاصة ، وهذا النـوع تمثله اغانى الطحن بالرحى ٠ وكانت اقدم الطواحين واكثرها بدائيـة تعود الى العصر الحجرى ، وهى الرحى الصغيرة التى تدار باليد ، وتطحن المراة عليها القمح ٠ واذا كانت الرحى كبيرة أو كانت تسع عمل نساء البيت ، أو العشيرة ، تولت العمل جماعات من النساء ، وصاحبته بالغناء فاشرن فى اغانيهن الى نوع عملهن ٠

وتنقسم الاغانى الشعبية حسب السن ، والنوع ، وطبيعة المنطقـة المنتشرة بها ، وامكاناتها ٠ فاغانى الافراح لايؤديها سوى النساء فى الدلتا ، وعلى العكس من ذلك يؤديها الرجال فى النوبة ، وعند البدو بمنطقة مطروح ٠ كما أن اغانى المهد وتهنين الاطفال يؤديها النساء ٠

ومن اغانى الاسرة ، اغانى الزوجات التعيسات فى حياتهن الزوجية والتى تعرفها الرجل الانجليزى بفضل قصيدة روبرت بيرنز الشهيرة ، والتى جاء فيها :

ماذا تستطيع الزوجة الشابة ؟
وماذا يكن أن تفعل ؟

ماذا تستطيع الشابة ان تفعل مع رجل عجوز ؟

ما اشأم المال الذى اغرى ابى فى أن يبيع ابنته البائسة لمن يدفع الثمن .

انه دائم الشكوى من الصباح الى المساء .

يسعل ويلهث طول النهار .

يتثاءب وينام ، وتتثلج اطرافه .

وتصاحب الاغنية الشعبية وقع أقدام المحاربين والحرب والحماس والحث على القتال . ونجد نفس الشىء فى الرقص ، فالاغنية المصاحبة تعمل على تنشيط الراقصين . وتمكنهم من المحافظة على الخطوة . وكذلك فى المآتم والتعازى والروايات والاقاصيص (١) .

نماذج من الاغـانى الشعبية :

ارتبطت الاغنية الشعبية فى أمريكا بالمهن الامريكية ، ففى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشـرين اكتشف رؤسـاء نقابات العمال أن الاغانى الشعبية لها جاذبية كبرى لدى العمال فى المصانع والمناجم ، وهم يناضلون فى سبيل رفع مستواهم ، وسرعان ما لقـى ذلك التشجيع باعتباره وسيلة للاحتجاج على أصحاب الاعمال الكبرى، وعلى استغلال كبار رجال الاعمال للعمال (٢) .

وتعبر الاغنية الشعبية الانجليزية عن الروحانيات ، اذ نجد بقايا عبادة الاوثان ، وتتشكل الروح عند الموت بعدة اشكال . فقد تكـون

---

١ - انظر د . عبد الحميد يونس : التراث الشعبى ص ٤٢ .
وانظر يسرى جوهرية غرنيطة . الفنون الشعبية فى فلسطين ص ٣٥ .

٢ - أنظر روبرت سيلز . الادب الامريكى ١٩١٠ - ١٩٦٠ ص ٣٣ .
& See Coffin, Tristram Potter & Cohen, Henning, Folklore, from the workiny folk of America, P. 51.

فى صورة نبات أو حيوان او طائر او سمكة او شىء غير حى كحجرة ، أو أجزاء من جسم الانسان : كالدم ، او العظام ، او الشعر . ويمكن أن ترتبط الروح ببعض الممتلكات الشخصية ، كسيف موروث عن الاجداد (١) .

وكانت الاغنية الشعبية فى تونس كالطفل المجهول الاب ، لايعرف أحد على وجه التأكيد مؤلفها او ملحنها ، وكانت الاسماع تلتقط هذه الاغنية وتتناقلها الالسنة .. وظل الحال كذلك حتى اواسط النصف الاول من هذا القرن .

وكان الناس فى ذلك العصر تستهويهم الالحان البدوية ، فكانت غالبية الاغانى الشعبية تعتمد على موسيقى البدو ، لما تمتاز به هذه الموسيقى من قوة وحيوية . فقد نزح البدو الطرابلسيون ، افواجا الى بلاد تونس ، واستوطنوا ريفها ، ومدنها ،عندما احتل الايطاليون ليبيا ، واستمع التونسيون الى الحانهم ، وشغفوا بأغانيهم ، فكثر تداولها على الالسنة ، وحاول التونسيون أن ينسجوا على منوالها ، وأن يقتبسوا من الحانها . ومن هنا نجد أن الاغانى الشعبية التونسية تكسوها مسحة طرابلسية واضحة لاتخفى .

وكانت الاغانى الشعبية ، حتى أوائل هذا القرن ، تصل الى أسماع الناس فى الشوارع . ويتغنى بها الفتيان فرادى فى الطريق ، واثناء العمل ، وفى أوقات الفراغ ، فى اركان المقاهى المنعزلة وداخل الحوانيت ، ولكن فى شىء من الاحتشام ، لان الجهر بالغناء كانت يعبر مجونا ، أما النساء فكن يتغنين بها فى خلواتهن اثناء القيام بأعمال البيت .

---

1 — Wimberly, Lowry Charles, Folklore in the English & Scottish Ballads, P. 33.

وعندما كانت احدى هذه الاغنيات الشعبية تصادف نجاحا لطرافة لحنها ، أو لمطابقة كلامها لحدث اشتهر امره ، كان أصحاب فرق الطرب يتبنون هذه الاغنية . ويدخلون عليها بعض التعديـل ، حتى تتفق وقوالب التلحين ، ومقاييس الوزن الايقاعى المعهودة عندهم ، ويغنيها المطربون المحترفون ، فى الحفلات التى تقام بمناسبة الافراح العائلية ، او فى قاعات اللهو العامة . ويطلق على هذه الاغنية المعدلـة ، اسم « الفوندو » وهى كلمة ايطالية ، معناها الاساسى أو الاصل (١) .

اما الابوذية العراقية ، فهى ذلك الغناء الشـعبى الحزين الذى تصاحبه الاهات والانين عند الاداء، وتنقله امتدادات صوتية توحـى بالاسى العميق . وغالبا ما تنطوى الابوذية على شكوى من الزمن أو من هجر الحبيبة ، ودلالها ، واعراضها . وربما انطوت على حكمـة شعبية أو مثل شائع . وقد تتضمن فخرا بالذات واعتدادا بالنفس . وقد تتضمن الابوذية مديحا أو رثاء أو تنطوى على لغز .

والابوذية وثيقة شعبية غنية لما تنطوى عليه من معتقدات وطقوس وامثال وافكار واساليب تفكير شعبية . وذيوع الابوذية واستمرارها فى التداول يكفيان لان تعد الابوذية أغنية شعبية أو فولكلورية . يضاف الى هذا أن مؤلفها ينطبق عليه ما ينطبق على مؤلف الاغنية الفولكلوريـة عامة . فنحن نقول ان مؤلف الاغنية الفولكلورية فرد ، بمعنى أن الذى وضعها اول امرها كان فردا واحدا اديبا معروفا فى بعض الاحيان او رجلا من العامة ظل اسمه مغمورا يطويه الغموض . وقد يرجع تاليفها الى الارتجال . ثم ان الاغنية الفولكلورية جماعية ـ اى أن نصها لايثبت دائما بل تطرا عليه تحويرات وتعديلات واضافات . وفى هذا تنسجم

---

١ ـ النوبى السنوسى . الاغنية الشعبية فى تونس نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ـ العدد الاول ، ١٩٦٥ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

الابوذية مع هذا الاطار الذى حدده الكسندر كراب للاغنية الشعبية ([1]).

وفى مصر تواكب الاغنية الشعبية ، ومنذ عصر الفراعنة حياة الانسان المصرى من المهد الى اللحد ، معبرا عن افراحه واحزانه . فمنذ اللحظة الاولى لميلاد طفل مصرى تبدأ الاغنية والترنيمة تأخذ طريقها الى اسماعه : تهنئة وتهدهده لينام وليهدأ على ايقاع الاغنية الحالم الهادىء الرقيق . ثم تؤدى له الاغنيات فى الاحتفال بمرور اسبوع على مولده من خلال طقوس دينية .

وفى الاغانى الشعبية المصرية نجد عنصر الحزن متمثلا فى الآهات التى يبدأ الشاعر بترديدها مثل الاوله آه ، والثانية آه ، والثالثة آه .. وقد يبدأ الشاعر بياليل ياعين ويصيب فى بدايته كل ما فى الليل من ظلام وشجن ووحده ،وكل ما فىالعين من دموع .ومن حق المصرى ان يتأوه فى اغانيه وهو الذى استعان عليه الحكام بأبشع وسائل الضغط والارهاب، وهو الذى كان المحتسب يتبع معه اقسى وسائل الحكم فيقطع اذنه أو يفقأ عينيه أو يجلده امام زوجته أو يجلسه فوق النار الملتهب . وهو الذى احرقت القاهرة عاصمته مرات احداها فى الحرب بين شارر وضرغام والاخرى فى عهد فاروق . وهو الذى فتكت الامراض والحميات والآفات بأهله وأهلكت المجاعات حرثه ونسله حتى اكل الناس الميتات والجيف والكلاب والبعر والروث ([2]) .

الموسيقى الشعبيــة :

تختلف الموسيقى الشعبية عن الموسيقى المثقفة فى أن هذه الاخيرة يتحكم فى تاليفها وادائها القواعد العلمية ، فهى منظمة فى ايقاعاتها

---

١ - د. صبرى مسلم . الايقاع فى الابوذية العراقية . نقلا عن مجلة التراث الشعبى ، العدد الفصلى الرابع ، ١٩٨٧ ص ص ٦٥ - ٦٧ .

٢ - انظر ابراهيم شعراوى . الفنون الشعبية فى بلاد النوبة ص ٤٨

وتراكيبها وبناءاتها الفنية . أما الموسيقى الشعبية فتتميز كعناصر الفولكلور ببساطة مكوناتها . فهى موسيقى (ميلودية) لحنية سهلة الاداء . كما تتميز بالانتقال السماعى ، وليس على النوتة الموسيقية المكتوبة ، مما يساعد على الارتجال ، ويؤدى الى التنوع والابتكار والتجريد .

وعادة ماتكون الموسيقى الشعبية مصاحبة للمناسبات الاجتماعية ، وبعناصر الفولكلور المختلفة من رقص ودراما وحكايات وشعائر دينية . وفى هذا يرى فرانس بواس : أن التعبير بالموسيقى يرتبط ارتباطا وثيقا بالتعبير بالكلمات والتعبير بالرقص .

ويعتمد التلحين الشعبى على التكرار ، والذى يعتبر احد التكوين الغنائى فى الموسيقى الشعبية . ويستند هذا التكرار على الايقاع . وتختلف الموسيقى الشعبية باختلاف المجتمعات والثقافات من حيث بنائها . فعلى سبيل المثال ، فان الموسيقى الغربية تعتمد على سلم موسيقى يتكون من ثمانى درجات موسيقية . اما الموسيقى فى كثير من المجتمعات المحلية فانها تعتمد على خمس نغمات . كذلك فان الايقاع الموسيقى نفسه يتأثر بالاختلاف الثقافى (١) .

وتعتمد الموسيقى الشعبية على آلات موسيقية بسيطة التركيب ، ومصنوعة من خامات البيئة ، وهى سهلة فى العزف عليها . وفى مصر ترجع آلات الموسيقى الشعبية الى آلاف السنين قبل الميلاد . فالناى فى مصر الفرعونية يعود الى عصر ماقبل الاسر ، حيث نرى فى النقوش صورة الناى ذى الثقوب العديدة يستخدم فى منظر للصيد .

اما الزمارة المزدوجة والارغول ، فهى قصبتان متجاورتان

---

١ - انظر سمير نجيب . الموسيقى الشعبية . نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد الاول ، يناير ١٩٦٥ ص ٧٧ .
وانظر د. فاروق أحمد مصطفى . مقدمة ودراسات أنثروبولوجية ، الجزء الثالث ، ص ١٣٩ .

متوازيتان احداهما وهى القصبة اليمنى عادة اقصر من الاخرى ، وعلى جانبها ثقوب لاداء اللحن . اما القصبة اليسرى وليس بها ثقوب فتقتصر وظيفتها على مصاحبة اللحن بصوت ثابت . ويمكن ان يتغير هذا الصوت المصاحب حدة وغلظا باضافة عدد آخر من قصبات فرعية توصل بتلك القصبة الرئيسية ، وحينئذ تسمى تلك الآلة (الموصـول) ، وهـى ماتعرف فى بلدنا باسم الارغول .

أما الآلات الوترية المستعملة فى الموسيقى الشعبية ، فهى كالقيثارة العود والقانون والرباب . وهناك الآلات الايقاعية ذات الرق وهـى الدربكة والطبلة والدهلة والدف والنقرزان ، والطبل البلدى . ثـم آلات النقر المصوته ، وهى الصنوج النحاسية ، والصاجـات والكاس والناقوس (١) .

الرقص الشعبى :

يستخدم هذا المصطلح لوصف مايبدعه الناس من اشكال الرقص المتعارف عليها بين الشعوب المختلفة ، والتى تكون ذات اصول متشابهة ثم تناقلها من جيل لآخر لفترة طويلة . والرقصات الشعبية هى نتـاج الحياة نفسها تستقى من نشاطات الناس لتعكس اعمالهم التى يقومون بها مثل الزراعة ، والحرب ، والمواقف الرومانسية ، وكذلك اعيادهم واحتفالاتهم وطقوسهم التى يمارسونها ، وعاداتهم ، ومعتقداتهـم ، وافكارهم . انه مرآة تعكس تاريخ الشعب والاحـوال الطبيعية التى تعيش فيها . ويؤدى الرقص الشعبى فى المناسبات والاعياد وخـلال الرحلات .

---

١ ـ انظر د. محمود احمـد الحفنى . آلات الموسـيقى الشعبية . نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد الاول ، ١٩٥٩ ، ص ص ٣٢ ـ ٣٣ .
وانظر ابراهيم زكى خورشيد . الاغنية الشعبية والمسرح الغنائى ص ٣٧ .

ويصاحب الرقص الشعبى الموسيقى والغناء الشعبى . ويطور كل مجتمع رقصاته الشعبية الخاصة به كما تنتقل هذه الرقصات من جيل لآخر . ويتم طبقا لطقوس معينة تعبر عن ثقافة البلد ، فظهور الريفيات فى زيهن ذى الالوان الزاهية ، واغطية الراس السوداء ، ومناديلهـن الملونة ، وضفائرهن المجدولة ، وكذلك صور الشباب ذى الاعين المتالقة ، والقامة الممشوقة ، والجلباب الطويل ، وهم يقفـزون ، ويضربـون الارض مع صوت الموسيقى الشعبية المصاحبة للرقص . واشتراك كل من الرجال والنساء فى معظم هذه الرقصات ، كل هذا يتجسد لنا فى صور تقفز الى الذهن عند ذكر الرقص الشعبى .

ويشتمل الرقص الشعبى على القيم الآتية :

١ - القيـــم البدنيـــة :

يؤثر الرقص الشعبى بصورة واضحة فى بناء الجسم وتشكيله ، واكتساب القوام الجيد والاحتفاظ بالصحة وزيادة كفاءة الاجهزة العضوية بالجسم ، ورفع مستوى اللياقة البدنية عن طريق تحسين وتنمية القوة ، والرشاقة ، والمرونة ، والتوافق ، والتحمل . كما ينمـى الاحساس بالايقاع والعلاقات بين المسافات .

٢ - القيـــم الاجتماعية :

تتصف حركات الرقص الشعبى بالسهولة والتلقائية والجماعية ، مما يشجع الافراد من الجنسين ومن كافة المستويات الاجتماعية ، وفى مختلف المؤسسات على ممارسته ، مما يعمل بالتالى على اكتساب خبرة العمل مع الجماعة وتوحيد روابط الصداقة والالفة بين الافراد . فالفرد يتعلم باشتراكه فى جماعة الرقص الشعبى كيف يتعـاون مع الآخرين وكيف يقبل مسئولية اللعب وفقا لدوره المحدد له فى الجماعة .

٣ - القيـم الثقافيـة :

ينظر البعض الى الرقص الشعبى باعتبـاره صورة عـن الحياة

القومية. بالوانها وخلفيتها الرائعة من خلال زى الرقص ، والعادات والموسيقى والقصص الشعبى • وهو يرتبط بدراسة الموسيقى واللغات للشعوب الاخرى ، والانشطة الدراسية والفنون (تصوير - زخرفة - نحت - كتابة - طباعة) •

٤ - القيم الترويحية :

يعتبر الرقص الشعبى من اهم مصادر الترويح عن النفس ، فهو مجلبة للسعادة والمرح فى مجموعة تتصف بالود واحترامها للاخرين • كما انه يزيل الارهاق العقلى ، والقلق العاطفى •

وقد بدأت الرقصات الشعبية منذ فجر التاريخ ، وفى مراحل التوحش والبربرية فى شكل من اشكال الاحتفالات الدينية ، من حيث انها ترتبط بالقوى الخفية والسحرية • فقد احتفى الاغريق بالرقص ، وكانت الرقصات الديثورامبية التى تقام تكريما للالة ديونيسوس قديمة ضاربة فى القدم • وقد اشار ارسطو فى كتابه « فن الشعر » الى أن الماساة الاغريقية نشات من هذه الرقصات الديثورامبية •

والرقص الصينى له تاريخ مثير للاعجاب ، وقد ابدع الصينيون القدماء رقصات بدائية كانت تعبر بالتمثيل الايحائى الصامت ، والحركات الجسدية عن المعارك التى يخوضونها ، والحب ، وطقوس تقديم الاضاحى ، والقرابين للآلهة •

وتعتبر رقصة «العهود الستة» من أقدم الرقصات الصينية ،أذ تعود الى القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، وهى تشمل ست رقصات تعكس تاريخ ستة عهود • وقد اكتشفت بمقاطعة تشانجهاى أوانى فخارية ملونة عليها ثلاثة رسوم للرقص يرجع تاريخها الى العصر الحجرى الحديث •ومارس الصينيون الرقص فى أوقات المجاعات والكوارث وانتشار الامراض وارتفاع معدلات الوفيات •

---

١ - أنظر د• فاطمة على العزب• الأسس العلمية للتعبير الحركى الشعبى ص ص ١٣ - ١٥ •

وكانت بعض القبائل الهندية ترقص من أجل احضار أمطار الربيع مبكرة ، كما كانوا يرقصون رقصة الحرب ، والصيد التى يحمل كلاهما قيما سحرية ٠

ولقد طور القدماء الرقصات الشعبية ، فأصبح الرقص الشعبى يمارس فى مناسبات اعياد الميلاد والزواج ، وحتى فى الجنازات ٠وفى بعض المجتمعات يمارس صغار السن الغزل من خلال الرقص فرقصات اللاندلر Landler النمساوية ، والفاندا نجو الاسبانية هى رقصات تعتمد على اشارات الغزل ٠

وتمارس رقصات شعبية اخرى لعلاج الامراض ، مثل رقصة الترانتلا فى ايطاليا كوسيلة لعلاج عضة العنكبوت ، أو للحصول على محاصيل شعبية ، او لكسب معركة ٠ ففى اسكتلنده تجرى رقصات شعبية باستخدام السيوف من اجل الانتصار فى معركة ٠ وتشتمل الرقصات الشعبية الاوربية على رقصة الجيج الايرلندية والفلامنكو الاسبانية ، والبولكا التشيكية ٠ أما الفشل فى أداء الرقص ، فيؤدى الى نقص المحصول والى المجاعة والبؤس (١) ٠

وفى عصرنا الحالى يرقص الافريقيون للتعبير عن الفرح ، والحزن، ويرقصون من أجل الحب ، والبغض ، واجتلابا للخصب ، أو لابعاد الكوارث ٠ كما يرقصون لاداء الشعائر الدينية ٠

ولم يزاول الانسان العربى الرقص بغرض الترفيه او قطع الوقت، بل كان الرقص مواكبا لحياته وتاريخه ، ومعبرا به عن مشاعره وآماله

---

1 — See The Encyclopedia, World Book, p.p. 282 - 283.

وانظر د٠ غبريال وهبه ٠ الرقص الشعبى الصينى ٠ نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢٢ ، ١٩٨٧ ، ص ٨٩ ٠

وافراحه واحزانه وطقوسه وعاداته وتقاليده [1] .

ففى فلسطين ترقص الديكة فى العادة على انغام موسيقية هى الحان (دلعونا) فى الغالب ، وينزل الساحة فى (الدبكة) من ٥ - ٧٠ شبان وربما اكثر ، يتقدمهم القائد ، ومن خلال الرقصة يلوح (بمحرمته) اى بمنديله ، ويستمر فى حركته فى الاتجاه الدائرى مع جماعة الراقصين على انغام الموسيقى والغناء واذا امعنا النظر فى الحركات التى تشملها رقصة الديكة نجدها تتالف من خمسة اجزاء رئيسية :

١ - القفز الى اعلى .

٢ - دق الارض بالاقدام .

٣ - التكاتف اى يمسك كل فرد من الراقصين بزمام الاخر .

٤ - الدوران البطىء او السريع .

٥ - اية اصوات او حركات وجدية مرافقة للرقصة .

اما القفز الى اعلى فجذوره البدائية هى الرمز الى نمو الزرع وارتفاعه ، وقد تطور هذا الرمز فاصبح يعنى علو الشعب وعلو الامة وعلو الوطن .

اما دق الارض بالاقدام فجذوره البدائية هى محاولة طرد القوى الشريرة ، وقد تطور هذا الرمز ، فاصبح يشير الى قوة الشعب وقوة الامة ، والثقة بحتمية العودة الى فلسطين وتحريرها من شرور الصهيونية [2] .

---

١ - عادل عمر عفيفى . نحو دراسة علمية للرقص الشعبى العربى نقلا عن مجلة الفن المعاصر ، العددان الثالث والرابع ١٩٨٧ ، ص ص ١٣٣ .

٢ - مجلة التراث الشعبى ، بغداد ، العدد الثانى ، ١٩٧٧ ص ص ١٥ - ١٦ .

اما المصريون القدماء فلم يغفلوا الرقص فى اى احتفال لهم ، لانهم كانوا يعتبرونه تعبيرا عن الفرح • ولقد اعتاد الفلاحون ممارسة الرقص عند تقديم بواكير محصولهم الى المعبود (مين) رب مدينة (قفط) • وبانت جذور الرقص فى ايام الاحتفالات باعياد المرح والسرور التى كانت تقام للمعبودتين العظيمتين (حتحور) و (باستت) •

وفى العصر الفرعونى ، كانت الراقصات يرقصن رقصاتهن الجنائزية امام نعوش الموتى فى اثناء تشييعهم • وهذا مانراه مصورا على جدران المعابد والمقابر الفرعونية القديمة فى الاقصر وسقارة ، ونشاهد فيها الرقصات التى تتقدم المواكب الدينية ، والرقصات ذات الطابع الجنائزى التى تتقدم مواكب الفن •

وفى الآثار القبطية نرى اقمشة صوفية يرجع تاريخها الى القرون الاولى الميلادية ، وعليها صور لالوان متنوعة من الرقصات القديمة التى كانت تشترك فيها الصبية والنساء ، فتمثل فى حركاتها فنونا من الرقص الشديد الشبه بالرقص اليونانى القديم •

ويأتى بعد هذا العهد الاسلامى ، حيث نشاهد نماذج للرقص ممثلة على بعض حليات وزخارف ، اغلبها من العصر الفاطمى • ويمكن ان نستنتج منها على الرغم من قلتها ان فن الرقص فى تلك الفترة كان يتميز بالاحتشام اكثر من ذى قبل ، مع فقدان الطابع الدينى الذى كان يدعمه •

وقد اقترن الرقص فى العهود الاسلامية بالمسرات والمباهج • ومع ذلك ظل مقترنا فى اللاشعور بالمصائب والاحزان • كما كان بعض انواعه مرتبطا بالموت فى الازمنة القديمة • والدليل على ذلك نستوضحه فى راى بعض الكتاب العرب فى تفسير الاحلام • فهذا ابن سيرين يقول فى رؤيا الرقص فى المنام : واما الرقص فهوهم ومصيبة مقلقة ، واما الرقص للمريض يدل على طول مرضه ، وقيل رقص الفقير غنى لايدوم ، ورقص المراة وقوعها فى فضيحة •

واما رقص من هو مملوك فهو يدل على انه يضرب ، واما رقص المسجون فدليل الخلاص من السجن ، وانحلاله من القيد لانحلال بدن الرقاص وخفته . واما رقص الصبى فانه يدل على أن الصبى يكون أصم واخرس ، ويكون اذا اراد الشىء اشار اليه بيده . واما رقص من يسير فى البحر فانه يدل على شدة يقع فيها . وان رقص انسان لغيره ، فان المرقوص عنده يصاب بمصيبة يشترك فيها مع الراقص . ومن راى كأنه رقص فى داخل منزله ، وحول أهل بيته وحدهم ليس معهم غريب فان ذلك خير للناس كلهم بالسواء .

وقد اختفى فن الرقص فى المراجع بضعة قرون ، ثم ظهر مرة اخرى فى مراجع القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ولاسيما فى رسوم ووصف الرحالة الاجانب الذين زاروا مصر فى تلك الفترة التى نعثر فيها على امثلة كثيرة لاساليب الرقص وللمشتغلات به ، وتفاصيل عن ثيابهن وطرق معيشتهن وشرح لطرق الادوات وأنواع الحركات .

هذا ولا وجه من وجوه الشبه بين رقص الشرقيين ورقص الغربيين بوجه عام كاحدى وسائل الابتهاج والسرور من الجنسين اللطيف والخشن ومن المحال فى الشرق ان تراقص امرأة رجلا . والرقص فى أوربا رياضة عملية تتلخص فى أداء اشواط من الحركات موقعة ايقاعا متناسقا ، وتحريك الساقين تحريكا يراعى فيه الاقتران والتوفيق على وجه الدقة والضبط . أما فى مصر فما هو الا تتابع اوضاع وتعاقب حركات ، يلتوى الجسم فيها تارة ، وينعطف اخرى (١) .

الفنـون التشكيليـة الشعبية :

لكل فنان منهجه الخاص واسلوبه التعبيرى المميز الذى يحدد ملامح شخصيته وطبيعة نمطه وطابعه النوعى المتفرد واختلاف الوان التعبير

---

١ - أنظر سعد الخادم . الرقص الشعبى فى مصر ص ص ١٠٦ - ١٠٧و ص ص ١١ - ١٢ .

الفنى من علامات الصحة فى مجال الفن التشكيلى لانه يؤكد شخصية الفنان الحره ، ويصبح فى حد ذاته ، وفى ظل هذا التنوع وسيلة لاثراء التجارب الفنية وانماطها واحيائها ، كما يتميز كل فنان شعبى بمفرداته التشكيلية التى يعرف بها وتعرف به ، وان بدأ فيه نوع من الامتداد والتواتر ، وهذا يقتضى من الفنان الشعبى أن يمر بخبرات كثيرة على نحو مثمر من التفكير الجمالى والمفاهيم التى يهتدى بها اثناء العمليات التنفيذية التى يتمرس بها .

ومع ذلك فان العمل التشكيلى الشعبى يرتكز على مجموعة من الاسس والقيم والعناصر التى تؤلف فى ترابطها وتكاملها البنية الجمالية التى تشكل الصورة العامة التى تسهم فى تكوينها . فالفنون التشكيلية الشعبية تتميز بأن لها باعث أساسى نحو تحقيق غرض وظيفى يهدف اليه . ولايقتصر هذا الهدف على مايتضمنه من مقتضيات الجمال الشكلى فحسب . ومن ثم يكون لزاما ان نتحرى المدى الذى يسعى اليه الفنان الشعبى .

وللفن التشكيلى الشعبى وظيفة نفعية فى الحياة ، فالانسان لايبدعها لكى تكون مقتنيات متحفية أو ترفا ثقافيا فحسب ، بل يبدعها لنفسه لكى يستخدمها هو وغيره من أبناء المجتمع ، حتى وان ظهر فى بعض القطاعات الاجتماعية فنانون محترفون لنوع معين من هذا العمل الفنى الشعبى ... سواء فى عمل النسيج أو صناعة الحلى أم الرسوم الحائطية على جدران البيوت وابوابها .

وفى مجال تحليل العمل الفنى الشعبى التشكيلى ، والحكم على قيمته ونتائجه لاينبغى أن نغفل عنصر اللون ، من حيث ايقاعاته التى تصوغ مظاهر الانغام ، وتربط بين الوحدات برباط وثيق ، واحداث التفاعل بين لون وآخر ، سواء كان ذلك من خلال عامل التباين ، أو عامل التوافق اللونى ، ومن خلال ماتقتضيه عناصر

الموضوع من قوة ووحدة لونية ، ومن الوان تتسم بالهدوء ، وتختلف تبعا لذلك فى درجاتها كما وكيفا بحسب ما يمليه التعبير الفنى .

وفى مجال الاستخدام اللونى ، نستطيع الحكم على هذه الالوان فى ضوء الاحاسيس النفسية والشعورية عن اللون الاحمر ، انه صارخ أو عدوانى أو لامع ، او متوهج او دافىء او حافل بالاثارة والحرارة . أما اللون الازرق فنخلع عليه صفة الانطواء او البرودة او الاحتشام او الرقة او الوقار . أما اللون الاسود فانه يعبر عن الحزن ، وفى اللون الاخضر النضارة والحيوية والامان ، وأما اللون البنفسجى فدليل الامل والرصانة والانسجام ، واحيانا يكون قرين الحزن والاسى لدى بعض الاجناس ، واللون الاصفر دليل السقم والغيرة ، وقد يكون رمزا للتفاؤل والامل لدى بعض الشعوب .

ومن اهم السمات التى نلمسها فى الفن التشكيلى الشعبى اكثار الفنان من النظر والتامل فى آفاق هذا الكون الفسيح ، مما يزيل تهمه السطحية والتفاهة والسذاجة عن العمل الفنى ، ويسفر عن كشف للحقائق التى يعجز العلم التقليدى أن يبلغه ، وأن يصل اليه على هذا النحو (١) .

والجانب التعبيرى عنصر له أهميته فى اى عمل فنى ولاسيما الفن الشعبى بالقياس الى غيره من العناصر الحسية الاخرى التى تتفاعل معا . وهذا التعبير يعرب عن حقيقة الموضوع وابعاده الكلية ، كأسلوب نوعى متميز يحقق طابع الفنان بتأثيره الذاتى .

---

١ - انظر محمود النبوى الشال . الفنون التشكيلية اداة اساسية للكشف عن الحقائق الكونية والقيم الجمالية . نقلا عن مجلة الفنون الشعبية . العدد ٢٦ ، ١٩٨٩ ، ص ص ٩ - ١١ وانظر محمود النبوى الشال . الاسس الحاكمة فى تقويم الاعمال الفنية الشعبية التشكيلية . نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢٤ ، ١٩٨٨ ، ص ص ٥٢ - ٥٣ وانظر صفوت كمال . الحلى والازياء الشعبية - استطلاع الكويت ، ص ٧٤ .

ويتكون الموضوع الفنى الشعبى من مجموعات ووحدات منوعة ٠ ترتبط ببعضها مع البعض الاخر على نحو يؤدى الى التماسك والتلاحم فى وحدة شاملة ، وهذا من شانه ان يوفر الحيوية الجمالية بحيث تسترعى الانظار ويستنهض التفكير فى ماهية الاشكال وانتظامها فى كل متحد ٠

وغالبا مايتجه الفن الشعبى الى الاعتزاز بالبطولة وتمجيدها ، واعتبار ابطال القصص الشعبى هم المثل العليا لكل شاب ، وكانت قصص ابو زيد الهلالى ، وعنترة بن شداد ، نجدها رسما على جدران المقاهى الوطنية ، ووشما على اذرع الشباب (١) ٠

ويشاهد اليوم الفن التشكيلى الشعبى فى الولايات المتحدة الامريكية وهو نتاج ثقافى متباين ومتعدد ٠ وقد انبثق هذا الفن فى الريف ، وفى الجيوب المتناثرة فى أمريكا الجنوبية ، وكذلك فى الشمال حيث المناطق الصناعية المزدحمة بالسكان ، والذين ساد بينهم صناعة اشياء ذات انماط قديمة ٠ ويتطابق ذلك مع تعريف جلاس Glassie لكلمة الشعب Folk ، والتى يقصد بها اولئك الذين تأثروا ، وشاركوا فى الحضارة التى سادت فى أمريكا فى القرن التاسع عشر ، وقدموا أعمالا فى الفنون التشكيلية الشعبية فى مجال الحياكة والتصوير ، والرسم والنحت (٢) ٠

فلقد حاول الفنان الناشىء روبرت روشنبرج فى النصف الثانى من عام ١٩٥٠ ان يجمع فى صوره واحدة عناصر من مصادر مختلفة متضادة heterogeneons ، وذلك بقصد خلق معنى جديد مفاجىء ٠ ومالبث أن لحقه جاسبر جونز Jasper Johns فى الطريق ، وكان

---

١ — انظر محمود النبوى الشال ٠ العناصر الاساسية فى بيئة الفنون الشعبية ، نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢٢ ، ١٩٨٨ ، ص ص ٨٠ — ٨١ ٠

2 — See .Kenneth L. Ames, Beyond Necessity in the folk Tradition, pp. 41 - 42.

هدفهما أن يستخدما كل شىء فى الحياة اليومية . وتتحول الرؤية الى صورة مزدوجة ، ترتبط احداهما بتلقائية الحياة ، وترتبط الاخرى بالعنصر المفاجىء غير المتوقع [١] .

وفى مصر الفرعونية يميز الفنون القديمة فى مجال التصوير الحائطى فى عصر ما قبل الاسرات تناولها موضوعات الصيد والقنص رسمت على الاحجار مباشرة بطريقة لاتحتاج الى تحضير أو تحديد مساحات معينة لتصميم الوحدات بداخلها وتتجنب تلك الرسوم فى غالبية الاحيان تصوير المظاهر الطبيعية ، وتعتمد فى الوقت نفسه صياغة الاشكال والوحدات فى قالب زخرفى او هندسى ، واذا رسمت الحيوانات أو الطيور عبر عنها بطريقة مبسطة يغلب عليها الطابع السحرى أو الطوطمى .

وتبدو غالبية هذه الرسوم كما لو رسمت بواسطة اقلام ، فهى تعتمد على خطوط ، وقلما تتخذ مساحات لونية . وفى الحالات التى يرغب فيها الفنان ايجاد مساحات لونية نراه يخطط فى معظم الحالات على الوحدات المرسومة فيكسوها بشبكة متقاطعة من الخطوط .

وترى هذه الفنون فى مناطق متفرقة من النوبة . وهناك لوحة مشهورة تمثل بعض مناظر الصيد بالمتحف المصرى منقولة عن رسم حائطى بجهة الكوم الاحمر . كما نرى هذه الرسوم الحائطية منفذه على الآنية الفخارية التى ترجع الى تلك الفترة السحيقة ، حيث نجد الخط الحلزونى أو اللولبى ليرمز به عن تدفق الماء ، وكاستخدامه للصليب المعقوف للدلالة على الفال الحسن ، أو عن الفصول الاربعة للزراعة . وكذلك نراه يستخدم الخطوط المعرجة للدلالة على سريان الماء [٢] .

---

١ ـ د. محمود البسيونى . الفن فى القرن العشرين من التأثيرية حتى فن العامة . ص ١٩٦ .

٢ ـ سعد الخادم . تصويرنا الشعبى خلال العصور ص ص ٧ ـ ٨ .

ونلاحظ - مثلا - فى فنون التصوير والنقش فى الدولة الفرعونية الوسطى أن الفترات التى ضعفت فيها سيطرة الملوك وانقسمت البلاد الى مقاطعات شبه مستقلة ، او اصيبت البلاد بمجاعات قد اثرت على الفنون التلقيدية بعض الشىء وجعلها تقترب الى حد ما من الفنون الشعبية من حيث طابعها الذى تتمثل فيه السذاجة أو المرح أو الانفعالات الفطرية المختلفة ٠

ففى جهة مير بالوجه القبلى نقوش جنائزية ، وهى إن عبرت عن مآسى المجاعات وقتذاك فانها تكشف ايضا عن نظرة الفنان الساخرة لمناظر الاجسام النحيلة التى تشبه الهياكل العظمية ٠

وفى بنى حسن نشاهد مقابر صورت على جدرانها مناظر لبعض الالعاب الشعبية والعاب القوى وقتذاك ، فتكشف فى بساطتها وتعبيرها عن حركات الاجسام فى مواضع مختلفة تعبيرا جريئا ليس فيه كلفة الفنان عندما كان يصور الآلهة الفرعونية او المناظر الجنائزية والقرابين على الطريقة التى كانت شائعة خلال العصور الفرعونية الاخرى (١) ٠

اما الجانب الشعبى فى العصر القبطى فنلمسه فى النسيج الذى تميزت به بعض مدن الصعيد ٠ ولنرجع الى ماكتبه المقريزى عن وصف اعياد النقطة والنيروز ، وماكتب فى بداية القرن الحالى عن مولد ست دميانه ، وأبى سيفين ، مما يصور لنا جو تلك الموالد الذى تمتزج فيه اجواء المهرجانات المكتظة بالاهالى والاطعمة بدافع الايمان والترابط بين الناس والمشاركة فى التجمهر ، فهذا ما نلمسه فى الرسوم المصورة والنقوش المنسوجة بطريقة زخرفية على الاقمشة القبطية القديمة ٠

كما أن هناك اشكال بعض الحيوانات او الطيور تجرى أو تطير، وقد انتقى لها الفنان من بين أوضاعها المختلفة ما يبرز

---

١ - نفس المرجع ٠ ص ص ٢٠ - ٢١ ٠

فيها جانب الطرافة والمرح الذى قد ينسينا عند التدقيق فيه مآسى القديسين وتفانيهم فى سبيل العبادة والايمان ([١]) .

وفى العهود الاسلامية انتقل انواع التصوير الى الحرف والصناعات، وأن ما كان يصادفه التصوير العربى من معارضة خشية ارتداد الناس عن طريق الرسوم الحائطية وغيرها الى عهود الوثنية ، وما لاقته فنون التصوير والنحت من تحريم ومقاومة لاسباب دينية قد تساعد على تشعب هذا الفن وانتقاله من الرسوم الحائطية واللوحات المرسومة على الخشب والقماش الى فنون التصوير الملحقة بالصناعات - اى الحليات المتممة لها سواء فى مجال النسيج او الخزف أو الآنية المعدنية وغيرها الامر الذى البسها طابع الزخرفة من جهة ، وقلل من اهمية التصوير من جهة أخرى .

وبدأت حركة التاليف والترجمة تنتشر فى مختلف انحاء البلدان العربية بما فيها مصر منذ القرون الاولى من العهد الاسلامى ، فنرى الكتب الخاصة بالرحالة والجغرافية بوجه عام تصف البلدان والاقطار النائية ، وتعتمد احيانا على الرسوم ، لتوضح بعض المواقع الجغرافية، وكثيرا ما زودت تلك المخطوطات بالخرائط الملونة والرسوم الايضاحية.

ومن هذه المؤلفات كتاب ابن بطوطة الذى عاش فى القرن الرابع عشر الميلادى ، فقام برحلة الى الصين وغيرها من البلدان ، والمسعودى الذى عاش فى القرن العاشر الميلادى ، والف كتاب «مروج الذهب» ، والذى يتحدث فيه عن بلغاريا وبلاد السويد والنرويج ، ثم الاصطرخى الذى عاش فى القرن الحادى عشر وكتب كتابا فى الجغرافية باسم « مسالك الممالك » ، والادريسى الذى كتب فى القرن الثانى عشر «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » . وبدار الكتب بالقاهرة نسختان احداهما

---

١ - نفس المرجع ص ص ٢٨ - ٣١ .

لكتاب الادريسى ، والاخرى للاصطرخى . وفى هاتين النسختين مناظر ورسوم ذات طابع شعبى زخرفى بديع (١) .

وفى العهد المملوكى نرى النقش والتصوير ممثلا فى الرسوم على الصناديق التى تباع للعرس ، وتصور عليها اشكال من النباتات ، واحيانا اشكال الاسماك ، لما تحمله من معانى مرتبطة بالاكثار كما كان النقش على الاثاث شائعا (٢) .

ومنذ القرن الماضى شاع التصوير بداخل القصور ، وقد تولاه بعض الاجانب . وكان لهذا اثره فى الفنون الشعبية ، ولاسيما التصوير الشعبى الذى شاع فى بعض المقاهى الشعبية فى القاهرة والاسكندرية ، وغيرها من العواصم الكبيرة ، حيث كانت تصور على جدران تلك المقاهى مناظر من الريف ، أو مناظر السواحل بما فيها من مراكب وصخور. وكذلك التصوير الحائطى المعبر عن سفر المحمل أو عودته ، وحوله الجماهير الفرحة به ، فمن المشاهد التى تسترعى نظر الزائر لقرى البر الغربى بالاقصر الرسوم الحائطية المرتبطة بموضوع الحج ، والتى يدخل فى تكوينها رسوم لبعض الاشجار مثل النخيل والسنط والجميز وغيرها . كما ترسم احيانا على واجهات البيوت أو قاعاتها الداخلية أنواع من الطير كالصقر - مثلا - ، وبعض أنواع من البهائم والماشية .

ومنذ عام ١٩٤٥ ظهر جيل من الفنانين من أمثال سمير رافع ، والجزار ، وندا ، والسجينى ، اتخذوا من رسوم الوشم ورسوم عنترة التى تزين المقاهى الشعبية مجالا لهم .

وهناك الرسوم التى ينقشها الباعة الجائلون ، ولاسيما باعة الاغذية على عرباتهم ، اذ ينقشون عليها زخارف وأشكال من الطير ،

---

١ - نفس المرجع . ص ص ٦٥ - ٦٦ .

٢ - نفس المرجع . ص ١١٦ .

والحيوان ، أو رسم الاشخاص بأسلوب خيالى وعلى الاخص العرائس او الجوارى أو الحوريات التى تزين فى غالبية الاحيان زوايا أو أركان العربات ٠

وهناك كذلك أعمال الكليم والحصير والسلال والاباريق وقلل مزخرفة ، ومزينة بالاشكال الهندسية المحفورة ، أو بالطينات الملونة ، وكذلك أعمال التطريز على الملابس ، واشكال آنية الفخار ، والحلى ، وعرائس المولد ، والحصان وعليه الفارس ، والقلعة وعليها الاعلام ٠

كل ذلك انحدر الينا من آلاف السنين من الفنون المتوارثة ، وهى تعكس اشكالا وموضوعات مستمدة من التراث أو من الاسطورة أو الحدوتة ، أو من ذكريات غامضة تسللت عبر سنوات طويلة منحدرة من جيل الى جيل نعرفها ولانعرف مدلولها (١) ٠

وها هو الفنان محمد ناجى ينتقى من مظاهر الحياة الشعبية حركات الناس أثناء جلساتهم فى تعبيرات وجوههم وانفعالاتهم الفطرية ، فاهتم بالجانب الظريف الذى قد يثير فينا الضحك أو الموعظة ، وكأنه يختطف ممن يرسمهم تلك اللحظات المتقدة فى حياتهم الذى تظهر فيها شخصياتهم على حقيقتها ، وهى أيضا فترات التجلى ، فهذه فتاة ريفية تحمل طفلا وتختلس النظرات لمن يرقبها ، وهذا طفل غارق فى نومه محاط بلفائفه ، ان مثل هذه الشخصيات فى سذاجتها تصور لنا روح الرجل الشعبى ٠

ولقد حاول كثير من الفنانين تصوير الحياة الشعبية من مناظر السوق ، والمقاهى الشعبية والسقاء وبائع العرقسوس وما الى ذلك من

---

١ - انظر ابو صالح الالفى وآخرين ٠ التذوق الفنى وتاريخ الفن ص ص ١١٧ - ١١٨ ٠

مناظر . وكانت رسومهم تأتى فى غالبية الامر معبرة عما يتخيلونه عن الريف أو الحياة الشعبية ([١]) .

الالعـــاب الشـعبية :

يقصد بالالعاب الشعبية كل لعبة يمارسها العامة منذ المهد الـى اللحد ، وهى مثل اشكال الفولكلور الاخرى يتوارثها الناس عبر الاجيال كنوع من التقاليد الشعبية ، وهم يغيرون منها أو يحرفون فيها ، ومع ذلك فهى تتغير ببطء شديد . وتتميـز الالعـاب الشعبية بالموافقـة التلقائية .

ويستخدم اللاعبون للالعاب الشعبية جسم الانسان ، وبعض أجزاء النبات كالجريد ، والخشب ، والثمار ، وعنـاصر الطبيعـة . فالماء يمارس فيه العاب السباحة ، والغطس ، وصيد السمك والهواء يمارس فيه العاب القفز أو الوثب ، وصيد الطيور وتطيير الاشياء التى لاتطير كطائرات الورق ، أو القراطيس التى تشـبه الاوراق أو الطيـور . والنار يمارس بها العاب اشعال النار فى مناسبات معينة ، والمهرة مـن اللاعبين يمارسون لعبة بلع أو اطفاء النار داخل افواههم . أما التراب والرمل فيمارس الانسان الشعبى بها تشكيل الطمى ، أو بناء بيـوت التراب والرمل أو السيجة .

وتعتمد الالعاب الشعبية على انشطة بسيطة . ولتلاحـظ كيـف تدرب الام طفلها الرضيع على تحريك اطرافـه أو رفعـه فى الهـواء (الهشتكة) ، ثم كيف تعلمه المشى . لكن أول خيط فى الالعاب التـى يعتمد فيها الانسان على جسمه : الجرى ، ثم القفز ، والمسك والاختفاء، والعاب التوازن ، والسباق بين الاطفال مثل لعبة الاستغماية ، ولعبة عسكر وحرامية ، والعاب صعود التلال والهبوط على سفوحها .

---

١ ـ انظر سعد الخادم . الحياة الشعبية فى رسوم ناجى ص ٣٥ .

ومن الالعاب الشعبية لعبة الشد ، والسحب ، وهى تمارس بكثرة فى الاندية الريفية ، وفى الحفلات الرياضية • وهى من العاب القوى التى تعمل على تقوية عضلات الذراعين ، والرجلين ، وعضلات الظهر ، والبطن • كما تكسب لاعبيها المرح والبهجة والسرور •

ويلعب هذه اللعبة فريقان متساويا العدد والوزن ، فيقف كل فريق منهما حاملا طرفا من الحبل الذى لايقل عن ٢٠ مترا ، ويقف الحكم بين الفريقين امام الحبل ليميز وسط الحبل بمنديل او علم ، ثم يعطى اشارة البدء بالشد ، فيشد كل فريق الحبل فى ناحيته بقوة عضلات ذراعه ورجليه ، فاذا نجح فريق فى زحزحة الفريق المنافس من مكانه ، وجذبه اليه اعتبر هذا الفريق فائزا بالمباراة •

وهناك لعبة الحجلة أو نط الحبل ، وهى لعبة شعبية بناتية منتشرة بين المدن المصرية - تلعبها البنات فى الصحوه والعصرية فى الاماكن الفسيحة والشوارع • وتنط الفتيات الحبل على توقيت أغنية الجيل المشهورة : انديه - تراوه - عربى - تركى - أخرج بره - ياسى عبد الله - اوعى تيجى تانى مره [1] •

وتعتمد الالعاب الشعبية على انشطة بسيطة كالشد ، والسحب - مثل لعبة شد الحبل ، وكذلك الصيد ، والجرى ، والقفز والمسك والاختفاء ، والعاب التوازن • وقد ترتبط بالرقص ، والموسيقى ، والاغنية الشعبية ، وبالحركات والايماءات ، فلعبة :

---

١ - انظر احمد رشدى صالح • الالعاب الشعبية والمهارات الجسمية نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢٤ ، ١٩٨٨ ، ص ٧٥ •

الثعلب فات فات
الثعلب فات فات
وفى ديله سبع لفات
ياطالع الشجرة هات
كمثرى وبلح امهات
والثعلب فات فات

★★★

يا حلاوة على المدارس
واللعبة حلوة خالص
والثعلب فات فات

لعبة شعبية جميلة يلعبها الفتيات والفتيان فى المدارس والرحلات والمعسكرات وحفلات السمر الشعبى وفى الشوارع والميادين ، وهى تبعث المرح والسرور والبهجة فى النفوس ، وتنمى الحس وتوقظ الشعور ، وتلعب بالطريقة الآتية :

يجلس جميع اللاعبين فى دائرة متجهين نحو مركزها ماعدا واحدا يأخذ منديلا ملفوفا ومعقودا من الوسط يمثل الثعلب ويجرى خلف الدائرة وهو يصيح (الثعلب) ،فيردون عليه بقولهم (فات فات) ، فيقول (وفى ديله) فيرددون (سبع لفات) الى ان تنتهى الاغنية ، ثم يكرر اذا شاء .

وفى اثناء ذلك يسقط الثعلب منديله خلف احدهم دون ان يشعر بذلك - ويستمر فى جريه فاذا اكمل دورة كاملة - اى اذا رجع الى مكان المنديل مرة ثانية ولم يكن اللاعب قد احس بأن المنديل خلفه - فان الثعلب يتناول المنديل ثانية ويضربه به بينما يجرى الآخر امامه حول الدائرة هربا منه حتى يصل مكانه مرة اخرى فيتركه وهكذا .

ولكن اذا انتبه اللاعب الى المنديل فانه يتناوله ، ويجرى خلف الثعلب يضربه به ، ويجرى الثعلب الى المكان الذى خلا بقيام اللاعب ويجلس فيه ، وبذلك يصير هذا الشخص ثعلبا وتستمر اللعب ([1]) .

وفى الموالد نجد ان الكبار والشبان والاطفال يشتركون فى الالعاب الشعبية المنتشرة فيها مثل الالعاب النارية ، والعاب الحظ ، والعاب الاطفال كالمراجيح ، كما تنتشر العاب التحطيب ، والتى غالبا ما تتم على موسيقى المزمار البلدى .

وسميت اللعبة الاخيرة بالتحطيب لانها كانت تلعب أولا بالحطب، ثم بالعصى الغليظة (انبوت) ، ويسميها اهل الصعيد (لعبة القلاوى) وفى الوجه البحرى يسمونها (لعبة العصا) . وهى تلعب بالعصا على الطريقة المصرية للمنافسة بقصد اظهار المهارة والرشاقة وسرعة الخاطر ، وللقوة ، والدفاع عن النفس . ويلعبها المصريون (فلاحون وصعايدة) فى المناسبات (القومية والتاريخية والدينية كأعياد الفطر والضحية وشم النسيم ووفاء النيل ومولد النبى وموالد الاولياء) ، وكذلك فى الحفلات والافراح والليالى الملاح .

ويرجع تاريخ هذه اللعبة الى ما قبل عصر التاريخ عندما كانت وسيلة للدفاع عن النفس ، ثم تطورت اللعبة الى رياضة حينما أراد الله سبحانه وتعالى أن يراوض نبيه موسى عليه السلام فقال له : «وما تلك بيمينك ياموسى ، قال هى عصاى اتوكا عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى » .

وكان من مآرب موسى اللعب بالعصا مع أخيه هارون على طريقته

---

١ - أحمد الصباحى عوض الله خليل . المهارات والالعاب الشعبية - فرعونية - ريفية - حضرية ص ٥٦ .

الترويحية ساعة القيلولة حين خلود الغنم لراحة الظهيرة . كما كان من مآربه استعمالها فى الحراسة ، والدفاع عن النفس ضد الحيوانات الضارية ، وفى القفز فوق الجداول ، والقنوات ، وفوق الامكنة المرتفعة. واستعمالها ايضا فى اظهار زعامته لقومه وقيادته الدينية لهم ، وصولجانه فيهم (١) .

ومن الالعاب الشعبية الكرة الشراب وهى لعبة شعبية يلعبها الشبان فى ريفنا وحضرنا من عشرات السنين . وهى تلعب فى كل مكان مثل الشوارع والحارات والازقة ، وفى الاندية الشعبية والرياضية ، ومراكز الشباب والمدارس . ويرجع تاريخ هذه اللعبة الى تاريخ دخول كرة القدم فى مصر ، عندما احس الناشئون من الطلبة والعمال بضرورة مزاولتهم للعبة كرة القدم ، فراحوا يصممون كرة من الجوارب القديمة محشوة بعدد من الخرق واللفافات حتى تماثل بعض الشىء كرة القدم الجديدة المصنوعة من الجلد الثمين .

وتتكون المباراة فى هذه اللعبة الشعبية من فريقين يتكون كل منها من ستة لاعبين على الاكثر على ارض مسطحه مستوية بقصد خلق وتربية مهارات الناشئة ، والتدريب على احراز اكبر عدد ممكن من الاصابات .

وتصنف ، وتقسم الالعاب الشعبية ، وماهو مدون ليس تصنيفا جغرافيا ، وليس محدودا بحدود البيئات الاجتماعية المختلفة وانما يفضل تصنيفها حسب الآتى :

١ ـ الالعاب البسيطة الفردية والجماعية .

٢ـ الالعاب المركبة أو المعقدة .

---

١ ـ نفس المرجع . ص ص ٩ ـ ١٠ .

٣ ـ أصحاب المهارات الخارقة ٠

٤ ـ ألعاب السيرك ٠

الطب الشعبى :

يوجد فى كل المجتمعات تقريبا الاطباء التقليديون او المعالجون الشعبيون الذين يمكن ان نطلق عليهم تميزا عن غيرهم من الاطباء المطببين ، وهؤلاء لهم نظمهم الخاصة بهم والطرق والاساليب التى يستخدمونها فى العلاج ٠ وتختلف قوائم هؤلاء المطببين من منطقة الى اخرى ٠ ويمكن أن نعطى أمثلة لهم كالمتخصصين فى الاعشاب herbalists وبائعى العطارة herb - sellors والمجبرتية bone - ceties ،والمتخصصين فى الكى branding experts ، وحلاقى القرية barbers والدايات midnives ، والقابلات birth attendants والممارسين للشعائر الدينية كمشايخ الطرق الصوفية ، وصانعى المطر ، والاطباء، والسحرة ٠٠٠٠٠ الخ ، والعجائز وكبار السن ٠ وكل هؤلاء يعتمدون على خبراتهم التى استمدوها من تجارب السنين الماضية ([1]) ٠

ففى البوسنة مازال الطب الشعبى يطبق فى بعض مناطقها باشكال كثيرة من الوصفات التى كانت تستعمل قبل انتشار العلم الحديث ، وذلك كان يتناول الانسان بعض الاعشاب الطبية الطازجة ، ويفركها باصابعه ثم يبلعها قبل الافطار ، اوان تلف الجروح باعشاب مختلفة او تلف على جلود الحيوانات على الجسم ٠

وساعد على بقاء هذا الطب الشعبى فى البوسنة والهرسك كثرة الاعشاب الطبية ، وبخاصة فى فصل الربيع ، وكذلك المنتجات المعدنية٠

---

١ ـ د٠ فاروق احمد مصطفى ٠ مقدمة ودراسات انثروبولوجية ص ١٦٩ ٠

وعليه انتشر فى القرى عدد من الدجالين الذين يدعون الطب ، ويقومون بجبر العظام ، وتحضير الاعشاب الطبية ، والمراهم التى يطلقون عليها اسم « البسلم » . ويدعى البعض منهم معرفة نوع المولود وهم يستخدمون بجانب الادوية الطبية خدعا ، وكلمات سحرية وتعاويذ (١).

ويمارس الطب الشعبى فى منطقة الجولان السورية ، فقد كانت قنوات الاتصال بين المدينة والريف لم تاخذ شكلها الحالى المتطور ، كما كانت ندرة النقود تقف حائلا أمام التفكير فى الذهاب للعلاج على يد الاطباء القلائل الموجودين فى دمشق وغيرها . لذلك فان علاج الامراض كان يتم عن طريق تعاطى بعض الادوية المعتمدة على حشائش وأزهار الارض وكان الطب الشعبى ممتزجا ببعض انواع الشعوذات .

فقد كان يتم معالجة أوجاع البطن والتقلصات الداخلية والمغص بكافة أنواعه بواسطة ازهار نبات برى يطلق عليه «الختمية» ، وكانت ازهاره تغلى بالماء ، ثم يشرب المريض منه كمية محددة ليحس بالراحة بعد ذلك . وهناك نبات آخر يسمى «البابونج» ، ويشرب مغليا لمعالجة اضطرابات جهاز الهضم وتليينه . وبالاضافة الى ذلك قد يستعمل نبات النعنع .

اما السعال وأمراض الجهاز التنفسى ، فكانت تعالج بالعسل عن طريق سفه ، أو تناوله صباحا على الريق . ويعالج نبات «العبلة » ـ وهو ينمو فى فصل الصيف عبر الحقول والبرارى ، الامراض العصبية ، حيث تؤخذ كمية منه ، وتغلى بالماء ، ثم يتناول المريض كميات معينة كل يوم ، ولمدة زمنية ما .

ويتم علاج الحصيات على مختلف انواعها بشرب عصير الفجل « الرويد » عدة مرات على الريق ، بينما تؤكل أوراقه نيئة لمعالجة

---

١ ـ عبد المنعم حسن . الفنون الشعبية فى يوغوسلافيا ص ٩٥ .

الكلى . كما يستخدم نبات « الصّفلين» ـ وهو نبات برى ، ينمو فى البرارى ، ذات الارض البور ، وفى شعاب التلال . له ساق بارتفاع من ٢٥ ـ ٣٠ سم ، ينتهى بكتلة أعواد رفيعة ، ذات رءوس صغيرة مدببة ـ فى علاج هذه الحميات (١) .

ويمارس الطب الشعبى فى مصر باستخدام كثير من المواد التى تستورد من السودان ، وذلك كأحليل التمساح التى يستخدم فى علاج الضعف الجنسى ، وقرن الخرتيت ذو القدرة على ابطال فعل السموم ، وتصنع منه لهذا الغرض قطع صغيرة ، تركب كفصوص فى الخواتم . وتحتل الاعشاب والنباتات السودانية مكانة هامة فى مواد العطارة التى تدخل فى تركيب الادوية الشعبية ، وذلك مثل (حلقا النهر) أو (الحلفا بر) ، وتعالج به نزلات البرد ، وأمراض المعدة . وتعالج (الدمسيسة) أمراض الصدر والكلى والقناة البولية . ويعالج (الحنظل) او (الحرجل) الامساك وعسر الهضم . ويعالج النطرون بعد اضافة الليمون عليه عسر الهضم ، وقد يضيفونه الى التبغ ليصنعوا منه معجونا يمضغ أو مسحوقا يتنشقون به (٢) .

وفى مجتمعات العريش تستخدم الاعشاب والنباتات ومواد العطارة وكذلك الحيوانات البحرية الموجودة فى البيئة المحلية.ففى حالات المغص تستخدم المرمرية والشيح . وتستخدم نباتات اخرى مثل الجعده والحنظل وتحرق العادر فى علاج الكحة بعد غليها ، وقد يضاف اليها قليلا من العسل .

---

١ ـ رضوان الشيخ محمد . جوانب من الطب الشعبى فى منطقة الجولان السورية نقلا عن مجلة المأثورات الشعبية ، العدد ٢٥ ، ١٩٩٢ ص ص ٣٣ ـ ٣٤ .

٢ ـ انظر ابراهيم محمد الفحام . المؤثرات السودانيــة فى العقائد والعادات الشعبية فى مصر . نقلا عن مجلة التراث الشعبى ـ العدد الثانى ، ١٩٧٧ ، ص ص ٦٥ ـ ٦٦ .

وتستخدم كذلك وصفات أخرى لعلاج أمراض الجلد كالكلف او النمش عند السيدات ، وذلك عن طريق استخدام بعض الودع يطلق عليه اسم « ودع العرب » ، وعددها ثلاث ودعات ، توضع فى برطمان صغير ويعصر عليها الليمون وتغطى لليوم التالى ، ويدهن به مكان الكلف عدة مرات حتى تزول ٠

ويستخدم احيانا البيض والليمون ، كما يستخدم الكحل للتزين والعلاج فى نفس الوقت ، وهناك سيدات متخصصات فى عمل الكحل ووضعه فى مكحلة ٠ ويتم عن طريق تحضير قطعة شاش نظيفة وتضعه فى علبة صغيرة وتملأها بزيت الزيتون ويشعل الشريط ثم يتم تغطيته بطبق بحيث لايكتم ، ثم يجمع الدخان من على الطبق المستخدم ويعبأ فى زجاجات للاستعمال ٠

كما تستخدم الوصفات البلدية لعلاج أمراض الاطفال ، فيستخدم النشا والليمون لعلاج الاسهال ٠ ويستخدم زيت الزيتون والملح والرده الساخنة لعلاج الالام الناتجة عن جزع الجسم ٠

الفصـــل الثـــامن

المجتمـــع والفولكلـــور

يرتبط الفولكلور والفنون الشعبية بالمجتمع ارتباطا وثيقا . فلتكوين اسرة فى بعض القرى انيوغوسلافية ، يذهب الخطيب وامه واقاربه مـــع فرقة من الموسيقى ليلة الزفاف الى المقابر لدعوة الموتى الاعزاء ، وطلب الصفح منهم ، لانه يتزوج دون ان ينال بركتهم . وعند العودة يضعون للعروسين ذقنا صناعية ، ويرقصون فى حلقات ، وتسير الخطيبة على سجادة حتى لاتلمس قدماها طلاسم السحر . وبعد اتمام مراسم الزواج ، تتخذ الحيطة حتى لايلتقى موكب الزفاف مع موكب آخـر . وتـزف العروس فى الدور الارضى ، بينما حلقات الرقص تدور فى البيت وخارجه

وبعد تناول العشاء ينصرف المدعوون ، ويدخل العروس الى غرفة زوجته ، وعندما يقفل الباب يكسرون على الباب جرة ملأى بثمر الجوز والحلوى . ثم يدوى طلق نارى اعلانا بأن العروس كانت بكرا شريفة، ويبدأ الفرح من جديد .

وفى صباح اليوم التالى للزفاف ، تخرج الزوجة مع اقاربها الى عين طبيعية للماء ، فتسكب الماء ليغسل المدعوون ايديهم ، وبعد تبادل الزيارات التقليدية بين الاسرتين ، تتزعم ام الزوج حلقة رقص ، تتبعها حلقات ، وترقص الزوجة الجديدة لاول مرة بعد زواجها .

وفى قرية جاليشنك على نهر المافيروفو ، يجلس المدعوون الى الفرح فى الحدائق . وترقص الحماة وهى تحمل كعكة الزفاف على راسها . وينبغى على العريس ان يقف منتصبا حتى الفجر وتتعاقب الاغنيـة الشعبية تتحدث عن العادات القديمة للزواج (١) .

---

١ ـ عبد المنعم حسن ، المرجع السابق ص ص ٧٢ ـ ٧٣ .

ولقد ظهر الفولكلور والفن الشعبى فى مجال أدب الاطفال متحررا من الواقع المألوف ، ومعتمدا على الفكر والرمز أكثر من اعتماده على الصورة المتكاملة • وتبزغ أمامنا أنمـاط متعددة من التراث الشعبى سواء كان من ابداع الاطفال أنفسهم ، من فنون الغناء واللعب والحوار والمهارة ، أم ماكان من ابداع الكبار للاطفال من فنون تحتفل بالطفل •

ويحكى التراث الشعبى بالدقة والتفصيل دورة الحياة عند الفرد من الطفولة المبكرة الى الموت ، وتصور ما قبل الحياة وما بعد الموت ، فقد حظيت بما يناسب مكانتها وقيمتها والآمال المعقودة عليها • فها هو كتاب « حكايات الاطفال » للعالمين الالمانيين « الاخوين جريم » ، وهى حكايات فى حقيقتها ليست سوى قصص الاطفال •

أما كتاب « الف ليلة وليلة » ، فحكاياته تحكيها الجدات والامهات لاطفالهن ، كما كانت الاسر الثرية تستخدم مربيات عجائز للابناء ، ولديهن رصيد من هذا القصص القديم يحكينه للاطفال • وحتى الجيل الماضى كان الطفل لايستطيع ان يذهب فى النوم قبل ان يسمع واحـدة من تلك الحكايات ، مما أبقى على القصص الشعبى •

وكان من الواضح أن الاطفال كانوا يحبون هذه الحكايات أكثر مما يحبون التاريخ والجغرافيا والشعر والحساب • ويراعى فى هذه الحكايات دائما فئات الاعمار وجنس المتلقين من ذكور واناث ، وكذلك مجـالات أداء هذه الحكايات ، وهل هى حكايات للسمر والترفيه ، أم حكايـات وعظية وتعليمية ،أم حكايات دينية ••• الى غير ذلك من طراز الحكايات الشعبية ، وانماطها المتعددة والمتنوعة ، سواء ما كان منهـا وصفـا وتحليلا لعلاقات الانسان بالانسان ، أو علاقات الانسان بعالم الحيوان، أو علاقات الانسان بالكون وكائناته المختلفة ، وأصنافها المتنوعة •

والحكايات الشعبية بجانب دورها الترفيهى ، تقوم بدور أساسى فى نقل المعارف للاطفال ، وتعريفهم بأنماط متنوعة من تجارب الحياة وخبرات الآخرين •

ويتسم ادب الطفولة المبكرة بالتمثيل والتنغيم والايقاع الى جانب البساطة الساذجة ، لان الطفولة تميل الى المحاكاة . فالفن سمة اصيلة فى الطفل منذ لحظة قدومه الى الحياة ، مرورا بممارسات وطقوس واحتفالات تتضمن مختلف الابداع الفنى من فنون تعبيرية وتشكيليـة تؤدى فى اطار من العادات والتقاليد .

والطفل منذ نشأته يطرب لسماع الموسيقى ، والاصوات الايقاعية، ورؤية الحركات المختلفة ، والاستمتاع بها ، وتقليده لتعبيرات الوجـه المتنوعة ، وحركات الرقص ، أو التصفيق .

واذا ما واجهنا «اغانى المهد» التى يستوعبها التراث الشعبى فى جميع أطوار التاريخ الثقافى والحضارى ، نجد انها تنفذ الى ذاكـرة الرواة واقلام النساخ التى جعلت مهد الطفل ارجوحه فى معظم الاحيان. ولقد عرفت الآداب الاوربية أغانى المهد ، وحرص نفر من الرواة على جمعها كما انها صادفت شعراء أعـادوا صياغتهـا أو حقلوهـــا ، ولم يحفلوا بتسجيل أسمائهم .

وتتميز الاغانى التى يغنيها الاطفال بالحانها البسيطة النغمـات بانها ترسم صورة واضحة للبيئة التى يعيشون فيها ، وكذلك تطورهـا سياسيا واجتماعيا ودينيا. كما تعطى صوره صادقة عن الانفعالات النفسية للطفل ، وعن ميوله وانطباعاته (١) .

---

١ — انظر محمود النبوى الشال وآخرين . التذوق وتاريخ الفن ص ١٣ وانظر د. عبد الحميد يونس . دفاع عن الفولكور ص ص ٩٤ — ٩٦ وانظر محمد عبد الوهاب عبد الفتاح الالحان الشعبية وتربية الطفل موسيقيا . نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢٠ ، ١٩٨٧ ، ص ٦٦ .

وانظر د. محمود ذهنى . بين الادب الشعبى وأدب الطفل نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢١ ، ١٩٨٧ ، ص ص ٢٩ — ٣٠ وانظر عبد التواب يوسف . الاطفال والادب الشعبى . نقلا =

وقد ارتبطت المعارف الشعبية بالعقيدة الدينية ارتباطا شديدا . فتكرار الطقوس الدينية ألوف المرات كان له الفضل فى كثير من الاحيان فى التدرج الى انواع مختلفة من الحرف والصناعات التى اتصفت منذ القدم بطابعها الدينى ، كما فى صناعة الحصر ، والنسيج ، وصناعة الفخار ، وغزل الصوف ، ودبغ الجلود ، أو عجن الدقيق ، وما الى ذلك من اعمال جمعت فى منشئها بين الغرض الدينى والغرض النفعى. ولولا ارتباطها بطقوس ثابتة ، تتكرر وفقا لحساب محدد ، وعدد معين من المرات لنسيها المجتمع فى عهود الاضمحلال والانحلال والازمات الاجتماعية المختلفة .

وحفظ هذه الارقام فى طريقة تعاقبها ، وان بدا يسيرا لنا الآن ، الا أنه كان أمرا شاقا بالنسبة للرجل البدائى . فقد لايرتبط برقم أو عدد بقدر ارتباطه بتكرار تعويذة معينة فى اثناء اللحم ، فيكرر هذه التعويذة مرات ينتقل بعدها الى ترديد تعويذة ثانية ، ومنها الى الثالثة ، ليعود من جديد الى الاولى . وهذه تعاويذ ذات دلالة سحرية

وفى العصور الحجرية القديمة كان شدة تعلق مجتمع الصيادين والقناصة بالحياة ، وخشيتهم ضيق سبل المعيشة ، ومآساتهم مجاعات طويلة من ضيق مجال الصيد ، حملتهم هذه الاسباب مجتمعه على تقديس الحيوان ، والنظر اليه كقوة خارقة تبعث الحياة ، وتشفى الاوجاع ، والامراض ، كما تتركز فيها الآمال والاطماع ، وتحوم حولها قصص البطولة والاقدام ، فالبطل هو الذى يقدم على الصيد ، ولا يبالى اخطاره ، فينقذ رعيته من المجاعة .

=

عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢٢ ، ١٩٨٨ ، ص ٢٠ وانظر صفوت كمال . الحكايات الشعبية فى مجال أدب الاطفال ـ نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢٥ ، ١٩٨٨ ، ص ص ٧٨ ـ ٨١ .

وبانقضاء العصر الحجرى القديم لم يترتب عليه زوال تقاليده الدينية ، فلشدة تمسك المجتمع بها استمرت تنتقل من جيل الى آخر ، ومالبثت ان تداخلت فى العقائد الدينية لحضارات حديثة نسبيا ، وتسربت بعض هذه التقاليد الى الحياة الشعبية التى نقلت الكثير منها الى العصر الحاضر .

ولا غرابة فى أن تتسرب بهذه الكيفية طائفة من المعتقدات القديمة القائمة على تقديم الدية ، وذبائح كقربان للآلهة الحيوانية ، تتسرب الى مجتمع أصبح يعبد جميع مايؤثر على المحاصيل الزراعية كالشمس والقمر والامطار والانهار والبحيرات [1] .

ويتضح ارتباط المعارف الشعبية بالعقيدة من التفسيرات الفنية للفكر المصرى القديم منذ ارتباط فيضان النيل بأسطورة ايزيس واوزيريس فكان دمع ايزيس مجلبة الزيادة والفيضان للنيل عندما قتل ست اخاها وزوجها أوزيريس .

وارتبط بمقتل اوزيريس كثير من الاساطير التى اثيرت فى الفكر المصرى القديم ، وحددت مواقيت معينة يحتفل بها فى كل عام . فقد تصور المصريون أن اوزيريس بعد ان قتله اخوه ست لابد عائد الى الحياة ، وانه عندما يعود اليها سيهبها الخضرة والجمال ، فهو روح القمح ، ومعطى الحياة .

ومن هنا تحدد يوم يخرج الناس الى الحقول والبساتين يسعدوا برؤية روح أوزيريس تطل من خلال كل نبة تخرج من الارض . وكان هو يوم شم النسيم الذى مازال المصرى ينهض فيه مبكرا ليخرج الى الحدائق والمزارع معيدا سيرة أجداده عبر قرون طويلة ، وعلى مدى التاريخ .

---

١ ـ انظر سعد الخادم . الفنون الشعبية والمعتقدات السحرية ص ٢٨.

وكان الفراعنة يوفقون بين اساليبهم الزراعية ، وافكارهم الدينية لان الزراعة عندهم كانت تعتمد على تقويم تتداخل فيه عبادة الآلهة مع الاحتفالات والطقوس والاعياد من ذلك ما انجزوه كأسماء لاشهر السنة عندهم . فمثلا شهر توت هو تحريف لاسم الاله تحوت اله العلم والحكمة والكتابة .

وجاء الفكر الشعبى فاضاف الى أسماء هذه الشهور صفات تتفق وما تمتاز به هذه الاشهر من خصائص معينة تتصل بأعمال الحقل او معبرة عن حالة الجو والطقس . فيقولون ـ مثلا : طوبة تخلى العجوزة كركوبة ، وامشير ابو الزعابيب الكثير ، وبرمهات روح الغيط وهات ، وبشنس يكنس الارض كنس ، وبابه خش واقفل الدرابة ، وذلك لبرودة الجو ، وقلة العمل فى الحقل ، وهاتور ابو الذهب المنثور ، ولعل هاتور هذا اسم اله عند الفراعنة (١) .

أما الوشم فقد ظهر فى الديانات الطوطمية ، وتطلق كلمة طوطم على كل اصل حيوانى أو نباتى يتخذه افراد عشيرة ما ، رمزا لها ، وتنزله منزلة التقديس . فاذا كان الذئب ـ مثلا ـ طوطما لعشيرة ما ، فمعنى ذلك ان هذه العشيرة تتخذ هذا الحيوان رمزا لها ، ليميزها عن العشائر الاخرى . وكانت صورة هذا الطوطم تطبع على جسم الانسان ليمتزج بطوطمه امتزاجا ماديا ومعنويا (٢) .

ففى أوربا يرجع الوشم الى نظام يشبه الطوطمية ... وقد تفرعت الطوطمية فى أوربا عن عبادة الارواح ، عن طريق مايسمى بتناسخ الارواح ، وحلولها فى غير اجسامها ، فأرواح السلف كان موضع تقديس الخلف وعباداتهم ، وكانت فى مبدأ امرها قائمة بذاتها منفصلة عن الاجسام . وقد انتهى الامر ببعض الشعوب البدائية الى الظن بأن هذه

---

١ ـ د. فاطمة حسين المصرى . المرجع السابق ص ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .

٢ ـ أنظر د. سوسن عامر ، الوشم فى الفن الشعبى ص ص ٣٠ ـ ٣١ .

الارواح قد حلت فى اجسام بعض الحيوانات أو بعض النباتات ، فاصبحت هذه الحيوانات ، وهذه النباتات مقرا لارواح السلف من الآباء والاجداد ، واتجه اليها التقديس . ثم اصبحت هذه الحيوانات مقدسة لذاتها فنشأ من ذلك مايسمى بالنظام الطوطمى .

حدث هذا فى جزر اسكندنافيا ، ووسط وشمال اوربا ، ففى بعض تلك المناطق يقدس الناس بعض الطيور والحيوانات ، ويعللون مسلكهم هذا بأنهم يقدسون أرواح السلف التى حلت فى هذه الحيوانات .

ولقد مارس المصريون القدماء الوشم فى ظل دياناتهم القديمة ، كما اتخذوا من رسومه وسائل للزخرفة والتجميل . فقد اشار كيمر Keimer الى آثار مومياء راقصات فرعونيات بها وشم مكان وضع الحلى والاحجبة . ومازال الوشم عند بعض نساء صعيد مصر محتفظا بالطابع القديم ، اذ تتميز بأن الشفة السفلى تكون كلها باللون الاخضر ، والذقن يكون عليها رسم يصل من الشفة الى اسفل الذقن .

وكان الوشم فى مصر القديمة وسيلة علاجية لشفاء بعض الامراض ، كما ظن انه يمنع الحسد . كذلك فان الوحدة المثلثة الشكل التى لاتزال تستعمل فى أيامنا هذه فى شكل حجاب ، ومايسمى الآن خمسة وخميسة ماهى الا بقية من معتقدات شعبنا فى العصور الفرعونية . اما النخلة فهى رمز مصرى قديم يدل على الاخصاب والانتاج والوفرة . وترمز السمكة الى وفرة النسل وكثرته .

وفى فترة كفاح المسيحية للذيوع والانتشار كان من ابرز معالم فن الوشم فى مصر الوشم الخاص بالقديس جرجس — فى عهد الرومان . والمعروف ان القديس جرجس عاش فى مصر خلال هذا العصر ، وكان فارسا ، ثم تفتح قلبه للايمان بالدين الجديد ، وصار من اشد الدعاة الى المسيحية ، ورفع رأسه متحديا جبروت الرومان وطغيانهم ، واستشهد فعلا ذلك البطل على يد الرومان الطغاة .

ولقد صوره الفنان الشعبى وهو يمتطى صهوة جواده يحمل رمحا طويلا يقتل به ثعبانا ضخما يحاول أن يلتهمه ، بينما ترنو اليه غادة عذراء ، مشفقة عليه من هول المعركة • ولان الحية كانت ومازالت رمزا لشيطان ، تسعى جاهدة للفتك بالقديس - أى توجهه نحو الضلال بعد الهدى ، والا قتلته ، كما فعل به الرومان •

واذا لم يكن قد بدا على القديس شيئا من مظاهر الخوف أو الرهبة فانما مرد ذلك الى ايمانه الراسخ بالنصر ، والى السكينة التى نزلت على نفسه ، واستمدها من نجم لاح له فى السماء فملأ قلبه بالشجاعة وامده بالقوة • واذن فلكى يبرز الفنان رهبة الموقف صب كل الرعب على الحصان فهو وحده الذى لايعرف الايمان • ومن ثم فهو يعرف الخوف (١) •

وفى المسيحية تبدل كذلك بكاء ايزيس وأوزيريس ببكاء شخصية دينية اصطنعها المسيحيون حتى يفسروا فيضان النيل ، ولكنهم جمعوا دموع القديس ميخائيل التى تذرف لا لتملأ النيل ، ولكن لتلتمس الرحمة من الله بأن يأمر بزيادة النيل حتى يتحقق الخير للمصريين • ثم تلاشت الاسطورة المسيحية ، وظلت عادة الاحتفال بفضيان النيل منذ الفتح الاسلامى حتى اليوم •

وبانبثاق الاسلام تبع الفنان الشعبى موكب التطور الجديد ، فاهمل جانبا - الى حين - تصوير الشخوص وادخل على فن الوشم وحدات هندسية وزخرفية جديدة ، كالنجمة والقمر والهلال والزهرية ...الخ، وذهب كثير من فتيات القرى قبل الزواج الى الاسواق لدق السمكة كفال حسن تجنبا لحالات العقم ، وكذلك رسم الثعبان بأشكال متعددة والابريق •

---

١ - انظر د• سوسن عامر • الرسوم التعبيرية فى الفن الشعبى ٤٠ - ٦١ •

وكان القناع فى المجتمع الافريقى عمل مقدس ، وهو يعتبر بمثابة اله جديد يضاف الى هيكل الآلهة لاداء شعائر او طقوس دينية مقدسة . وعليه فمن السهل فى تلك البلاد استحضار الالهة فى صورة ارواح شريرة كانت او خيرة بعمل قناع له ، وهذا كاف لتواجده فى تلك المنطقة . ويمكن ان يضم هذا الالة الى الهيكل بسبب شكله المرعب أو المضحك . وقد يحضر فى بعض الاحيان راقصين وطبالين من قبائل بعيدة (١) .

ففى قبيلة « كالابرى ايجو » فى دلتا النيجر ، يستحضر الاهالى الارواح ويتضرعون اليها اثناء مواسم الجفاف ، وتسير الارواح مواكبة لمرتدى الاقنعة اثناء ادائهم للطقوس الراقصة فى دائرة تحوى من ٣٠ الى ٥٠ راقص مقنع (٢) . وفى قبيلة «اليوروبا» غرب نيجيريا يهتم الافراد بالرقصات المقنعة المتصلة بالسحر (٣) .

ويرتبط الاقتصاد بالفنون الشعبية ارتباطا وثيقا . ففى بلاد النوبة تعد الحرف الفنية الشعبية حرفا تقليدية وليدة البيئة المحلية والظروف الجغرافية للمكان . فصناعة السلال والاطباق فى النوبة من الحرف التقليدية التى يرجع تاريخها الى العصر الحجرى الحديث . ويستدل عليها من محاكاة الاوانى الفخارية التى عثر عليها للسلال فى تلك الآونة .

وفى ريف الوجه القبلى كانت تصنع الى بداية القرن الحالى عرائس من الفخار على هيئة آلهة الاخصاب ، وهى على هيئة امراة عارية ارسلت شعرها فى جدائل تنسدل على اكتافها ، وقد صنعت على مثال العرائس الفخارية التى كانت تصنع فى عهد ما قبل الاسرات بمصر .

---

1 — Rokin Horton, The Art in Africa, p. 18.

2 — Dennis, Duerden, African Art, p. 18.

3 — Ibid., P. 26.

ويحكى الرحالة بوركهارت ان النوبيات كن يصنعن من سعف النخيل الحصير ، وكئوس الشراب ، والصحاف الكبيرة التى يقدم فيها الخبز على المائدة ، وكلها مصنوعة باليد (١) .

وتعتبر صناعة الخيام فى مصر احد الفنون الشعبية المصرية الهامة بماله من اصاله محلية تمتد جذورها من العصر العباسى ، واستمر حتى العصر الفاطمى ، فالايوبى ، الى ان انحدر الى عصرنا الحالى فى القرن العشرين . ويتمثل ذلك فى فن صناعة السرادقات المنقوشة بأجمل الزخارف العربية الاسلامية ذات الالوان البراقة ، والتى يستعملها المصريون فى الاعياد والمواسم والمناسبات المتعددة كالافراح والاحزان وغير ذلك .

والخيمة هى بيت او مظلة تصنع من قماش شارعة السفن المبطن باللباد او الجلد ، وتثبت على قوائم ، وتشد على اوتاد استعملها الرحالة والصيادون والكهنة فى المعبد (٢) .

وقد توغلت بعض طرزنا الفنية القديمة فى نفوس الناس ، ويتمثل ذلك فى عادة نقش الكعك فى الاعياد بنوع من النقوش ذات الارتباط الوثيق بالزخارف العربية القديمة ، كالزخارف التى على الفخار الاثرى كذلك الحال بالنسبة الى عرائس المولد : ومختلف انواع الحلوى ، فهى تذكرنا فى اشكالها وزخارفها البراقة بالرسوم المنقوشة على الخزف الاسلامى ، ويمكن مقارنتها ببعض الآنية النحاسية العربية التى صنعت على شكل حيوان او طائر (٣) .

---

١ — انظر رضا شحاتة ابو المجد ، صناعة السلال والاطباق فى النوبة . نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢١ ، ١٩٨٧ ، ص ٨٥ .

٢ — انظر طارق صالح سعيد . الخيامية نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد ٢٠ ، ١٩٨٧ ، ص ص ٨٨ — ٨٩ .

٣ — انظر سعد الخادم . التراث العربى فى فنونا الشعبية — نقلا عن مجلة الفنون الشعبية ، العدد الثانى ، ١٩٦٠ ، ص ٢٧ .

واشتهر الكليم الاسيوطى منذ القدم بمتانته وزخارفه البديعة . ولقد اصبح الآن مقصورا على أصناف متوسطة الجودة ، وتغلب عليها زخارف مستقاه من الفنون المجردة التى نشأت فى الغرب . ولهذا يفاجأ السائح الى اقاصى الصعيد بزخارف منقولة عن بيكاسو ومانيس والفنون التكعيبية فى باريس .

ولقد غمر النسيج المصرى الاسواق الغربية فيما بين القرن السادس الميلادى وبداية عصر النهضة ، حتى أن الفنون التشكيلية فى ايطاليا وفرنسا كانت تقتبس من النسيج المصرى حليات وزخارف تدخلها ضمن عناصر وموضوعات التصوير والرسوم الحائطية (١) .

---

١ - انظر سعد الخادم . الصناعات الشعبية فى مصر ص ص ٢٤ - ٢٧

المراجـــع

اولا : المراجـــع العربية :

١ ـ ابراهيم زكى خورشيد . الاغنية الشعبية والمســرح الغنائى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ .

٢ ـ ابراهيم شعراوى . الفنون الشعبية فى بلاد النوبة . القاهرة ، مطابع البلاغ ، ١٩٦٢ .

٣ ـ ابراهيم محمد بعلوشة . بحث حول الفن الشعبى واثـــره فى التكوين النفسى للطفل . الهيئة العامــة للاستعــلامات ، وزارة الاعلام ، جمهورية مصر العربية ، ١٩٨٣ .

٤ ـ ابو صالح احمد الالفى ود. فؤاد محمود حسنين . التذوق الفنى وتاريخ الفن . الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، وزارة التربية والتعليم ، جمهورية مصر العربية ، ١٩٨٩ .

٥ ـ د. احمد ابو زيد وآخرون . دراسات فى الفولكلور . القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٢ .

٦ ـ احمد الصباحى عوض الله خليل . المهارات والالعاب الشعبية ـ فرعونية ـ ريفية ـ حضرية . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر ، وزارة الثقافة ، ١٩٦٤

٧ ـ احمد رشدى صالح . فنون الادب الشعبى . الجزء الثانى . دار الفكر ، ١٩٦٦ .

٨ ـ احمد رشدى صالح . الادب الشعبى القاهرة ، مكتبة النهضـة المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧١ .

٩ ـ د. احمد شمس الدين الحجاجى . مولد البطل ـ فى السيرة الشعبية . دار الهلال ، المطبعة الثانية ، ١٩٩١ .

١٠ ـ د. احمد عزت راجح . اصول علم النفس . مؤسسة المطبوعات الحديثة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٠ .

١١ ـ د. احمد على مرسى . مقدمة فى الفولكلور القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ .

١٢ ـ د. أحمد مرسى . الادب الشعبى وفنونه . مكتبة الشباب ، ١٩٨٤ .

١٣ ـ حسن محمد حسن . الفن فى ركب الاشتراكية . دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦ .

١٤ ـ رشدى صالح . الفنون الشعبية . دار القلم ، ١٩٦١ .

١٥ ـ سعد الخادم . الصناعات الشعبية فى مصر . دار المعارف بمصر ، ١٩٥٧ .

١٦ ـ سعد الخادم . التصوير الشعبى خلال العصور . المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، وزارة الثقافة ١٩٦٣

١٧ ـ سعد الخادم . الرقص الشعبى فى مصر . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ .

١٨ ـ سعد الخادم . الفن الشعبى والمعتقدات السحرية . مكتبة النهضة المصرية د.ت .

١٩ ـ سعد الدين المصرى . على راى المثل ـ الامثال الشعبية ـ الاغانى الشعبية ـ الملاحم الشعبية . دار الفكر العربى ، ١٩٨٤ .

٢٠ ـ سوسن عامر . الرسوم التعبيرية فى الفن الشعبى ـ الوشم ـ القصص الشعبى ـ الرسوم الحائطية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٥ .

٢١ ـ د. شوقى ضيف . الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور . دا رالمعارف ، ١٩٧٧ .

٢٢ ـ صفوت كمال ، الحلى والازياء الشعبية . استطلاع الكويت ، د.ت .

٢٣ ـ د. عبد الحميد يونس . الحكاية الشعبية . الكاتب العربى للطباعة والنشر . المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر ، ١٩٦٨ .

٢٤ ـ د. عبد الحميد يونس . دفاع عن الفولكلور . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .

٢٥ ـ د. عبد الحميد يونس . التراث الشعبى . دار المعارف ، ١٩٧٩

٢٦ ـ د. عبد الحميد يونس . الاسطورة والفن الشعبى . المكتب الثقافى الجامعى ، ١٩٨٠ .

٢٧ ـ عبد الغنى النبوى الشال . عروسة المولد . القاهرة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ .

٢٨ ـ عبد المنعم حسن . الفنون الشعبية فى يوغوسلافيا . دار المعارف بمصر ، ١٩٨٤ .

٢٩ ـ د. فاروق احمد مصطفى . الموالد ـ دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر . الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ .

٣٠ ـ د. فاروق احمد مصطفى . مقدمة ودراسات انثروبولوجية . دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩ ، الجزء الثالث ، ١٩٩٢ .

٣١ ـ فاروق خورشيد . اضواء على السير الشعبية . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٦٤ .

٣٢ ـ فاروق خورشيد . عالم الادب الشعبى العجيب .دار الهلال ، ١٩٨٨ .

٣٣ ـ فاروق خورشيد ود. محمود ذهنى . فن كتابة السيرة الشعبية ، القاهرة ، دار الثقافة العربية ، ١٩٦١ .

٣٤ ـ د. فاطمة حسين المصرى . الشخصية المصرية من خلال دراسة الفولكلور المصرى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ .

٣٥ ـ د. فاطمة على العزب . الاسس العلمية للتعبير الحركى الشعبى الاسكندرية ، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف ، كلية التربية الرياضية للبنات ـ جامعة حلوان ، ١٩٨٨ .

٣٦ ـ د. فتحى الصنفاوى . الموسيقى ـ فن وعلم وثقافة ـ موسوعة الموسيقى العربية والعالمية . حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف د. ت .

٣٧ ـ د. فتحى الصنفاوى . التراث الغنائى المصرى ـ الفولكلور . دار المعارف ١٩٧٨ .

٣٨ ـ فوزى العنتيل . الفولكلور ـ ماهو ـ دراسات فى التراث الشعبى دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ .

٣٩ ـ فوزى العنتيل . بين الفولكلور والثقافة الشعبية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ .

٤٠ ـ محمد ابراهيم أبو سنه . فلسفة المثل الشعبى . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٨٤ .

٤١ ـ د. محمد الجوهرى . علم الفولكلور ـ دراسة فى الانثروبولوجيا الثقافية الجزء الاول ـ دار المعارف ـ الطبعة الثانية ، ١٩٧٧، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨ .

٤٢ ـ د. محمد الجوهرى . علم الفولكلور ـ الجزء الاول ـ الاسس النظرية والمنهجية . دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١ .

٤٣ ـ د. محمد الجوهرى ود. علياء شكرى . علم الاجتماع الريفى والحضرى . دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩ .

٤٤ ـ محمد عزت مصطفى وآخرون . الفنـون الشعبية القاهـرة ، الجامعة الشعبية ، د. ت .

٤٥ ـ محمد قنديل البقلى . صور من ادبنا الشعبى او (الفولكلور المصرى) ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٢ .

٤٦ ـ محمد قنديل . الامثال الشعبية . دار المعارف ، ١٩٧٨ .

٤٧ ـ محمد كامل عبد الصمد . الامثال الشعبية التى تخالف ما جاء فى نصوص الاسلام وروحه . المركز العربى للنشر والتوزيع ، ١٩٧٨ .

٤٨ ـ د. محمود البسيونى . الفن فى القرن العشرين . دار المعارف ، ١٩٨٣ .

٤٩ ـ محمود النبوى الشال التذوق وتاريخ الفن . الجهاز المركـزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، ١٩٨٦ .

٥٠ ـ د. نبيلة ابراهيم . الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق. مكتبة القاهرة الحديثة .د.ت .

٥١ ـ د. نبيلة ابراهيم قصصنا الشعبى من الرومانسية الى الواقعيـة دار الفكر العربى ١٩٤٦ .

٥٢ ـ د. نبيلة ابراهيم . البطولة فى القصص الشعبى . دار المعارف، ١٩٧٧ .

٥٣ ـ د. نبيلة ابراهيم . أشكال التعبير فى الادب الشعبى . دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨١ .

٥٤ ـ يسرية جوهرية عرنيطة . الفنون الشعبية فى فلسطين . بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ١٩٦٨ .

ثانيا : المراجع الاجنبية (مترجمة)

٥٥ ـ سوكولوف / يورى . الفولكلور قضاياه وتاريخه ترجمة حلمى شعراوى وعبد الحميد حواس . مراجعة وتقديم د. عبد الحميد يونس ، ١٩٧١ ..

٥٦ ـ سيلز / روبرت (ابحاث جمعها وقدم لها) . الادب الامريكى ١٩١٠ / ١٩٦٠ . ترجمة محمود محمود . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، د.ت .

٥٧ ـ فانسيتا / يان . المأثورات الشفاهية ـ دراسة فى المنهجية التاريخية . ترجمة ودراسة د. أحمد على مرسى . القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨١ .

٥٨ ـ فريزر / جيمس . الفولكلور فى العهد القديم . ترجمة د. نبيلة ابراهيم ، مراجعة د. حسن ظاظا . الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢ .

٥٩ ـ فريزر / جيمس . الفولكور فى العهد القديم . ترجمة د. نبيلة ابراهيم ، مراجعة د. حسن ظاظا الجزء الثانى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .

٦٠ ـ كراب / الكزاندر هجرتى . علم الفولكلور . ترجمة رشدى صالح القاهرة ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٧ .

٦١ ـ هاوزر / أرنولد . فلسفة تاريخ الفن . ترجمة رمزى عبده جرجس ، مراجعة د. زكى نجيب محمود . القاهرة ، الهيئة العامة للكتب والاجهزة العلمية ، ١٩٦٨ .

٦٢ ـ ٢٥ باحث من المتخصصين . الفولكلور الامريكى . من محاضرات الندوة باذاعة صوت أمريكا . ترجمة د. نظمى لوقا ، ١٩٨٠ .

ثالثا : المجـلات

٦٣ ـ مجلة تراث الشعب . العدد الثالث ، السنة الحادية عشر ، ١٩٩١ .

٦٤ ـ مجلة التراث الشعبى . بغداد ، العدد العاشر ، السنة السابعة ، ١٩٧٦ .

٦٥ ـ مجلة التراث الشعبى . بغداد ، المركز الفولكلورى فى وزارة الاعلام فى الجمهورية العراقية ، العدد الثانى ، السنة الثامنة ، ١٩٧٧ .

٦٦ ـ مجلة التراث الشعبى . بغداد ، المركز الفولكلورى فى وزارة الاعلام فى الجمهورية العراقية ، العدد السابع، السنة الثامنة ، ١٩٧٧

٦٧ ـ مجلة التراث الشعبى بغداد ، وزارة الثقافة والفنون ، دار الجاحظ للنشر . العدد التاسع ، السنة التاسعة ، ١٩٧٨ .

٦٨ ـ مجلة التراث الشعبى . بغداد وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشئون الثقافية العامة ، العدد الرابع ، ١٩٨٧ .

٦٩ ـ مجلة عالم الفكر . المجلد التاسع عشر ، العدد الثانى ، ١٩٨٨

٧٠ ـ مجلة الفن المعاصر . القاهرة ، العددان الثالث والرابع ، ١٩٨٧

٧١ ـ مجلة الفنون الشعبية . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومى، العدد الاول ، ابريل ، ١٩٥٩ .

٧٢ - مجلة الفنون الشعبية . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومى، العدد الثانى ، ١٩٦٠ .

٧٣ - مجلة الفنون الشعبية . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومى، العدد الثالث ، ١٩٦٥ .

٧٤ - مجلة الفنون الشعبية . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد العشرون ، ١٩٨٧ ، العددان ٢١ ، ٢٢ ، ١٩٨٧ .

٧٥ - مجلة الفنون الشعبية . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٢٢ ، العدد ٢٤ ، العدد ٢٥ ، ١٩٨٨ .

٧٦- مجلة الفنون الشعبية . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، العدد ٢٦ ، ١٩٨٩ .

٧٧ - مجلة الفنون الشعبية . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٣٠ ، ٣١ ، ١٩٩٠ .

٧٨ - مجلة المأثورات الشعبية . العدد ٢٥ ، ١٩٩٢ .

٧٩ - مجلة النقد الادبى - الادب المقارن - الجزء الثانى . العدد الرابع ، ١٩٨٣ .

رابعا : النـدوات

٨٠ - ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الادب الشعبى (١) . مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية . الدوحة - قطر ، ١٩٨٤ .

٨١ - ندوة التخطيط لدراسة الثقافة المادية والفنون والحرف الشعبية (٤) .مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية . الدوحة ، قطر ، ١٩٨٥ .

خامسا : المراجـع الاجنبية

82 — Ames, L. Kenmeth, Beyond Necessity Art in Folk Tradition, The Winterthur Museum, Distributed by W.W. Norton K Company, Inc., 1977.

83 — Coffin, Tristram Potter & Cohen, Hennig, Folklore From the Working folk of America, New York, Anchor Book, 1974.

84 — Dennis, Duerden, African Art, the Hanlyn Publishing Group Limited, 1968.

85 — Dorson, Richard M., African Folklore New York, Anchor Books, Doubleday & Company, Inc., 1972.

86 — Erdocs, Richard & ortiz, Alfonso, American Indian, Myths and Legends, Fairy yale & Folklore Library, 1984.

87 — Horton, Robin, The Art in Africa, New York, MacMillan Publishing, 1979.

88 — Huges, Langston & Bontemps, Arna, Book of Negro Folklore, New York, Dodd, Mead & Company, 1958.

89 — Lewis, John, Anthropology, Made Simple, London, W.H. Allen, 1966.

90 — Wimberly, Lowry Charles, Folklore in the English & Scottish Ballads, New york, Dover Publications, Inc., 1928.

91 — Encyclopedia, World Book, No L 7, London Chicago, Printed in the United States of America, Library of Congress Catalog, 1984.

للمؤلف

١ - الاستعمار فى القرن العشرين . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الاسكندرية ، ١٩٧٥ .

٢ - الادعاءات الصهيونية والرد عليها . الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الاسكندرية ، ١٩٧٧ .

٣ - ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمى . المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة السادسة ، ١٩٩٢ .

٤ - دور المتغيرات الاجتماعية فى الطب والامراض . دراسة فى علم الاجتماع الطبى ، الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الحديث ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ .

٥ - المدينة - دراسة فى علم الاجتماع الحضرى . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧ .

٦ - الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٨٥ .

٧ - تطور النظم الاجتماعية واثرها فى الفرد والمجتمع . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦ .

٨ - العلاقات العامة والاعلام من منظور علم الاجتماع . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٠ .

٩ - التغير الاجتماعى والتنمية السياسية فى المجتمعات النامية . الاسكندرية . المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الاولى ، ٨يـ١٩ .

١٠ - دور المتغيرات الاجتماعية فى التنمية الحضرية . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٨٨ .

١١ - الانثروبولوجيا فى المجال النظرى . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٩ .

١٢ - الانثروبولوجيا فى المجال التطبيقى . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٩ .

١٣ - المجتمع - دراسة فى علم الاجتماع . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢ .

١٤ - علم الاجتماع وميادينه . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث الطبعة الاولى ، ١٩٩٠ .

١٥ - العلم والبحث العلمى - دراسة فى مناهج العلوم . الاسكندرية المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٢ .

١٦ - الطفل - دراسة فى علم الاجتماع النفسى . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٩٢ .

١٧ - المجتمع والتصنيع - دراسة فى علم الاجتماع الصناعى . تحت الطبع .

تـم بحمــــد اللـــه

غلاف
مطبعة الانتصار
ELENTSAR PRESS
١٠ ش الوردى كوم الدكة – ت . ٤٩١٦٥٩٧